مساهمة أنور شاه الكشميري
في الحديث النبوي والأدب العربي

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه

تقديم

محمد أجمل

تحت إشراف

الدكتور ظهور الباري الأعظمي و البروفسور محمد أسلم الإصلاحي

مركز الدراسات العربية والإفريقية

مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة

جامعة جواهر لال نهرو نيودلهي – الهند

تموز ٢٠٠٥م

مركز الدراسات العربية و الأفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi-110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067

Dated: 21.07.2005

DECLARATION

I declare that the material in this Thesis entitled ***"Musahamatu Anwar Shah al- Kashmiri Fi al- Hadith wa al- Adab al- Arabi"*** (*Contribution of Anwar Shah Kashmiri In Hadith And Arabic Literature*) submitted by me is my original work to the best of my knowledge, and has not been previously submitted for any other degree of this or any other University/Institution.

Mohammad Ajmal
Name of the Scholar

Prof. M. A. ISLAHI
Supervisor

Prof. S. A. RAHMAN
Chairperson
Centre of Arabic & African Studies
School of Languages
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067.

Gram : JAYENU Tel.: 2670 4253 TELEX : 031-73167 JNU IN Fax : 91-11-2671 7525

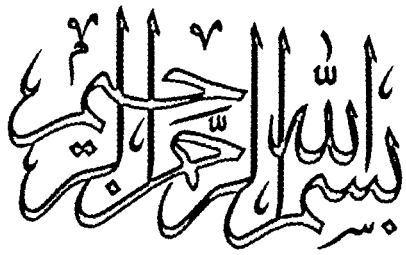
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــــداء

إلـــــــى

أمي الحنون وأبي المرحوم اللذان نفخا فيَّ روح

الدراسة الدينية والعصرية العليا

(ربّ ارحمهما كما ربياني صغيراً)

المحتـــويـــات

المقـــدمـــة ١ ــ ١١

البـــاب الأول: دراســـة الحديث في الهنـــد وظهور أنـــور شـــاه الكشميري ١٢-٦٦

الفصل الأول: الاتجاهات في دراسة الحديث بالهند في القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين الميلادي ودور الحركات لإصلاح المجتمع الإسلامي في الهند ١٢-٣٤

الفصل الثاني: تأثير مدرسة شاه ولي الله على المجتمع الإسلامي في الهند ٣٥-٤٥

الفصل الثالث: ظهور أنور شاه ورحيله من لولاب إلى ديوبند ٤٦-٦٦

الباب الثاني : مدرســـة ديوبنـــد وأسلوب أنـــور شـــاه في تدريس الحديث ٦٧-١٤٤

الفصل الأول: مدرسة ديوبند ودراسة الحديث النبوي ٦٧-١٠١

الفصل الثاني: طريقة أنور شاه المبتكرة في تدريس الحديث وإصلاحاته الدراسية ١٠٢-١١٣

الفصل الثالث: ميزات أنور شاه في محاضرات الحديث ١١٤-١٢٦

الفصل الرابع: شرح أنور شاه للحديث ومحاولاته لتطبيق المذاهب ١٢٧-١٤٤

الباب الثالث :شعـــر أنـــور شـــاه المديحـــي باللغـــة العربيـــة ١٤٥- ١٦٩

الفصل الأول: قصائد أنور شاه في مدح النبي ١٤٥-١٥٦

الفصل الثاني: القصائد الصوفية في مدح مشايخه ١٥٧-١٦٩

الباب الرابع : حملة الشيخ أنور شاه الكشميري ضد الأحمدية ١٧٠-١٩٨

الفصل الأول: الأحمدية ومعتقداتها الأساسية ١٧٠-١٧٣

الفصل الثاني: معارضة العلماء ضد الطائفة الجديدة ١٧٤-١٧٩

الفصل الثالث: العناصر في حملة أنور شاه لمكافحة الأحمدية ١٨٠-١٩٨

الخاتمة : ١٩٩-٢٠٦

المراجع والمصادر: ٢٠٥-٢١١

المقـــــدمـــة

لا يخفى على أحد يعتني بدراسات الحديث النبوي وآدابها في البلدان غير العربية ما للهند، منذ أن اتخذها المسلمون وطناً لهم وبعد انتشارهم في أكثر أرجائها من مساهمات في الحديث والأدب العربي والعلوم الدينية والثقافات الإسلامية، ومن الأهمية بالمكان أن نشير إلى أن العالم الإسلامي بعد الغارة المغولية في سنة ١٥٢٦ الميلادي قد شهد الانحطاط والانحسار في عديد من النواحي العلمية والعقلية وبالنتيجة ظهر الإعياء الفكري والأدبي في أسوأ أشكالها، ولم تنحو الهند من هذا الإعياء والعقم، وذلك بالرغم من أن الإسلام ازدهر فيها مؤخراً ولم تتأثر بالجملة المغولية مباشرة، وعلى أية حال، فان المسلمين سرعان أنشأوا المدارس والمعاهد العلمية اثر دخولهم في هذه البقعة من الأرض ونشروا التعاليم الإسلامية بين الجماهير وسلكوا في هذا المضمار مسلك سكان آسيا الوسطى والعالم الإسلامي الأخرى. فجهودهم هذه سرعان ما أتت أكلها وبرزت على ساحة الأدب والعلم حركات أدبية وعلمية تمخضت عن رجال يستحقون أن يعدوا من نوابغ المسلمين، وذلك لأن مؤلفاتهم وكتاباتهم تتسم بقدر كبير من الابتكار والإبداع والاصالة والابتعاد، عن الأسلوب المعروف في زمن حياتهم من أمثال الشيخ شرف الدين أحمد بن يحي المنيري (م٧٧٢هـ) صاحب "الرسائل البديعة في التربية وحقائق الشريعة"، والشيخ أحمد بن عبد الرحيم ولي الله الدهلوي (١١٧٦هـ) مؤلف "حجة الله البالغة" و "إزالة الخفاء" و الشيخ رفيع الدين الدهلوي (م١٢٣٣هـ) مؤلف "أسرار المحبة" و "تكميل الأذهان" والشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي (م١٢٤٦هـ) مؤلف "العقبات" و "منصب الإمامة"، المتلقي يجد في كتابات هؤلاء العباقرة كثيراً من

الأفكار الجديدة والاستنباطات العلمية التي تخلوا عنها كتب أكثر معاصريهم.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن لبعض مناطق بلاد السند قصب السبق في الدراسة والحفاظ على علوم الحديث النبوي وذلك لأن بلاد السند في بداية العصر الإسلامي في الهند أنجبت عديدا من نوابغ العلماء ودارسي الكتاب والسنة، فنرى هناك نشاطاً كبيراً في سبيل العلم ورواية الحديث النبوي ولا سيما بعد نزوح عدد كبير من المحدثين الكبار إليها فتلمذ عليهم أبناء السند بعدد كبير، وفي نفس الفترة رحل إلى البلاد الإسلامية غير واحد من أهل الهند، ودرسوا هناك علوم السنة، وكتب التاريخ والتراجم والرجال وبعد الرجوع إلى بلادهم بذلوا جهوداً جبارة في سبيل خدمة الكتاب والسنة ورفعوا لواء الدين الحنيف في هذا البلد الأجنبي وتعاونوا في نشر الدعوة الإسلامية و تعاليم الكتاب والسنة في مختلف أصقاع الهند فكانت غاية همهم في أسفارهم وفتوحاتهم وتبليغ رسالة الإسلام إلى سكان هذه المنطقة ومن الجدير بالإشارة هنا إلى أن أكثرية علماء هذه البلاد في القرون الماضية كانت على مذهب الكتاب والسنة بعيدة عن التفرقة المسلكية، التعصب الطائفي والجمود الفقهي.

ومن هنا ازدهرت حركة السنة ودراستها في بلاد الهند تحت ظلال الدولة "البهمنية" (بدكن)، فلعب ملوكها دوراً بارزاً في نشر الكتاب والسنة وقاموا بالذود عنها وبرعاية أهلها وكانت نتيجة ذلك ان مسلك الكتاب والسنة انتشر في معظم أرجاء البلاد، وتسارع إليه أهل العلم والمعرفة من كل قطر وإقليم، وكما توجه إليه وفود العلماء من جميع أنحاء العالم الإسلامي، وكانت دراسة السنة والكتاب أكثر انتشاراً في مصر

والحجاز آنذاك. ولا سيما كانت لمصر شهرة كبيرة في هذا المجال بسبب وجود الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (متوفى ٨٥٢ هـ) فيها الذي نذر حياته لدراسة الحديث الشريف والسنة النبوية ولخدمتهما، وقد انتفع بعلمه خلق لا يحصى، ودرس عليه عصبة من علماء الهند والعرب، وإلى هذا المرجع الهام يرجع فضل تجديد علوم الحديث في بلاد الهند، وذلك لأن تلاميذه توافدوا إلى الهند، وبذلوا قصارى جهودهم في دراسة الحديث والكتاب وخدمتهما، فكثرت رحلات أهل العلم من الهند إلى الحرمين التي كان لها أثر كبير في تجديد السنة. ولم يمض عصر الملك المغولي "أكبر" إلاّ ظهر إمامان وهما أحمد بن عبد الأحد المجدد السرهندي (المعروف بـ مجدد الألف الثاني)، وعبد الحق المحدث الدهلوي. ولعب كل واحد منهما دوراً بارزاً في نشر الدعوة الإسلامية وخدمة السنة النبوية ودراستهما؛ وكما ساهما مساهمة كبيرة في نشر العقيدة الحقة والدين الحنيف والسنة المطهرة، وقد قمنا في هذا الخصوص بذكر موقف معظم سلاطين الهند وملوكها من الإسلام والدعوة الإسلامية وخدمة الكتاب والسنة ودراستهما. ومن الملاحظ هنا ان الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية قد تغيرت في زمن الملك "أكبر" إلى حد ان مجدد الألف الثاني خرج إلى الناس داعياً إياهم إلى التمسك بالكتاب والسنة والاجتناب عن البدع والمحدثات فكان لمجهوداته الإصلاحية أثر عميق في ارجاع الناس إلى دراسة الكتاب والسنة، ومن هنا ظهرت جماعة من المحدثين الذين عكفوا على نشر السنة ودراستها، وعلى رأسهم كان المحدث عبد الحق الدهلوي وأسرته.

وبهذه الجهود المخلصة الهادفة إلى الدعوة الإسلامية والسنة النبوية بدأ عصر التحديث والإصلاح، وعهد الاعتصام بالكتاب والسنة والاهتمام بهما وعصر إصلاح العقيدة والعمل.

ومن المؤسف جداً أن أحداً من كبار المحدثين الهنود لم يظهر بعد الشيخ "أحمد السرهندي" و"عبد الحق الدهلوي" فأصبحت بعدهما حركة دراسة الحديث ضئيلة وبطيئة جداً في منطقة دلهي وما يجاورها من المناطق إلى جانب أقاليم خاصة وبلاد الهند الأخرى، وفي هذه الحالة المتدهورة كانت مركزاً لدراسة العلوم الإسلامية مدينة دلهي لا تزال تزعم مركز الدراسة والعلوم لاشتغال علمائها بالفقه وأصوله وبعلوم الفلسفة، فجاء عبد الحق الدهلوي وركز عنايته على نشر السنة النبوية درساً وتأليفاً أكثر من نصف قرن وسرعان ما اشتهر بين الناس بحيث أول من جاء بعلم الحديث إلى الهند؛ ولا ريب في أن جهوده المخلصة تركت آثاراً كبيرة في مجال نشر السنة النبوية بشمال الهند ومنطقة دلهي بوجه خاص، فتهافت عليه طلاب علم الحديث من جميع أقطار الهند واعترفوا بسعة معلوماته وغزارة علمه، وتلقوا الدروس عنه في علم الحديث. ثم ساهموا في خدمة علم الحديث.

فازدهرت في هذا الزمن علوم الحديث النبوي ازدهاراً كبيراً، وكل ما نرى من حلقات دروس الحديث والمؤلفات في علوم الحديث في مستهل القرن الحادي عشر حتى نهاية القرن الثالث عشر من الهجرة، أغلبها تتعلق بمنطقة دلهي والإقليم الشمالي للهند؛ ويرجع الفضل في هذا الازدهار إلى عبد الحق المحدث الدهلوي. الذي استفاد منه عدد

كبير من دارسي الحديث ومن أشهرهم: الشيخ معين الدين ابن محمود ونجله المحدث نور الحق (م١٠٧٣هـ).

وفي ضوء هذه الحقيقة يمكن لنا القول بأن هؤلاء العلماء الأعلام كانوا من روّاد النهضة الدينية في الهند التي استمرت تحت زعامة شاه ولي الله الدهلوي في مرحلتها الثانية.

دراستنا هذه في الحقيقة دراسة تحليلية مستفيضة عما قامت به كبرى المدارس الإسلامية غير الحكومية وعلماءها وخرّيجوها ومؤسسوها من خدمات جليلة وأعمال بارزة في مجال نشر علم الحديث النبوي في بلاد الهند بعد ما مضت قرون متطاولة كان فيها علم الحديث النبوي معدوماً في الهند، في هذه الظروف القاتمة ظهرت شخصية شاه ولي الله الدهلوي الذي حمل لواء السنة وثم نبغت شخصيات عديدة مرموقة في علم الحديث وهكذا بدأت نهضة جديدة، وازدهرت علوم السنة من جديد. وبما أن مدرسة ديوبند تنتمي إلى شاه ولي الله فكراً ومنهاجاً فانتقلت روح هذه الأمانة العلمية بواسطة أحفاد الإمام العبقري إلى محمد قاسم النانوتوي وزميله الفقيه رشيد أحمد الكنكوهي والعلماء والمحدثين الآخرين ومنهم ورث علماء هذه المدرسة منهج شاه ولي الله الدهلوي ولعبوا دوراً هاماً في نشر علوم السنة والحديث النبوي.

ومن أبرز هؤلاء العلماء كان العلامة أنور شاه الكشميري الذي تولد في القرن التاسع عشر الميلادي وتثقف في ظل المحدثين الكبار، الذين قاموا بخدمة جليلة واختاروا نهجاً منطقياً سليماً، وبعد ذلك وقف حياته على حفظ الأحاديث وشرحها وتوضيحها في

أسلوب سهل بسيط قلما يوجد له نظير وبناء على هذه الميزات البارزة نال العلامة شهرة واسعة في الأوساط العلمية والدينية. فله أمالي علمية على صحيح البخاري طبع بعض أجزائها باسم "فيض الباري" وله أيضاً شرح على الترمذي باسم "العرف الشذي" و"التصريح بما تواتر في نزول المسيح"، وزيادات قيمة على مصطلحات بعض العلوم. وهو أيضاً من أكبر أدباء وشعراء الهنود بالعربية في العصر الحديث، فقرض الشعر في مجالات مختلفة إلا أنه ركز أكثر عنايته على قرض القصائد في مدح النبي عليه السلام، وله أيضاً بعض القصائد والمنظومات في رثاء شيوخه وأساتذته أمثال الشيخ محمد قاسم النانوتوي والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي والشيخ محمود حسن الديوبندي وغيرهم. وعندما ظهرت الفئة القاديانية تسارع العلامة إلى الدفاع عن الدين الإسلامي فلم يأل جهداً لمكافحة الفئة الآنفة الذكر وبذل قصارى جهوده لاستئصال شأفتها.

وينبغي لنا أن نشير هنا إلى أننا تجشمنا مشاكل وصعوبات كثيرة في الحصول على الكتب العربية المتعلقة بموضوع رسالتنا، وذلك لأن الكثير منها غير متوفرة في المكتبات فقد اضطررنا إلى اتصالات شخصية بأساتذة مدرسة ديوبند وبأقارب الشيخ أنور شاه للعثور على المعلومات عنه وعن مساهماته العلمية والأدبية.

وبجانب الفحص والبحث عن الكتب على الشيخ أنور شاه في المكتبات الحكومية والشخصية والاتصالات الذاتية بأعضاء أسرة العلامة وطالعنا بالدقة والإمعان الاستعراضات والتعليقات على مؤلفات العلامة المنشورة في الكتب والمجلات العربية والأردية التي يصدر معظمها في الهند. ومع هذا لكنه إذا فاتَنا شيء من كتابات العلامة

أنور شاه ومساهمته في الأدب العربي فليس لنا إلاّ أن نكرّر هنا ما جاء في القرآن من الآية: لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها. وربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا.

وفيما يتعلق بالهدف الرئيسي لهذه الدراسة فهو يتلخص في جمع المعلومات المتعلقة بالكتب التي ألفها أعلام المحدثين وأساتذة دراسات الحديث النبوي بالمدارس الإسلامية أو الجامعات العصرية، وهذه الدراسة في الحقيقة جزء أساسي للمشروع العلمي الضخم الذي يختمر في ذهننا منذ أن كنا طالباً في مدرسة دار العلوم بديوبند وفي جامعة على جر الإسلامية في إبان التسعينات. وهذا المشروع نعتزم على انجازه كاملاً بمشيئة الله في القريب العاجل والأجل إنشاء الله الرحمن.

وأيا كان الأمر فاننا قسمنا هذا البحث إلى أربعة أبواب بحيث كل باب يحتوي على فصول عديدة.

أما الباب الأول: فهو يدور حول دراسة الحديث النبوي في الهند وحول الظروف والأوضاع التي نشأ فيها العلامة أنور شاه الكشميري وبلغ فيها أشدّه. وهذا الباب يتوزع بين ثلاثة فصول. ففي الفصل الأول تناولنا المعايير التي استخدمها العلماء الهنود عند دراسة الحديث في القرن التاسع عشر الميلادي وما هي التعديلات والتغيرات التي طرأت على طريقة دراستها في بداية القرن العشرين الميلادي، وفي هذا السبيل أيضاً ألقينا الضوء على ما لعبته الحركات الإصلاحية من الدور لإصلاح المجتمع الإسلامي. وفي الفصل الثاني أشرنا إلى ان المجتمع الإسلامي قد تأثر كثيراً بـــ "المدرسة شاو ولي

اللهية"، ولا ريب في ان هذه المدرسة قد غيرت مجرى الأحوال الدينية والأوضاع الاجتماعية والسياسية بكاملها.

وفيما يتعلق بالفصل الثالث فهو يكشف النقاب عن شخصية العلامة "الشيخ أنور شاه" قد جئنا فيه بالذكر عن أحوال طفولته حتى سفره إلى مدينة ديوبند لتحصيل الدراسة العليا، وسمينا هذا الفصل "ظهور أنور شاه ورحلته من لولاب إلى ديوبند".

والباب الثاني: يتعلق بمدرسة ديوبند التاريخية وبأسلوب العلامة أنور شاه في تدريس مادة الحديث، وفي سياق ذكر مدرسة ديوبند أشرنا إلى أن هذا المعهد الديني قد لعب دوراً كبيراً في تغير الأوضاع السياسية والاجتماعية والعائلية للمجتمع الإسلامي بوجه خاص ولسكان الهند بوجه عام ففي هذه المؤسسة العلمية والأدبية شبع نهمه العلمي ودرس الأحاديث النبوية بالدقة والإمعان وعندما أصبح مدرّسا فيها اختار أسلوباً نادراً يمتاز عن أساليب الآخرين ومنهم المتقدمون والمتأخرون. وهذا الباب يشتمل على أربعة فصول. ففي الفصل الأول حاولنا إلقاء الضوء على تاريخ إنشاء مدرسة ديوبند وعلى تدريس الحديث النبوي فيها. وقد تناولنا في الفصل الثاني طريقة أنور شاه المبتكرة لتدريس الحديث وإصلاحاته التدريسية في هذه المادة الدراسية. ومن المعلوم ان العلامة أجرى التعديلات في منهج تدريس الحديث، وهذه التعديلات والإصلاحات تشكل طريقة جديدة ممتازة لا توجد عند أساتذة الحديث الآخرين.

ويدور الفصل الثالث حول ميزات وخصائص العلامة أنور شاه في إعداد دروس الحديث النبوية ومحاضراتها. أما الفصل الرابع: فهو يحيط اللثام عن شرح أنور شاه للحديث

أثناء إلقاء محاضراته في الفصول الدراسية وقد أشرنا في هذه الخصوص إلى أن العلامة كان يبذل قصارى جهوده لإثبات فضيلة الأحناف على أصحاب المسالك الأخرى.

ويتضمن الباب الثالث: الأشعار التي قرضها الشيخ أنور شاه في المدح والرثاء والموضوعات الأخرى ويشتمل هذا الباب على فصلين: فالفصل الأول ناقشنا فيه القصائد التي قالها العلامة في مدح النبي وفي الفصل الثاني استعرضنا القصائد التي تنطوي على المراثي وعلى مدح مشايخه الأجلاء.

أما الباب الرابع: فهو من أهم الأبواب إذ هو يتضمن جهود العلامة في سبيل المحاربة والكفاح ضد الفئة الأحمدية، فوزّعناه على ثلاثة فصول؛ وقد ذكرنا في الفصل الأول تاريخ نشأة الفئة الأحمدية ومعتقداتها الأساسية، وفي الفصل الثاني ألقينا الضوء على جهود العلماء لمعارضة هذه الطائفة الجديدة بكل ما استطاع لهم الدلائل والبراهين.

أما الفصل الثالث: فقد أوضحنا فيه الوسائل التي اتخذها العلامة أنور لقلع جذور القاديانية ولبطلانها، وتجدر الإشارة هنا إلى أن العلامة كان يعتقد ان القاديانية ليست لها أي مكان في الإسلام إذ هي مردودة تماماً وقد حاول العلامة إثبات هذا الرأي في ضوء تعاليم القرآن والأحاديث النبوية وإجماع الأمة الإسلامية.

هذه هي النقاط الرئيسية التي تدور حولها محتويات هذه الرسالة ومع أننا قد بذلنا قصارى مجهوداتنا في إعداد وكتابة هذا المبحث إلا أننا استشعرنا بأننا لم نكن موفقاً في

الوصول إلى الغاية التي نشدتها في بداية الأمر وعلى كل حال، فندعو الله أن تكون محاولتنا هذه نافعة ومفيدة في إثراء تراث اللغة العربية في القارة الهندية.

وفي الختام نودّ أن نشكر جزيل الشكر لكل من له مساعدة في شكل من أشكال، فأولاً نتقدم بالشكر من أعماق قلبنا إلى مشرفنا وأستاذنا الكريم الدكتور ظهور الباري الأعظمي الذي نفخ فينا روح الدراسة والمطالعة وبمجرد عنايته الكريمة استطعنا أن نقوم بهذا العبء الثقيل، إنه أرشدنا إلى أماكن الصواب، وأنقذنا من مواطن الصعوبة والخطاء ودائماً تقدم بمساعدات غالية ونصح قيمة نافعة ومع أن الضعف قد أنهكه بسبب المرض الذي يعاني منه، لكنه لم يدّخر وسعاً في تقديم كل ما لديه من علم وفكر ومشورة ومساعدة وقادنا إلى إنهاء هذه المهمة. فندعو الله سبحانه وتعالى أن يمتعه بدوام الصحة والعافية ويتيح لنا فرصة للاستفادة من علمه العميق وفضله الجليل ونصحه الكريمة. كذلك نتقدم بالشكر إلى الأستاذ البروفسور محمد أسلم الإصلاحي وهو الذي قام بالاشراف لنا إداريّاً في الموضوع، والذي تكلف المشاق وأرهق نفسه في إعداد وتحقيق البحث وزوّدنا بمعلومات قيمة، ولم يأل جهداً في تزويدنا بما يفي بالهدف المنشود في إبراز هذه الرسالة إلى حيّز الوجود. كما يجب علينا أن نشكر الأستاذ البروفسور سيد إحسان الرحمن رئيس مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، الذي قدم لنا مشورات قيمة أثناء البحث والتحقيق وقام بتوجيهات سامية وإرشادات نافعة. وكذلك نتقدم بالشكر إلى جميع أساتذة من مركز الدراسات العربية والإفريقية بجامعة جواهر لال نهرو الذين استفدنا من توجيهاتهم وإرشاداتهم حول الموضوع. ثم نتقدم

بالشكر إلى مسئولي المكتبات المختلفة أخصها بالذكر مكتبة جامعة جواهر لال نهرو بنيودلهي، ومكتبة دار العلوم بديوبند ومكتبة مدرسة رحيمية بدلهي، ومكتبة جامعة عليغراه الإسلامية لقسم اللغة العربية وآدابها ومكتبة جامعة همدرد بنيودلهي، وفّرت لنا كلّ هذه المكتبات كافة بالتسهيلات والإمكانيات لإعداد هذا البحث. كما ونتقدم بالشكر والامتنان إلى أصدقائنا وزملائنا وهم الأخ محمد سليم القاسمي والأخ محمد عفّان النعماني، والأخ منظر عالم الفلاحي الذين ساعدونا في إعداد هذا البحث.

وكيف يتم الكلام إذا لم نشكر تلك الذات الكريم التي بيدها مقادير الإنسان وبتوفيقه يتم العمل، نشكر الله عز وجل أنه وفقنا لهذه الدراسة وكتابة هذا البحث وندعو أن يجعله خيراً للآخرين.

وله التوفيق وهو المستعان

نيودلهي في ٢٠٠٥/٧/٢٠

محـمـد أجـمـل

مركز الدراسات العربية والإفريقية

جامعة جواهر لال نهرو- نيودلهي

البـــــــــاب الأول

دراسة الحديث في الهند وظهور أنــور شاه الكشميري

الفصل الأول الاتجاهات في دراسة الحديث بالهند في القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين الميلادي ودور الحركات لإصلاح المجتمع الإسلامي في الهند

الفصل الثاني تأثير مدرسة شاه ولي الله على المجتمع الإسلامي في الهند

الفصل الثالث ظهور أنور شاه ورحلته من لولاب إلى ديوبند

الفـــصـــــــــــل الأول

الاتجاهات في دراسة الحديث بالهند في القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين الميلادي ودور الحركات لإصلاح المجتمع الإسلامي في الهند

يحق لنا أن نصرح إن القرن التاسع عشر الميلادي هو قرن خصب للهنود من النواحي الاجتماعية والحضارية، والاقتصادية، كلها ولكن الهند كانت تعاني خلاله كما كانت تعاني قبل هذا القرن من مشاكل كبيرة من قبل الاستعمار الإنكليزي الذي كان يبذل جهوده لإضعاف المسلمين من الناحية الاقتصادية، فضاعف ديونهم، وهم في وجوههم كل الوظائف الكبيرة والصغيرة، وذلك بعد أن كان المسلمون سابقاً يفوزون بأكثرها، فان المسلمين كانوا يملكون المؤهلات والكفاءة المطلوبة للوظائف، ولكنهم يمنعون عن ذلك ببلاغ رسمي. فحارب الإنكليز مدارسهم التي كانت منبع الثقافة والعلم في الهند، يتعلم فيها المسلمون والهندوس معاً، ونزعوا الأوقاف الإسلامية التي كانت موقوفة على هذه المدارس وعمدوا إلى الأغنياء الذين كانت تدفعهم حميتهم لمساعدة هذه المدارس فأرهبوهم أو أغروهم بالبعد عن المساعدة حتى كفوا عنها... فأغلق كثير من المدارس أبوابها.[1]

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان المسلمين بدأوا يحاربون المدارس الإنكليزية التي أنشأها الإنكليز حسب خطتهم، ويعملون على مقاطعتها، ليحولوا بين الشباب المسلم وبين التربية في هذه المدارس، وذلك خوفاً على عقليتهم وروحهم ودينهم[2]. فازدادوا بعد الاحتلال شدة في هذه المقاطعة، وكان منطقهم أنهم إذا كان قد ضاعت منهم سلطتهم، فليحافظوا على دينهم وروحهم بالبعد عن هذه المدارس التي بناها الإنكليز. واتخذت هذه الخطة شعار الدين والوطنية معاً، وكانت أشبه ما يكون

---

[1] أبو الحسن علي الندوي: "المسلمون في الهند"، المجمع الإسلامي العلمي لكناو ١٩٩٨، ص. ٢٨.

[2] Tarachand: "Influence of Islam on Indian culture", Allahabad, 1963, p. 34.

بالتقوقع على ثقافتهم ودينهم وتقاليدهم، خوفاً على ذلك كله من الضياع بعد ما ضاع منهم سلطانهم وتلاقت هذه النظرة الإسلامية مع أغراض الإنكليز الاستعمارية.[3]

لكن العلماء الذين يمثلون فكرة النضال ضد المستعمر ظلوا يواصلون رسالتهم في المحيط الذي يتأثر بهم، بواسطة الفتاوى والتعليم والدروس والعظات.

وبدأ هؤلاء العلماء ينشئون المدارس الدينية العربية كما يسمّون في الهند، لتعمل على الحفاظ على الثقافة الإسلامية وأدواتها الأصيلة من علوم الحديث والقرآن وتفسيرهما... والإنكليز يهيبون أن يغلقوها حتى لا ينقضوا عهودهم بعدم التدخل في الأديان[4]. ولكنهم كانوا يراقبونها ويطاردونها بأساليبهم الخاصة حتى لا تشعل فكرة النضال والمحاربة ضدهم، وكانت هذه المدارس تقوم على تبرعات المسلمين الخاصة ولا تقبل معونة من الحكومة ولا من الأغنياء المتصلين بها حتى تظل لها حريتها، وقد أعلن هؤلاء العلماء مقاطعة الإنكليز في كل المجالات التي تدخّلوا فيها..[5]

وتكونت على هذه الأسس مدرسة فكرية تزعمها علماء أكبر مدرسة وأقواها في الهند وهي: مدرسة "دار العلوم – ديوبند" التي يسمونها [أزهر آسيا] وأصبح لعلمائها نفوذ على عقول المسلمين في كل أنحاء الهند نظراً لمكانة مؤسسيها ومواقفهم في الثورة ضد الإنكليز واستمرارهم في الثورة السلمية عن طريق هذه المدرسة ولما يحمله الشعب المسلم من روح عدائية ضد المستعمر الذي سلب ملكهم، وبالغ في اضطهادهم والتنكيل بهم. ونبغ في هذه الأسر وفي من أسلم على يدها من الأسر

---

[3] محمد ميان: "علماء حق اور ان كى مجاهدانه كارنامى"، الجمعية بكدبو دهلي ١٩٦٦، ص. ٣١

[4] مجلة البعث الإسلامي: "مقالة، كتب الشيخ معراج الحق"، عدد ١٨، ربيع الثاني ١٣٩٦هـ، ط. ندوة العلماء لكناؤ، ص. ٤٦ – ٤٧.

[5] سيد محبوب رضوي: "تاريخ داالعلوم ديوبند"، مكتبة دار العلوم ديوبند ١٩٨١، ص. ٧-٩

الهندية المكرمة رجال في العلم والدين والإدارة والسياسة، وكان منهم رجال عز نظيرهم في العالم الإسلامي.

وبلاد الهند في هذه العصور دخلها رجال من المحدثين، وخرج منها رجال في طلب الحديث فتضلعوا، غير أنهم يرجع كثير منهم فلم تنتفع بهم بلادهم، وتجد في رواة الحديث عدة من رجال الهند، ومع هذا نبغ في القرن التاسع عشر شخص عبقري بارز هو شاه ولي الله الدهلوي فتضلع من علوم الهند، وكتب تأليفا هاماً [حجة الله البالغة] في أسرار أحكام الشريعة وفلسفة التشريع الإسلامي وهو كتاب مبتكر في موضوعه لا يوجد له مثيل في المكتبات العربية على سعتها، وقد أجله علماء هذا الموضوع وأعيد طبعه في مصر مراراً وتكراراً[6]. وشرّح الموطأ لمالك بشرحين، وقرر دراسة الصحاح الستة كلها مع الحصن الحصين، وجعل موطأ لمالك في الصحاح بدلاً عن ابن ماجة، وجعله أول الصحاح منزلة، فسعى في نشر الحديث حتى استوى على مستوى، وتلاه أصحابه وأنجاله الغراء. فمن أصحابه القاضي ثناء الله البانيبتي مؤلف [منار الأحكام]، منهم المحدث مرتضى البلكرامي الزبيدي مؤلف [العقود الجواهر المنيفة والإتحاف شرح الإحياء، و تاج العروس] الذي هو أشهر من أن يعرف، وهو مكتبة لغوية علمية عظيمة في عشرة مجلدات. وقد اشتهر أمر هذا الكتاب في حياة صاحبه، ومن أنجاله شاه عبد العزيز وكان بارعاً في العلم والاستحضار وحيداً في سعة الاطلاع على الحديث وسائر العلوم موفقاً لحل المشكلات والغوامض، وشاه عبد القادر المحدث والعارف وترجمان القرآن، وشاه

---

[6] ابوالحسن علي الندوي : "تاريخ دعوت وعزيمت"، ج. ٥، مجلس تحقيقات ونشريات اسلام، لكناؤ ٢٠٠٢، ص. ٢١٥-٢١٧

رفيع الدين المحدث الضليع ومن فيض هذه البيئة الولي اللهية نشأ رجال في الهند نوابغ أصحاب مؤلفات جليلة في الحديث والرجال، لا تزال تزدهر دراسة الحديث وتدريسه في هذين القرنين دون أي معاق أو زلق[7].

فزادت هذه النهضة اعتلاء وبهاء، وطبقت هؤلاء الأعيان أرجاء الهند حديثاً وسنة وقرآناً فكان من أزهـــى العصور المزدهرة في علوم الحديث، وأخذ من شاه عبد العزيز (م١٢٣٩هـــ) ابن أخيـــه شـــاه اسماعيـــل الشهـــيد وابن ابنته محمد اسحق (م١٢٦٢هـــ).[8]

وبجهود هؤلاء جهابذة العلماء ترعرعت وتشطت دراسة الحديث والسنة وإحياءها نشاطاً كبيراً فكثر المعتنون بعلوم الكتاب والسنة، وكثر دعاتها، وكثرت المؤلفات في هذا الموضوع، ونشرت كتب الحديث وشروحه بكثرة غير قليل في عصر انقراض دولة المسلمين الذي بلغت دراسة السنة وحركتها فيه منتهى الضعف.

تم تلا محمد اسحق وصاحبه عبد الغني المجددي (م١٢٩٦هـــ) غير أنه هاجر إلى المدينة المكرمة فلم يمكث عهده في الهند طويلاً، وجرت في طيبة ينابيع عليه الذي نشفه شاه ولي الله منها ثم أخذ الحديث منه أكابر –ديوبند– مثل محمد قاسم النانوتوي ورشيد أحمد الكنكوهي وعليهما تخرج المحدث محمود حسن الديوبندي، وأدرك الشيخ محمود شاه عبد الغني فاستجاز منه أيضاً ومكث في ديوبند يخدم الحديث والعلم فتخرج عليه أصحاب حديث وعلم أربى عديدهم على ألف حتى نبغ فيهم نابغة المحدث أنور شاه الكشميري فكان خير مثال لعلوم القدماء وشمائلهم في

---

[7] عبد الحي الحسني: "نزهة الخواطر" المجلد الخامس، دار عرفات راى بريلي ١٩٨٤، ص ٢٦٩

[8] محمد ابراهيم سيالكوتي: "تاريخ اهل حديث"، جمعية اهل حديث ١٩٩٥، ص. ١١٨

قوة الحافظة وشدة الاستحضار والتبحر الواسع والغوص في المشكلات، واستنباط الدقائق مع ورع وزهد وقناعة وحسن هدى وسمت من ملكات سامية لا تجتمع إلا في أفراد الأمة وأفذاذها.[9]

ولا بد أن لا نتجاهل عن المساهمة في تطوير دراسة الحديث والسنة خدمات علماء الذي يزعمون بأنهم "أهل الحديث" أو ما يسمّون بـــ "غير المقلدين". فساهموا مساهمة كبيرة في دراسة الحديث والسنة وتدريسه ونشره في أواخر القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) وتنورت بأشعتها بلاد دهلي، وولاية بهار وبنغال وجنوب الهند، بل تجاوزت إلى البلاد الإسلامية.

وقاد هذه الهيئة العلمية والإصلاحية النواب صديق حسن خان والسيد نذير حسين الدهلوي (أحد مؤسسي حركة أهل الحديث في الهند)، فخدم كل منهما خدمة خالصة جليلة علوم السنة بالتأليف والنشر ونفقة الأموال واحتضان العلم والعلماء بكل جد ونشاط، وبكل جود وحماس، أما السيد نذير حسين الدهلوي كرس نفسه على تدريس الحديث مدة طويلة تستغرق حوالي اثنين وستين عاماً.[10]

منهج التعليم والمراكز العلمية

وإن أساس تلك النهضة في البلاد الهندية أفذاذ أجلاّء تمخضت بهم العصور الحديثة، وانتهجوا في تحصيل العلوم بالمنهج النظامي (المنهج المعروف في مدارس العربية الإسلامية بـــ درس نظامي) الذي قد قام بتأسيسه "ملا نظام الدين" في بداية القرن الثامن عشر الميلادي، فنبّه شأنهم وعلا أمرهم، وذاع صيتهم، وتكونت

---

[9]. بدر عالم ميرتهي: "مقدمة فيض الباري على صحيح البخاري" ج ١، المكتبة الأشرفية ديوبند، ٢٠٠٠، ص. ٤٣

[10] عبد الرحمن الفريوائي: "جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم"، إدارة البحوث الإسلامية ببنارس ١٩٨٦، ص ٢٠-٢٢.

جمعيات سلكت سبيلهم وعملت على نشر مبادئهم، فكان لها ذلك الأثر الصالح، والسبق الواضح.[11]

أدوار مختلفة لمنهج التعليم

وفي نفس العهد لمع نجم مير زاهد، فسخر القلوب، وبهر العيون بمباحثه ومناقشاته، ونكته الدقيقة فصار يعد كأنه مؤسس منهج التعليم النظامي، فكان من تلاميذه قاضي مبارك، وأسرة الشيخ ولي الله الدهلوي الشهيرة التي تضم أبناءه الثلاثة: شاه عبد العزيز، وشاه رفيع الدين، وشاه عبد القادر، بالإضافة إلى شاه محمد إسماعيل الشهيد، وشاه محمد إسحاق، وعبد الحيء، ورشيد الدين، ومن تلاميذ هذه الأسرة المفتي صدر الدين خان، المولوي مملوك علي الذين يعدّون أساتذة الهند، وشيـــوخ العصـــر، ويرجع إليهم أصل جميع نظم التعليم المعاصر[12].

وهي نهضة عظيمة أثرت على بقية البلاد الإسلامية، فاتبعت بها معظم البلاد الإسلامية. وإن تاريخ منهج التعليم وأعداده، وأدوار التي مرّ بها، وتطوره في العهد الإسلامي طويل وعسير كذلك، وان متابعة هذه المراحل التعليمية تتطلب تحليل الظروف الممتدة إلى ثمانية قرون، وتنتشر مواد هذه الدراسة ومصادرها في كتب التراجم والتاريخ والسير وأقوال السلف الصالحين ومذكراتهم، كما يطول تاريخ أساتذة هذا المنهج، والذين رسموا هذه الخطة التعليمية، والمعاهد الدراسية التي قبلت هذا المنهج الخاص، فقد أمس الأمراء المسلمون، والسلاطين المؤمنون، محبو العلم والأغنياء والذين قاموا بتمويل هذا المنهج وإدارته، ومدارس في القرى، والمديريات

---

[11] شيخ محمد اكرام: "رود كوثر"، كلاسيكل برنترس دلهي، ١٩٥٧، ص. ٥٦٠.
[12] نفس المصدر : ص. ٥٦٢

وانشأوا شبكة للمدارس، ولا يوجد اليوم وسيلة لاستقصاء هذه المدارس، واستخراج تفاصيلها.[13]

في الواقع، وتجدر الإشارة هنا إلى أن التاريخ يدلّنا على أن العلم وصل إلى هذه البلاد مع الغزاة، وان كل تغير وقع في بلاد ما وراء النهر والعراق حيناً بعد حين، أثر على منهج التعليم السائد في الهند كذلك.

فانتشر العلم في أنحاء الهند، فلم يبق مكان إلا وقد استنار بالعلم والمعرفة، وأنجب بكثرة يندر مثيلها في أماكن أخرى.

وعندما نرفع الحواجب لسطح هذه العهود الراقية المتقدمة تجاه الدراسة والعلوم وتعلم القرآن والحديث النبوي فنجد أدوار شتى لمنهج التعليم.

ويجدر بنا أن نقسم مراحل المنهج التعليمي إلى أربعة أدوار لكي يسهل لنا أن نجمع هنا تفاصيل الكتب الرائجة في ضوء ما تذكره طبقات الادباء والشعراء، والمذكرات، أو الملفوظات أو مجموعات الكتب والكتائب.

الدور الأول :

فالدور الأول يبدأ من القرن الثاني عشر الميلادي وينتهي في القرن الخامس العشر الميلادي حيث بدأ الدور الثاني، فكانت دراسة الفنون لازمة في هذا الدور، وهي الصرف، والنحو، والبلاغة، والفقه، وأصول الفقه، والمنطق، والكلام والتصوف، والتفسير، والحديث.

---

[13] أبوالحسن علي الندوي: "المسلمون في الهند"، المجمع الإسلامي العلمي ١٩٩٨، ص٧٦.

وعندما ندرس أحوال العلماء في هذا الدور نرى أن الفقه وأصول الفقه كان مقياس الفضيلة كما يعتبر المنطق والفلسفة مقياس العلم في هذا العصر.

الدور الثاني :

أما الدور الثاني وذلك يبدأ حينما وصل الشيخ عبد الله والشيخ عزيز الله من ملتان في أواخر القرن الربع عشر الميلادي، واستوطن الشيخ عبد الله مدينة دلهي، والشيخ عزيز الله قرية سنبهل، ورحّب بهما الملك سكندر لودي ترحيباً حاراً، حتى أن الملك نفسه كان يحضر مجلسهما، وكان قد بلغ من احترامه وإجلاله لهما انه كان يجلس في زاوية من المسجد لكيلا يحدث قدومه اضطراباً في مواصلة الدرس، وكان يستمع إلى محاضرة الشيخ باهتمام ورغبة، وثم يتشرف بلقاء الشيخ عبد الله بعد انتهاء الدرس[14].

وذاعت ذروة سمعة الشيخين في أنحاء الهند لما كانا يتمتعان من تفوق علمي، ويتصفان بكمال وفضل، ويتميزان بأقرانهما، ولتشجيع الملك، أجريا تعديلات في منهج التعليم، ورفعا مستوى الدرجة، فأدخلا من مؤلفات القاضي عضد الملك، المطالع، وكتاب مفتاح العلوم للسكاكي، فأصبحت هذه الكتب متداولة بسرعة.

وفي هذا العهد نالت شروح المطالع والمواقف (*كتابان في المنطق للمنتهين*) القبول العام بمساعي تلامذة مير سيد شريف كما أدخل تلامذة تفتازاني كتاب المطول والمختصر (*في فن المعاني والبيان، ولا تزال هذه الكتب مدرجة في المنهج*) والتلويح (*كتاب هام في أصول الفقة*) وشرح عقائد نسفي (*في علم العقائد*).[15]

---

[14] أبوالحسن علي الندوي : "تاريخ دعوت وعزيمت"، ج. ٤، مجلس تحقيقات ونشريات اسلام، لكناؤ ٢٠٠٢، ص. ١٨٤

[15] زبيد أحمد : "مساهمة الهند وباكستان في الأدب العربي" مكتبة لاهور ١٩٦٨، ص. ٣٥٢.

وضم المنهج في نفس الفترة شرح الوقاية، وشرح ملا جامي، (*في الفقه الحنفي وفي النحو مزيج باستدلال منطقي*) كلها بحسب الترتيب والتنسيق.

وارتحل إلى الحجاز الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي من الهند، وهو كان يزعم أكبر عالم في ذلك العصر، قد ورد ذكره في الصفحات الأولى، ومكث في الحجاز ثلاث سنوات ونقل هذه الثروة العلمية، فعكف هو وأولاده النبغاء على نشر هذا العلم، ولكن لسوء الحظ، لم ينل هذا العلم القبول في عهدهم.[16]

الدور الثالث :

كان التحول الذي وقع في منهج التعليم في الدور الثاني قد حثّ رجاء الناس وطموحهم ورفع مستوى العلم، فطمحوا إلى رفع هذا المستوى إلى درجة أعلى، فكان قدوم الناس فتح الله الشيرازي باعثاً جديداً، حافراً على التقدم في التعليم في المعاهد التعليمية، فقبل العلماء التعديلات التي أجراها شاه فتح الله الشيرازي في المنهج الدراسي.

من اللازم أن لا ننسى في هذه الآونة محاولات الشيخ وجيه الدين العلوي الغوجراتي، فأدخل هذا الرجل البارز في المنهج مؤلفات المتأخرين، فلم تكن منطقة غوجرات وحدها المتمتعة بهذا السيل العلمي، بل وصلت روافده إلى الهند الوسطى، ولكن لم ينل هذا المنهج القبول العام إلاّ بجهود فتح الله الشيرازي الذي انتشر تلامذته وتلامذة تلامذته في أنحاء الهند المختلفة، وروّجوا هذا المنهج.

---

[16] عبد الحي : "نزهة الخواطر" ج ٥ ، ص. ٥١٩

ونهائياً، أعدّ شاه ولي الله الدهلوي حسب ذوقه وفكره منهجاً جديداً، ولكن مركز الثقل العلمي في ذلك العهد كان انتقل لأسباب سياسية من مدينة دلهي إلى مدينة لكناؤ حيث نال المنطق والفلسفة قبولاً حسناً وأهمية كبيرة، فلم يحظ هذا المنهج بالقبول والشعبية.

الدور الرابع :

يبدأ الدور الرابع من القرن الثامن عشر الميلادي، وقد قام بتأسيسه الشيخ نظام الدين بقوة وعزم وهمة، ففاق جميع المناهج وقهر الألباب، فلم يناهضه منهج آخر، ولا يزال يحتفظ بقوته وجاذبيته ولم ينقص منه شيء.[17]

لم يكن المنهج الدراسي منزّهاً عن النقائص ومواطن الضعف كلياً، فقد كانت عدة نواحيه تحتاج إلى الإصلاح والنقد والتنقيح من الناحية الفنية، لكنه كان يحمل بعض خصائص ومزايا خاصة بفضل ما كان يتسم به المسؤولون عنه والداعون إليه من صفات شخصية وروح دينية وطبيعة امتيازيه، فسرت إلى ذلك المنهج تلك الخصائص الشخصية التي تعوز المنهج الجديد للتعليم.

وكانت الميزة الخاصة التي تجدر بالذكر أن هذا المنهج والقائمين به والمسؤولين عنه كانوا رغم انهماكهم بالعلم وتبحرهم العلمي، وحذقهم في الفن وشعبيتهم والاعتراف بعظمتهم وكمالهم، لا يغفلون تزكية نفوسهم وتوثيق علاقتهم مع الله، فكانوا في الوقت الذي يبذلون فيه جهدهم لتحصيل العلم والكمال في الفن، وخدمة رجال الفن، كانوا يبحثون عن أصحاب القلب السليم والشيوخ الذين يزكون نفوسهم،

TH-17927

[17] شيخ محمد إكرام: "رود كوثر" كلاسيكل برنترس دهلي ١٩٥٧، ص ٥٦٥

فكانوا يقومون بخدمتهم ويلازمون صحبتهم ويحسبون رضاهم وحبهم تكميلاً لسعيهم وجهدهم، ولا يعترض في هذا السبيل شرفهم العلمي، وتفوقهم الفني، وقبولهم الشعبي، وكانوا يبدون كل آنفة حشمة، فإن السلاطين كانوا أمام هؤلاء المشايخ الفقراء متواضعين، فاقدي الإرادة والنفس، فكان التواضع والغيرة تمتزج بها طبيعتهم ويشكل العنصر الرئيسي على سيرتهم. ولا يمكن التجاهل عن ناحية غريبة للتاريخ العلمي للهند، وهي الشخصيات التي حكمت بعلمها العالم العلمي للهند عدة قرون، وقد أثرت على الأوساط العلمية في الهند.[18]

وكانت المدارس الشهيرة في جهان آباد، وجونبور، ولكناؤ، تستنير بهذا النور. وكان مسك الختام لهذه السلسلة العلمية الذي نال الخلود والصيت العالمي الفائق والذي قهر الهند وأفغانستان وإيران وغلب على جميع المناهج، وسحر شبكات العلم، وهو المنهج الدراسي الذي أسسه الشيخ نظام الدين السهالوي مؤسس مدرسة "فرنغي محل" (قد مرّ ذكره)، ولم يكن هذا العالم الجليل مجرداً مسترشداً، إلى شيخه من السلسلة القادرية، "الشيخ عبد الرزاق البانسوي"، بل كان مسحوراً بحبه، مغلوباً بغرامه، وتعكس كل كلمة من كتاب "مناقب رزاقية" هذا الحب والوله العميق الغامر، الذي كان يقوم بينه وبين شيخه.[19]

---

[18]. أبو الحسن علي : "تاريخ دعوت و عزيمت" ج ٤، ص ٣١٥.
[19]. محمد إكرام "رود كوثر" ص. ٢٧٤.

الحركات الإصلاحية في هذا القرن

لعبت مدرسة "فرنغي محل" دوراً بارزاً في هذه الأوضاع الخطيرة وأثرت أثراً عميقاً في تقدم البيئة العلمية والمناخ التعليمي في الهند.

تأثير مدرسة "فرنغي محل" على المجتمع الإسلامي الهندي

ساهمت مدرسة "فرنغي محل" مساهمة كبيرة في ازدهار وتطور العلوم الإسلامي في الهند، وهي أول مدرسة فكرية وعلمية في ذلك العصر، وذلك في بداية القرن الثامن عشر الميلادي[20]. وانتقلت العلوم انتقالاً سريعاً إلى طيلة زمن حتى جاء عهد شاه ولي الله الدهلوي، وفي هذه المدرسة على الأغلب انتشرت دراسة علوم المعقولات بدلاً عن العلوم المنقولات ولكنها بسرعة باهظة.[21]

وتقع مدرسة "فرنغي محل" في لكناؤ و"فرنغي محل" في الواقع حي من أحياء لكناؤ. زار تاجر فرنسي في نفس القرن الهند وأقام في هذا المكان، فسمى هذا المكان الخاص بـــ "فرنغي محل"، ثم تم نقل هذا البناء إلى الأراضي الحكومية حينما غادر التاجر الفرنسي وطنه فرنسا قبل قبل منح الملك أورنغ زيب المبنى لـــ (ملا نظام الدين)، وتم تأسيس مدرسة "فرنغي محل" وجرى التعليم فيه ثم أصبحت هذه المدرسة تدريجياً معهداً كبيراً للعلوم المعاصرة والعلوم الدينية بشمول المعقولات والمنقولات والعلوم الأخرى الضرورية.[22]

---

[20]. عبد الحي الحسني: "الهند في العهد الإسلامي"، ط. مجمع الامام احمد بن عرفان، دار عرفات، راى بريلوي ٢٠٠١، ص. ٣٦٩.
[21]. محمد مجيب :"The Indian Muslim" ط. لندن ١٩٦٧، ص. ٣٦.
[22]. شيخ محمد إكرام: "رود كوثر" كلاسيكل برنترس دلهي ١٩٥٧، ص ٥٧٨.

كان القرن التاسع عشر الميلادي قرن الازدهار Booming والتطور، كما وهذا القرن كان قرن الحركات الإصلاحية، وحاولت هذه الحركات إصلاح المجتمع الإسلامي في الهند، واعتنى المصلحون والمفكرون عناية خاصة إلى إصلاحات سياسية، دينية، اجتماعية، دراسية، علمية، وتحول انتباه الناس إلى العلوم الجديدة[23]. فأحرى لنا أن نلقى الضوء على بعض الحركات الإصلاحية المهمة التي لعبت دوراً هاماً لإصلاح المسلمين ومجتمعاتهم.

الحـــركة الفـــرائضـــية:

برزت الحركة الفرائضية للإصلاح حوالي سنة ١٨٢٠م وهي كانت حركة استقلالية، وكان مؤسسها الحاج شريعة الله (١٧٨١ – ١٨٤٠م) نزل في مدينة فريدفور في ولاية بنغـــال بعـــد أن قضى سنتين في الحجاز، وبدأ التبليغ والإصلاح في عام ١٨٢١م، وتأثرت مراكز الإصلاح الدينية أثراً بالغاً وعلماءها ومصلحيها من هذه الحركة[24]. وكان المجتمع الإسلامي في أسوأ حال، وقد تم الاحتلال عليه من الأجانب، وكانت هذه الحركة كحركة سيد احمد البريلوي في الهند وكحركة محمد بن الوهاب في الحجاز ويسمى لها أيضاً "حركة كتابية" أي مأخوذة من الكتاب والسنة[25]، وهذه الحركة كانت تعتقد بالعقائد الصحيحة وتكره الاعتقادات الباطلة المشهورة في الناس. وتوجهت هذه الحركة عنايتها إلى المجتمع الإسلامي وإصلاحه، وتعرف "الحركة الفرائضية" لأنها كانت تلتزم على القضايا الدينية الأساسية للإسلام.[26]

---

[23]. Bipan Chandra: "India's Struggle for Independence", Penguin Books, New Delhi, 1988, pp. 44.

[24]. شيخ محمد اكرام: "آب كوثر"، ط. ادبي دنيا ماتيا محل دلهي، ١٩٩٨، ص. ١٣٥

[25]. الدكتور محتار أحمد مكي: "تحريك آزادي اور هندوستاني مسلمان" ط. قاضي Publishers and distributors، دلهي الطبعة الثانية ٢٠٠٣، ص. ٦٧ – ٦٨.

[26]. Moinuddin Ahmad: "A History of the Fraidi Movement in Bengal", 1987. P. 11

حـــركـــة ديـــوبنـــد :

أدرك بعض أصحاب شاه ولي الله الدهلوي حاجة الإصلاح والإرشاد في هذا القرن بأن يبدو على أن الطبقات الراشدة الأخرى لم تكن نشيطة في الشؤون الدينية الإصلاحية، فإنها انقسمت إلى جهتين جديدتين بوجه خاص، أحدها توجهت عنايتها تجاه دراسة الفقه وكتابة الفتاوى حول قضايا عامة المسلمين، فبهذه المناسبة إنها انفصلت عن خطوط النقشبندية والمجددية وبذلت جهودها في تصفية النفس فقط. وكانت الجهة الثانية أكثرها تمثيلية اهتمت بالتمرد العسكري في إمبراطورية القديمة، يعتبره عملاً إسلامياً عن طريق الجهاد[27]، ولكنها باءت بالفشل في هذا المجال. أما السابقة فهي كانت شائعة معروفة ليست لأسرة شاه ولي الله فحسب، بل لجميع فرق من العلماء لهذا القرن. وكانت فكرة شاه ولي الله مبنية على الكتاب والسنة وتطورت بعد وفاته كمصدر أساسي وتناولت هذه الفكرة بعدد كبير من المسلمين لإنشاء المعاهد الدينية، وانبثقت هذه الفكرة انبثاقاً واسعاً وخرجت منها حركات إصلاحية كثيرة.[28]

فـــإن الـــذين كانوا يتدرسون في مدينـــة دلهي عام ١٨٤٠م منهم محمد قاسم النانوتوي (١٨٣٣ – ١٨٧٧م) الذي ساهم مساهمة كبيرة في حـــركة الإصـــلاح، و رشيد أحمد الكنكوهي (١٨٢٩ – ١٩٠٥م)، كانا يريدان إقامة المجمع العلمي في مدينة ديوبند بعد أن قامت الثورة ١٨٥٧م[29]. وكان الرجل الثالث وهو الحاج إمداد الله (١٨١٥ – ١٨٩٩) الذي أصبح صوفياً بارزاً، هاجر إلى مكة وعاش بها وتأثر به

---

[27]. Ram Gopal: "India Muslim", (A Political History), Bombay, pp. 22

[28]. زبير أحمد فاروقي: "مساهمة دار العلوم ديوبند في الأدب العربي"، دار الفاروقي نيودلهي ١٩٩٠. ص١٨.

[29]. Z. A. Desai: "Centres for Islamic Learning in India", Publications Division, Ministry of Information and Broadcasting, Government of India, New Delh, 1978, pp. 174

معظم العلماء البارعين وتلخص هؤلاء الرجال الثلاثة همتهم المبكرة خلفة كثير من العلماء في هذه العصر، وكان كل واحد منهم ينتمون إلى بلاد المجاورة ومكثوا في مدينة دلهي مدة قليلة. ثم رجعوا إلى قراهم حسب مسؤولياتهم الدينية. وفي هذه الأعوام المبكرة لعب محمد قاسم دوراً نشيطاً في مجال الإصلاح والتقويم ولاسيما في الأعمال المهمة للنشر والطباعة في مجموعات أعمال شاه ولي الله وأبناءه في خدمة الحديث ودراسته.[30]

وبعد جهد جهيد تيسّر لهم أن يعدّوا برامج إصلاحية لأداء موهباتهم الشهيرة في ضوء توجيهات السيد أحمد الشهيد. وأصبحوا نظيراً في الطريقة الصوفية في جميع أرجاء البلاد حينذاك، وخاصة بعد ما حدثت كارثة ١٨٥٧م ولا يمكن للمصلحين أن يختاروا نفس السبيل الذي اختاره سيد أحمد البريلوي، وكانت تساعد حميته في نشر تأويلاته الأصلية الذائعة للقانون وصاروا له الوارثين الدائمين.[31]

وجاء تأسيس مدرسة دار العلوم – بديوبند على رسوخ العقيدة والإيمان، والنشر المتوازن العادل للعلم والروحانية وعلى أساس الجمع بين مقتضيات القلب والعقل، من هنا سرت روح المحافظة على الشعائر الإسلامية وعاطفة الكفاح المستميت لحفظ كيان الإسلام وشوكته في جميع المنتمين إلى هذه المعهد والمنتسبين إلى هذه المدرسة الفكرية الشاملة. ولم يزل نطاق المدرسة يتسع، وصيتها يذيع، وشهرة أساتذتها في الصلاح والتقوى والتبحر في علم الحديث والفقه تطير في العالم،

---

[30] .Barbara Daly Metcalf: "Islamic Revival in British India- Deoband-1800-1900" Princeton University Press, New Jersey, 1982. P. 48

[31]. مناظر أحسن جيلاني: "سوانح قاسمي" ط. مكتبة دار العلوم ديوبند ١٩٩٣. ص. ٢٤

حتى أمها الطلبة من أنحاء الهند، ومن الأقطار الإسلامية الأخرى[32]. وكان للمتخرجين في دار العلوم تأثير كبير في حياة المسلمين الدينية في الهند، وفضل كبير في محو البدع وإزالة المحدثات، وإصلاح العقيدة والدعوة إلى الدين، ومناظرة أهل الضلال والرد عليهم، وكانت لبعضهم مواقف محمودة في السياسة والدفاع عن الوطن، وكلمة حق عند سلطان جائر[33].

وشعار دار العلوم ديوبند التمسك بالدين، والتصلب في المذهب الحنفي والمحافظة على القديم والدفاع عن السنة.

حركـــة علي غـــراه (حركـــة سيـــد أحمـــد خـــان) :

اندلعت نار الثورة في عام ١٨٥٧م، وقام الهنود بحركة عنيفة يخربون المستعمرات والمباني ويقتلون الإنكليز حيثما وجدوهم، ويدمّرون ما وصلت إليه أيديهم، وهاج الرأي العام على الإنكليز هياجاً شديداً. ولكن كان رأي السيد أحمد خان هادئاً متزناً مخالفاً للرأي العام فرأى أن هذه الثورة لا تأتي بنتيجة، وتأتي النتيجة بعودة الإنكليز إلى السيطرة مرة ثانية من غير فائدة. وأن قتل الإنكليز عمل غير إنساني. ولذلك وضع خطة الجهد مع بعض أصدقائه لمنع الإنكليز من القتل والدمار، فنجا على يده ويد أصدقائه كثير. فلما هدأت الثورة، عرف الإنكليز فضله، وحفظوا له. ومن ذلك الحين تأكدت الصلة بينه وبين الإنكليز. فبدأ أعمال الإصلاح في الشعب الهندي. ولم يعجب السيد أحمد خان هذا كله، وتساءل في حزم، فاعلة هذا الجهل

---

[32]. Sumit Sarkar: "Modern India (1855 - 1947), Mcmilan India Limited, New Delhi, 1995, 9th Ed., p. 78.

[33]. ابو الحسن علي الحسني: "الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها" ط. المجمع الاسلامي العلمي لكناؤ ١٩٨٦، ص.٢١ - ٢٢

وضيق العقل والفقر وسوء الحال؟ وأجاب في حماسة! إنه التربية؛ ومن ذلك الحين ابتدأ يضع منهج التربية التي يريدها. وصادف ذلك أن ثورة عام ١٨٥٧م كشفت لعقلاء المسلمين في الهند حالهم ووجوب تغيير موقفهم وشعورهم بتخلفهم من الطوائف الأخرى فتناغم تفكير "السيد أحمد خان" واستعداد الرأي العام المتنور، فانتج هذا التناغم حركة إصلاح تعد نقطة تحول في تاريخ المسلمين في الهند[34]. وقال مخاطباً شعبه:

"انظروا إلى إنكلترا، لقد كانت ثروتها تتمشى يوماً فيوماً مع تربيتها، كلما زادت تربيتها زادت ثروتها، وقد كانت قبل قرن عوائق التي تعوق التربية أكثر مما عندنا، ولم يكن لها إذ ذاك سكك حديدية ولا آلات ميكانيكية للطباعة وإنما كان لها سعة نظر وقوة إرادة".[35]

وأول ما بدأ به خطته في التربية أنشأ جمعية أدبية علمية في علي غراه، وكان الغرض منها إشاعة الآراء الحديثة في التاريخ والاقتصاد والعلوم، وترجمة أهم الكتب الإنكليزية إلى اللغة الأردية. وكان يرى أن تعلم هذه العلوم باللغة الإنكليزية لا يكفي إلاّ بعدد قليل من المثقفين، إنما الذي يفيد فائدة كبرى نقل هذه العلوم إلى لغة البلاد حتى يشترك في تفهمها والاستفادة منها عدد كبير، ولذلك نقل هذه الكتب الهامة من اللغة الإنكليزية إلى اللغة الأردية، ولم يمنعه إعجابه بالإنكليز ولغتهم وثقافتهم من أن يكون صلباً حازماً شديداً في طلبة نقل الكتب الإنكليزية للشعب. ولكن سرعان ما

---

[34]. Mircen Eliade (ed): "The Encyclopedia of Religion", Mcmilan Publishing Company, New York & London, vol. 7, P.57

[35]. مظهر حسين : "علي كرھ تحريك"، انجمن ترقي أردو، دلهي ١٩٨٢، ص. ٤٤-٤٥

هاج عليه الرجعيون من رجال الدين، يتهمونه بإفساد العقول وإفساد الدين والوطنية، واشتبك في حرب عوان معهم انتهت بانتصاره بوضعه الحجر الأساسي لكلية فيكتوريا بغازي فور.[36]

وسافر إلى إنكلترا وقابل كثيراً من عظمائها، ولفت نظره تربية الإنكليز الشعب أكثر مما لفت نظره إلى تربيتهم وخاصة المتعلمين. يجب تغيير كل ذلك، ووضع منهج لمسلمي الهند غير المنهج الذي يسيرون عليه. عاد السيد أحمد من إنكلترا وهو عاقد العزم إصلاح حال المسلمين في الهند عقلاً وديناً ولغة وخلقاً واجتماعاً، سواء في ذلك خاصتهم وعامتهم، مصمم على أن يغزو الجهل والجمود بكل ما يستطيع من قوة، وأن يحمل المسلمين بكل الوسائل على أن يتقبلوا المدنية الحديثة في علومها وفنونها قبولاً حسناً، ويستخدموها في ترقية حياتهم؛ وأن يبذل الجهد في التوفيق بين الإسلام والمدنية الحديثة... فالإسلام في جوهره وأصله معقول واسع الصدر لأحكام العقل غير مناهض لما يثبته العلم، فإذا نقِّيَ مما لحقه، وأن يقبل المسلمون على العلم الحديث من غير حرج.[37]

"وجعل من أول خططه بعد عودته أن ينشئ في الهند جامعة تكون للمسلمين تربى الخاصة، ثم هم يربون العامة؛ ومازال يكدّ ويسعى ويجمع المال ويبذل قصارى جهوده في سبيله و أخيراً فاز بإنشاء كلية في علي غراه المشهورة وعين لها ثلاثة أهداف:

[36] . Barbara Daly Metcalf: "Islamic Revival in British India- 1982. P. 324
[37] . Shan Mohammad: "Successor of Sayed Ahmad Khan", Idara Adabiat, Delhi. 1981. P. 16-17

١- أن تعلم المسلمين الثقافة الغربية والشرقية من غير تعصب ولا جمود.

٢- أن يعني فيها بحياة الطلبة الاجتماعي، فيجدوا فيها سكناً يقيهم من شرور المدن ومفاسدها، فيطمئن الآباء حين يرسلون أبناءهم إليها إلى أنهم في بيئة صالحة لخلقهم، مرقية لآدابهم.

٣- أن يعني في نظام الكلية بترقية العقل وتربية المدن وتهذيب الخلق معاً، وبعبارة أخرى يكون الغرض منها "التربية" لا التعليم فقط".[38]

فلما فرغ من تأسيس هذه الكلية أخذ يعمل في اتجاه آخر، فأنشأ مجلة دورية سماها "تهذيب الأخلاق" الأردية، عالج فيها المشاكل الاجتماعية والدينية في جرأة وصراحة، وأخذ يفسر القرآن، ويدعوا إلى فهم القرآن صحيحاً وإذ اتفق مع العقل وأن النظر الصحيح يوجب الاعتماد على روحه أكثر من الاعتماد على حرفيته أو كلماته وأنه يجب أن يفسر على ضوء العقل والضمير[39]. ثم كانت له فكرة عظيمة نافعة، وهي أن يجمع مؤتمراً كل عام يجتمع فيه قادة المسلمين من الأقاليم الهندية المختلفة كل عام في مدينة، يلقون فيه الخطب والمحاضرات نافعة عن الشؤون الإسلامية وأمراض المسلمين وعلاجها ويصدرون القرارات التي يرونها نافعة في ذلك. وكان الغرض الذي يرمي إليه رأي السيد أحمد منه بث روح الائتلاف بين المسلمين في البلاد الهندية، وتبادل الآراء في خبر الوسائل لترقيتهم، والتعاون على

---

[38]. عبد الحي الحسني: "نزهة الخواطر"، ج ٨، ص. ٣٩.
[39]. خليق احمد نظامي: "سرسيد اور عليكره تحريك"، ١٩٨٢، ص. ٤٥.

الأعمال المفيدة من إنشاء المدارس أو النهوض بها أو نحو ذلك[40]. وقد نفذت الفكرة ثم استمر يجتمع حياته برياسة بعض أصحابه وأتباعه، وهو يقول:

"إن النور اليوم يأتي من الغرب بعد أن كان يشرف من الشرق فيجب أن نأخذ من أوربا علومها ومدنيتها، ونسير مع الزمان في مضمار الحياة العصرية، وذلك لا يُفقد المسلمون شخصيتهم ودينهم، إنما يفقدهم ذلك الجهل لا العلم، وإن التعليم كان في الزمنِ الماضي دينياً محضاً لا يعبأ بالدنيا وما فيها وقد تطرف في الأولى وأخلّ بالثانية، وفحبّذا الجمع بين الدين والدنياً".[41]

فقد رأى مسلمو الهند ناشئة جديدة عاقلة مفكرة مهذبة تصلح للحياة و إن كلية عليغراه تنتج في البلاد حركة فكرية بديعة، وتؤلف الكتب القيمة في أسلوب جديد، وأخذت الحياة تزدهر بين المسلمين بعد خمودها، واتضح أن السيد أحمد خان مصدر نعمة وبركة، وان اختلفوا معه في بعض آرائه. ثم كانت له خطوة أخرى للاصلاح في اللغة الأردية، لقد كانت هذه اللغة قبله كاللغة العربية في عهد الظلام فكانت مجموعة عشق وغرام ومديح، فنقلها إلى آفاق واسعة، واستخدمها في موضوعاتها المختلفة من السياسة والاجتماع والأخلاق والتاريخ والأدب وكل ذلك في أسلوب متين مع القوة والسلاسة والسعة وغزير المعنى وخال من التصنع. ثم اعتنى بهذه اللغة وأدبها، ونقل كثيراً من خير الآداب الأجنبية إليها. وكان له رأى بديع في الترجمة إلى اللغة الأردية وهو عدم التقليد بالحرفية في الترجمة، ويرى أن هذا أسلوب واه

---

[40] Ram Gopal: "Indian Muslims", p. 47. .

[41] . Metcalf: "Islamic Revival in British India", P. 326

ضعيف. وإنما الواجب أخذ الأفكار وعرضها عرضاً جديداً بطريقة تتفق ذوق الهنود وتلا أفكارهم ولم تكن اللغة الأردية تشتمل على مصطلحات علمية، فحاول وضع مصطلحات اللغة الأردية التي تتناسب مع العلم وسار على هذا المنهج طلبته.[42]

حـركـــة نـــدوة العـلمـــاء :

أنشئت في سنة ١٨٩٤م جمعية باسم "ندوة العلماء" بمدينة لكناؤ وكان مؤسسوها مولانا شبلي النعماني ومولانا محمد علي المونغيري ورجال الدين الإسلامي الآخرون. وقد برزت فكرة ندوة العلماء في ١٨٩٣م بعد نشوب الخلافات بين المسلمين في اجتماع لهم بمدينة كان فور، وكان الهدف من هذه الندوة إزالة الخلافات بين رجال الدين المسلمين في الهند، ووضع برنامج تعليمي لتمكين المتخرجين في العلوم العربية من الدراسة في العلوم الحديثة أيضاً فأنشئت مدرسة باسم "دار العلوم ندوة العلماء" بمدينة لكناؤ.[43]

وتتوسط بين المدارس القديمة التي تتمسك بالقديم وترى العدول عنه ضرباً من التحريف ونوعاً من البدع، وبين الجامعات المدنية التي تقدس الجديد وتستهين بكل قديم، تتوسط بين تلك وهذه دار العلوم التابعة لندوة العلماء. وخاف مؤسسوها على المسلمين من المحافظين ومن المتطرفين، ومن اعتزال العلماء عن الحـياة وتخلفهـم

---

[42]. عطاء الرحمن: "ألواح الصناديد"، مولانا أبو الكلام آزاد أكادمي دلهي. ١٩٩٠، ص. ٥٤

[43]. عبد الحق شجاعت علي: "الدراسات العربية في الجامعات الهندية الشمالية بعد استقلال ١٩٤٧"، المعهد الديني دلهي١٩٨٩، ص. ١٤

عن ركب الثقـــافة والعلم، ومن العصبـــيات المذهبية والمشـــاجرات الفقهـــية التي قويت ونشطت في العهـــد الأخـــير[44].

وتأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم، وبين طوائف أهل السنة التي تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية، وان منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه ويحذف منه بحسب تطورات العصر وحاجات المسلمين وأحوالهم.[45]

عنيت دار العلوم بصفة خاصة بالقرآن الكريم [الرسالة الخالدة] وتدريسه ككتاب كل عصر وجيل، وعنيت باللغة العربية التي هي مفتاح فهمه وأمينة خزائنه، ووجهت عنايتها إلى تعليم هذه اللغة الكريمة كلغة حية من لغات البشر يكتب بها ويخطب، لا كلغة أثرية دارسة لا تجاوز الأحجار أو الأسعـــار كما كان الشـــأن في الهند، وقللت قسط بعض العلوم القديمة التي لا تفيد كثيراً وأبدلتها ببعض العلوم العصرية التي لا غنى عنها للعالم العصري الذي يريد أن يخدم دينه وأمته[46]. واجتهدت أن تخرج رجالاً مبشرين بالدين الإسلامي الخالد لأهل العصر الجديد شارحين للشريعة الإسلامية بلغة يفهمها أهل العصر، وبأسلوب يستهوي القلوب، أمة وسطاً بين طرفي الجمود والجحود، وقد نجحت في مهمتها نجاحاً لا يستهان بقيمته،

---

[44]. ابو الحسن علي الحسني: "أضواء على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية"، المجمع الإسلامي العلمي، ١٩٩٥، ص. ٤٢

[45]. Metcalf: "Islamic Revival in British India", P. 452.

[46]. عبد الحليم الندوي: "مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند، ط. مطبعة موري المحدودة، مدراس ١٩٨٦، ص. ٣٥.

فأنجبت رجالاً هم خير مثيل للعالم المسلم العصري، لهم آثار جميلة خالدة في الأدب الإسلامي وعلم التوحيد لأهل العصر الجديد، والسيرة النبوية والتاريخ.[47]

[47] . أبو الحسن علي الحسني: المسلمون في الهند ص. ١١٣.

الفصل الثاني

تأثير مدرسة شاه ولي الله على المجتمع الإسلامي في الهند

قد قام المحدثون والعلماء المتأخرون باعتراف الحقائق الثبوتية أيّما أثّر ونفّذ شاه ولي الله بأفكاره البالغة وابتكاراته البديعة على الأمة المسلمة الهندية المتخلفة، كيفما يمكن لبطلنا أنور شاه أن لا يتأثر بهذا المحدث الجليل البارع الذي لعب دوراً هاماً في إصلاح المجتمع الهندي الإسلامي، حيث انه بدأ مهمته بطريقة بديعة أن يحمس عامة الناس ديناً واعتقاداً، وجعل طبقة العلماء المزعومين المعاصرين أن يرغبوا في الحديث والقرآن فهماً وإدراكاً. نتشرف نبذة ببيان آثاره العلمية والفكرية.

قلما نجد بين الأئمة والأعلام الذين قاموا بدور إصلاحي واضطلعوا بأعباء التجديد الإســـلامي عبـــر القرون مثل ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي من حظي بالقبول بين الناس فلا يزال يعتز بالانتماء إليه العلماء والجماهير على حد سواء. ويفتخر بالانتساب إليه كل واحد سواء كان يعرف منهجه الفكري أولاً فنرى أن علماء الأحناف وشيوخ طائفة أهل الحديث ورجال السلوك والتصوف كلهم يدعون انهم على منهج ولي الله الدهلوي ، ولبت هذه الظاهرة استخدمت في توحيد كلمة المسلمين وسد الفجوة بين الجماعات المختلفة التي لا توجد بينها خلافات جذرية أو ترك الناس الجناية على هذا الرجل النابغ الذي اختار منهجاً وسطاً وفكراً معتدلاً في المسائل الخلافية.[1]

ولتوضيح المنهج الفكري لشاه ولي الله يلزم أن نلقى ضوءاً على الدور الذي قام به ولي الله وأنجاله في إصلاح المجتمع وتخليص الناس من الجمود الفكري والإساءة إلى أئمة الدين المهديين الذين استنبطوا الأحكام الشرعية من منابع الشرع الإسلامي الأصيلة.

---

[1]. أبو الحسن علي الحسني: "رجال الفكرة والدعوة"، المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ ١٩٩٣، ص ٢٩٥

نشأ ولي الله في فترة هذا القرن (القرن الثامن عشر الميلادي) بلغت فيها الفوضى العلمية والسياسية نهايتها فكانت الإمبراطورية المغولية قد تفككت أوصالها واضمحلت بناءها وكادت تلفظ أنفاسها الأخيرة، وأصبح الملوك الذين تتابعوا على عرش الحكم خلال تلك الفترة كأيتام بين أوصياء لئام لسلطة الشركة الإنكليزية وقوتها وضغطها البالغ على نظام الحكم القائم، وقد عاصر ولي الله تسعة ملوك ليس لهم من السلطة إلا اسمها ولا همّ لهم سوى الانغماس في الملذات والتمتع بالشهوات.[2]

أما الناحية العلمية فقد كانت عناية العلماء بالفلسفة اليونانية بلغت إلى حد التقديس، فكان شغلهم الشاغل هو التعليق والتحشية على الكتب العقلية وكانت تفعل تلك العلوم فعلها في إبعاد الناس عن العقيدة الصافية وقطع صلتهم عن مصادر التشريع الإسلامي الأصيلة.

أما عامة الناس وجماهيرهم فكانت التقاليد الخرافية تسربت فيهم ولم يبق من التصوف شيء إلا الرسوم والشعائر. في هذا الجو القائم ولد شاه ولي الله في بيت عريق في المجد وأسرة مؤمنة كريمة، وكان أبوه من العلماء البارزين الذين شاركوا في إعداد موسوعة فقهية معروفة "بالفتاوى الهندية" في القرن الثامن عشر، وأسرته كانت صوفية تتم عنها كلمة "شاه" التي لا زالت جزءاً من اسمه وأسماء آبائه وأنجاله وأحفاده. نشأ شاه ولي الله على حب الاطلاع والعكوف على العلم والعمل، ونبغ كالعباقرة وأفذاذ الرجال وقام بدور خالد في إصلاح الناس وإبقاء المسلمين على دينهم وعقيدتهم ولا تزال ترتج أرجاء الهند وأجواءها بكلماته الإصلاحية

---

[2]. عبد الرحمن الفريوائي: "جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة"، ط. إدارة البحوث الإسلامية، بنارس، ١٩٨٦، ص. ٦٩ - ٧٠

الحكيمة والمكتبات الإسلامية مزدانة بمؤلفاته وآثاره القيمة وقد حظي بالنجاح في عمله، وأنشأ جيلاً من أبناءه وتلاميذه وتلاميذ أنجاله وأحفاده، حملوا أعباء الإصلاح والتجديد الجسيمة بعده، وقاموا بالسقي والتشذيب للدوحة الزكية التي غرسها، وكل ما يشاهد اليوم من ذيوع تعاليم القرآن والسنة وانتشار التعاليم الدينية يرجع فضله إلى شاه ولي الله الدهلوي وأسرته وأنجاله وأحفاده وتلامذة أبنائه وأحفاده ونوروا جميع أنحاء الهند المظلمة بأنوار الكتاب السنة، هكذا يحدث عنه التاريخ، وكل من له نصيب في العلم ينتمي إلى بيته العلمي والفكري.[3] أما موقفه الفكري ومنهجه في فهم الكتاب والسنة فلا ينكر من له إلمام بكتبه انه لم يتخلص من النزعة الصوفية لا هو ولا أحد من أنجاله وأحفاده. ولا حاجة إلى العناء في البحث عن منهجه ونزعته الصوفية أو اشتغاله بالأعمال والعلوم التي أوجدها التصوف الشكلي لأن مؤلفاته تزخر بالدلائل الواضحة الصريحة، بل لا يخرج شيء من أفكاره وعلومه من الإطار الفلسفي الصوفي النادر أو لو قام أحد بمراجعة مؤلفاته لوجد في "أنفاس العارفين" أذواق آبائه ومعارفهم، وكتابه "ألطاف القدس" يبين لطائف النفس و "القول الجميل" يشير فيه ولي الله إلى سواء السبيل في سلوك الطرق الثلاثة المشهورة بين أهل التصوف القادرية والجشتية والنقشبندية و "التفهيمات الإلهية" تشمل على خواطره وإلهاماته، وفيها أشياء كثيرة لا نجد إلا عند ابن عربي وأحمد السرهندي ومن حذا حذوهما، والخير الكثير في علم الحقائق. و "اللمعات" و "السطعات" و "الهوامع في شرح حزب البحر" كلها من كتب التصوف، أما كتابه "تأويل الأحاديث" فقد انتهج فيها منهج ابن عربي في نصوص الحكم وان خالفه في

---

[3]. الداعي "مجلة إسلامية نصف شهرية"، عدد خاص (٤) صادرة عن مدرسة دار العلوم ديوبند، ٢٠٠١ ص. ٢٩-٣١.

بعض آرائه، وفيوض الحرمين عبارة عن مبشراته التي رآها أوان زيارته للحرمين [4]. حتى ان كتابه الهام "حجة الله البالغة" وملخصه "البدور البازغة" لا تخلوا عن مصطلحات أهل التصوف أو ما يسمونه علم الحقائق.[5]

ولاحظ شاه ولي الله الدهلوي خمس نقط في حياة الشعب الهندي:

١ ــ إن كثيراً من السلمين قصروا عنايتهم في فهم (التوحيد الإسلامي) وأحاطت بعقيدتهم غيوم من الجهالات والظنون الفاسدة والعادات الجاهلية. فلا بد من إبراز هذا (التوحيد) في نقائه وشرح ما كان عليه أهل الجاهلية من اعتقاد في الله حتى يظهر الفرق بين عقيدتهم وبين ما جاء به الإسلام.

٢ ــ الشعب الهندي ليس له اتصال مباشر بالكتاب والسنة، وقد حال العلماء بينه وبين دراسة القرآن وفهمه بعلة تعذر فهمه عامة الناس، وخوف انحلال سلطتهم الروحية وسيادتهم العلمية، فلم يترجموا ألفاظ القرآن إلى اللغة المحلية ولم ينشروا كتب الحديث، فلا بد إذن من نقل معاني القرآن وأحكامه إلى لغة البلاد، والاقبال على كتب السنة وحديث رسول الله عليه وسلم.

٣ ــ ثقافة علماء الهند ضعيفة ضئيلة في العلوم الدينية، وبضاعتهم مزجاة في الحديث خصوصاً، فلا بد من نشر علم الحديث، فدرس الصحاح والمؤطأ، وأقبل الناس على دراسة هذه الكتب حتى أصبحت للهند مكانة مرموقة في العالم الإسلامي في خدمة الحديث.

---

[4]. شاه ولي الله: "القول الجميل" ط. مكتبة اشاعت الإسلام، دلهي، طبعة رابعة ١٩٥٦، ص. ٢٣ - ٢٤

٥. شاه ولي الله: "ألطاف القدس" شاه اكادمي، دلهي، ١٩٣٤م، ص. ٤٦. بدر عالم ميرتهي: "مقدمة فيض الباري(١)"، الاشرفية ديوبند، ٢٠٠٠ ص. ٤٠.

٤ ــ لاحظ أن العالم الإسلامي سوف يستقبل عصراً عقلياً وثورة فكرية، فلا بد من إيضاح الفكرة الإسلامية وجلائها، وبيان أسرار الدين وحكمه وأصول التشريع الإسلامي، ولا بد من شرح نظام الخلافة في الإسلام، وأساليب الإسلام وأسسه في تعليم الحياة والمجتمع، فألف كتباً لا تزال فريدة من نوعها منها (حجة الله البالغة) و (إزالة الخفاء في خلافة الخلفاء).

٥ ــ لاحظ أنه لا أمل في نهضة الأسرة الملكية الهندية وتجديد شباب الدولة التيمورية، فلا فائدة في بذل القوة لاصلاحها وتقويتها، و لا بد من إعداد جماعة تحدث انقلاباً إسلامياً وتؤسس دولة إسلامية جديدة على أساس دين علمي جديد[6].

وقد قام حفيده محمد إسماعيل الشهيد بتأليف كتاب "العبقات" كمقدمة مؤلفات جده يشرح فيه العلوم الكشفية ويبين معاني وحدة الوجود والشهود، والواحد العقلي والفعلي كما يفصل أنواع التجليات وغيرها من الأبحاث الدقيقة ويقوم فيها بترجيح منهج جده وآرائه بين آراء أحمد السرهندي وابن عربي والسمناني وغيرهم.

وكانت الموافقة بين المذاهب الأربعة الفقهية إبعاد العلماء من التقليد الجامد ليس فحسب فقهاً وعملاً بل وكذلك دراسة الحديث وتدريسه وفهمه، ومن أهم أهداف شاه ولي الله الذي برز في القرن الثامن عشر كأكبر عالم ومصلح ديني في شبه القارة الهندية، وله تأثير ديني كبير في تطورات وازدهار هذه البلاد الدينية وبنيتها، فوجه انتقاده إلى قواعد الفقه وأصوله التي يترتب إليها رفض الحديث وإنكاره، ومع وجود هذه التصريحات في موقفه من الفقه. ووصية شاه ولي الله الاعتصام بالكتاب والسنة في العقيدة والعمل فيهما دائماً، واختار مذهب قدماء أهل السنة والإعراض

---

[6]. شاه ولي الله: "إزالة الخفاء في خلافة الخفاء" ص. ٩١ – ٩٥. و"الفوز الكبير" ط.شاه اكادمي، دلهي ١٩٤٤م، ص. ٥٥.
أبو الحسن علي الحسني: "الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها"، ص. ٢٣ – ٢٤.

عن تفضيل ما لم يفعلوه، وعدم الاعتناء بتشكيك أهل العقول واتباع العلماء المحدثين في الفروع، فهم قد جمعوا بين الحديث والفقه، وعرض الفروع الفقهية دائماً على الكتاب والسنة، وقبل ما يوافقهما وردّ ما يوافق. والأمة لا يمكن أن تستغني في أي وقت عن عرض مسائل الاجتهاد على الكتاب والسنة، وعدم الاستماع إلى أقوال الفقهاء الذي تمسكوا بتقليد عالم وتركوا اتباع السنة وعدم الالتفات إليهم، وطلب تقرب الحق بدونهم. ولهذه الجهود الدينية كانت له آثاراً ملموسة في تدريس كتب الأحاديث النبوية وتفهمها السمحاء وإبعاد قراء الحديث وطالبيه عن كثير من الغموض والالتباسات في تعلمه ودركه وامتنع من المباحث المنكرة غير الضرورية، وخلق جواً للاعتصام بالكتاب والسنة. ونجد آثاراً واضحة للتأثر من شاه ولي الله في أفكاره وملاحظاته في تدريس الحديث ودراسته وفهمه وتفهمه والاهتمام به[7].

فمنهج شاه ولي الله الدهلوي لا يتبنى على رفض التقليد أو دحض المذاهب الحنفي كما انه يؤكد دائماً عرض المجتهدات على السنة لمن يجتمع فيه الشرائط اللازمة وإلاّ فيؤكد بالتزام المذاهب الأربعة وعدم إساءة القول إلى الفقهاء ويصرح عن نفسه بأنه حنفي عملا، شافعي تدريساً، كما سبق نقلاً عن النسخة الخطية لصحيح الامام البخاري وقد اختار في بعض الفروع الفقهية طريقة الامام الشافعي. بل يسع لنا أن نصرح قائلاً إن الشاه ولي الله قد بنى طريقته على عرض المجتهدات على السنة والكتاب وتطبيق الفقهيات في كل باب وطريقته هذا كله مذهب حنفي ومن لطائف هذا الإسناد انه اجتمع في أوله أربعة آخرهم ابو عبد

---

[7]. أبو الحسن علي الحسني: "أضواء على الحركات الدينية والإصلاحية"، ط. المجلس الإسلامي العلمي ١٩٩٥، ص. ١٦ – ١٧.

العزيز اشتركوا في أربع خصال وذلك انهم دهلويون سكنياً، وعمريون صلبية، وانهم صوفية أصحاب الزهد والودع، وانهم حنفيون على مذهب النعمان أبي حنيفة وصاحبيه. وقصارى القول، إن هذه كلها تدل على إن الشاه ولي الله قد اتخذ منهجاً وسطاً بين الجمود الفقهي ورفض التقليد، فكل من يدعي الانتماء إليه وعليه يلزم إن لا يطعن في الأئمة المجتهدين، كما يجب على الذين يجمعون الشرائط اللازمة للاجتهاد أن يعرضوا المجتهدات الفقهية على النصوص من الكتاب والسنة، فالحقيقة أن التحول إنما حدث في شرذمة قليلة من الذين جعلوا نصب أعينهم الوقوع في الأئمة المجتهدين والإساءة إليهم مع الانتماء إلى مدرسة ولي الله الفكرية والدراسية، أما مذهب أنجاله وأحفاده فمعروفة من كتبهم ومؤلفاتهم ولا تزال روح الشاه تردد بلسان حالها مخاطباً للذين لهم سوى النيل من الأئمة المجتهدين.[8]

ونحن نعرف شاه ولي الله هو المحدث المجتهد الداعي إلى حرية الفكر، واختار لنشر أفكاره طرق التدريس، والتأليف والدعوة، والإرشاد، عكف في المدرسة الرحيمية لإنشاء جيل جديد الذي يحمل أفكاره وينشرها، وكتب وألف كثيراً في علوم التفسير، والحديث، والفقه وأسرار الشريعة، وفي مباحث الاجتهاد والتقليد، وقدم توجيهاته إلى الأمراء والسلاطين، وإلى العلماء والفقهاء، وإلى عامة الناس يذكر كل واحد منهم واجبهم الديني ويبعث فيهم روح الأمل والنشاط ليستيقظوا من سباتهم العميق، وينشطوا لمواجهة التحديات ويرجعوا إلى دين الإسلام الحقيقي[9].

---

٨. ياسين مظهر صديقي: (شاه ولي الله، فكره ومنهاجه) مقالة صدرت في مجلة الداعي "مجلة إسلامية نصف شهرية"، عدد خاص (٦) صادرة عن مدرسة دار العلوم ديوبند، ٢٠٠١ ص. ١٢.

[9]. أبو الحسن علي الحسني: "الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها"، ص. ٢٢.

هدف الشاه ولي الله :

إن شاه ولي الله الدهلوي يهدف إلى أن تتمسك الأمة المسلمة بالحق والحقيقة، وتبني على الكتاب والسنة بدل آراء الأئمة الكبار، وتميل إلى التفقه، فيقول في التفهيمات : ومنها إن أقول لهؤلاء المسلمين أنفسهم بالفقهاء الجامدين على التقليد يبلغهم الحديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد صحيح، وقد ذهب إليه جمع عظيم من الفقهاء المتقدمين، ولا يمنعهم إلاّ لمن يذهب إليه، وهؤلاء الظاهرية المنكرون للفقهاء الذين هم طراز حملة العلم وأئمة أهل الدين، انهم جميعا على سفاهة وسخافة رأى وضلالة، وإن الحق بين.[10]

وقد أحس شاه ولي الله بضرورة التوحيد بين مذهبي أبي حنيفة والشافعي لأنه رأى كثرة الأحناف في الهند وكثرة الشوافع في الحجاز، ولو أمكنه الاطلاع على كثرة الحنابلة في نجد وكثرة الموالك في السودان لأوجب التوحيد بينهما أيضاً وكذلك بين الجميع النفس السبب، والتوحيد بين المذاهب الأربعة يمكن أن ينفع ويقضي حاجة دينية. والشاه ولي الله يرى المصالح في الأحكام من روح الإسلام، ويبدو أن جمود الأفكار الفقهية كحمل ثقيل على ذهنه، وهو دائم التفكير فيه، إنه ينصح الطلاب ويفرق بين علوم الدين وعلوم الدنيا.

---

[10]. محمد إسماعيل السباغي : "حركة الانطلاق الفكري وجهود الشاه ولي الله في التجديد"، ط. إدارة البحوث الإسلامية ، بنارس ١٩٨٩، ص. ١٣٠

مسلك الشاه ولي الله:

ومن توضيح النظرية السابقة ظهر أن شاه ولي الله يرى من الواجب أن يتبع عامة الناس العلماء ويطيعوهم، ولكن لا حاجة إلى تعيين شخص للتقليد مثل الرسول، ولا يستحسن الجمود في ذلك. وقد يذكر شاه ولي الله في "حجة الله البالغة" وفي "المصفى" طائفتي غير المقلدين وأهل الرأي، ونعلم من كلامه في الكتابين أنه يعتبر الأئمة كلهم سوى أئمة الكوفة من غير المقلدين، فهم يبنون اجتهادهم واستلالهم على الكتاب والسنة لا على قواعد أساتذتهم وأساطينهم.[11]

شاه ولي الله والتقليد :

إن العمل في عصر الصحابة والتابعين كان على التقليد العام وعلى التقليد الشخصي كليهما (أي كما زعم، وإلا فالأمر على العكس) ثم لما أحسوا بالخطر المذكور (وهو اتباع الهوى) حصروا التقليد في التقليد الشخصي. ثم أورد نقولاً من كلام شاه ولي الله أجاز فيها التقليد أحياناً وأوجبه أحياناً أخرى.

والحقيقة أن لحياة شاه ولي الله مراحل عديدة، وكان قلمه السيال يعمل فيها على السواء، ويعبر عن اتجاهه في كل وقت، فكلامه الخاص بالتصوف يتضمن ما تؤيد البريلوية، ولكنهم لا يثقون بشاه ولي الله وأسرته، وإلا فيشجع شفاء العليل وغيره من كتبه الاتجاهات البدعية تشجيعاً قوياً.[12]

---

[11] . شاه ولي الله: " المصفى" ص. ١٠٧. وحجة الله البالغة: ط. مكتبة رشيدية، دلهي، ص. ١٢٨.

[12] . عبد الرحمن الفريوائي : "جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم" ، ص ١٧

اختلف آراء علماء الهند في مذهب شاه ولي الله فيجره الحنفية إلى الحنفية ويجره السلفيون إلى أهل الحديث ولكن الأولى والأحسن أن تنظر إلى ما صرح هو بنفسه في مذهبه فهو يقول:

"بعد دراسة فاحصة لكتب المذاهب الأربعة وكتب أصول الفقه والأحاديث التي يتمسكون بها، استقر في القلب بتوفيق من الله وهدايته، في طريقة الفقهاء المحدثين"[13]. ويبدو انه عالج المعاملات بنفسه عن طريق الاجتهاد والاستخراج والاستنباط.

ومع هذه الصراحة وتلك الوصية والأقوال لا يرى من البأس انتسابه إلى الحنفية والقيام ببعض الأعمال التي هي طريقة عامة الأحناف.

مكونات مدرسة شاه ولي الله واتجاهاتها :

أما العناصر المهمة لهذه المدرسة فهي تشتمل على أنجاله الأربع والسيد أحمد شهيد، وشاه إسماعيل الشهيد والشيخ عنايت علي والشيخ ولايت علي والشيخ عبد الحق البدهانوي وإلى ما ذلك من علماء قادمين فقادمين، ومن هؤلاء من ينتمي إلى الحنفية عملاً وإلى أهل الحديث عقيدة، ومنهم من ينتمي إلى الحنفية في العقيدة والعمل ومنهم من ينتمي إلى أهل الحديث عقيدة وعملاً، ولكن الذي يشترك فيه الجميع هو أنهم لم يبرزوا هذا الاختلاف قط. وتجدر الإشارة إلى أن العلماء ممن ينتمون إلى الحنفية وخاصة "علماء ديوبند" قاموا بكل اهتماماتهم وعناياتهم على تعليمات شاه ولي الله حتى انهم جعلوا مقررات دروسهم على أساس أفكار وابتكارات شاه ولي الله، بالإضافة إلى مولانا أنور شاه الكشميري الذي كرّس نفسه

---

[13]. شاه ولي الله: "حجة الله البالغة" ص. ٢٠٣. عبيد الله الأسعدي: "دار العلوم ديوبند، مدرسة فكرية توجيهة"، ط. مجمع شيخ الهند ديوبند، ٢٠٠٠، ص. ٣٣.

في تدريس الحديث النبوي على مناهج العلماء الآخرين من أساتذته البارعين الذين هم طبعاً يتعلقون بسلسلة شاه ولي الله اعتقاداً ونسباً ومن حيث العلم والفكر. كما وانه تركز حياته في إثبات ختم النبوة مجادلاً مع القاديانيين المعاصرين الذين كانوا يعتقدون إن ميرزا غلام أحمد القادياني يختم النبوة فلم يأل أنور شاه جهده مع زملائه بصراع هذه الفتنة المردودة وبقمعها أساسياً من خدماته المشكورة بدراسة الحديث وتدريسه، وتأثر أثراً كبيراً بهذا الرجل العصامي الولي اللهي فكراً وعلماً واعتقاداً[14]، وسافر من جهة إلى جهة أخرى للحصول على العلم الحقيقي، ونلقى الضوء في الفصل الآتي على حياته العلمية والدينية.

[14]. عبد الرحمن الفريواني: "جهود علماء الهند في خدمة القرآن الكريم"، ص. ١٢ – ١٣.

الفـــصـــــل الثـــــالـــث

ظهور أنـــور شـــاه ورحلته من لـــولاب إلى ديوبـــند

في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين ظهر عالم بارزعلى سماء الهند بسنا علمه وعبقريته، وملأ أرجاء الأرض بأضوائه. طلع هذا العالم البارز على أفق زهرة الربيع الدائم وجنة الدنيا "كشمير"، وامتلك ناصية العلم بمواهبه الفطرية فأصبحت شخصية فذة أنيقة ولامعة بارزة، وعرف بين الناس بذكائه النادرة وقوة ذاكرته الخارقة وعلمه الغزير واستحضاره المدهش ومقدرته العلمية العجيبة وهو محمد أنور شاه الكشميري الذي يعد في الرعيل الأول من الأئمة والأعلام، ويسجل اسمه في رأس قائمة المحدثين. كان من أفراد هذه القرون الأخيرة وأفذاذها، ونابغة هذه الدهور الذي يستحق هذه الأمة الحاضرة أن تتباهى به[1].

ولد أنور شاه في أسرة علميةٌ ودينية عريقة بقرية "وُدوان" على وزن "لُبنان" في وادي (لولاب) بولاية كشمير في عام ١٢٩٢هـ، ونشأ على حب الاطلاع والعكوف على العلم والدراسة، فكان منذ نعومة اظفاره ومستهل طفولته على داب نادر في اكتساب العلوم والمعارف فكانت تلوح على جبينه علائم الرشد وتتجلى فيه بوارق الذكاء[2].

قرأ أنور شاه القرآن الكريم متلمذاً على أبيه وخاله وتلقى العلوم العربية الابتدائية من والده الشيخ معظم علي شاه، وشيئا من الفقه والأصول والمنطق وغيره. ثم بدأ في تحصيل العلوم العربية، ففرغ من الصرف والنحو، وقدر صالح من أكثر العلوم المتداولة من الفقه وغيرها في حولين فصاعداً. فلما ارتوى و تضلع من علوم الكشمير أزعجته لواعج الارتقاء على الرحيل والاشتياق على تكميل العلوم واكتساب

---

[1]. يوسف البنوري: "نفحة العنبر في هدية الشيخ أنور"، ط. بيت الحكمت ديوبند، ١٩٩٣. ص. ٣.
والداعي "مجلة إسلامية نصف شهرية"، عدد خاص (١،٢،٣،٤) صادرة عن مدرسة دار العلوم ديوبند، ١٩٨٠ ص. ٥٩

[2]. محمد يوسف البنوري: "نفحة العنبر"، ط. بيت الحكمت ديوبند، (الطبع الثالث) ١٩٩٨، ص. ٢

المعارف لإطفاء الغليل فشحذ غرار العزيمة الصادقة للرحلة عن وطنه المألوف، فودع بلدته التي تحي القلوب والأرواح بنسائمها، وتهتز الأعطاف بأسجاع حمائمها إلى أن وصل إلى بقاع "هزاره" (من حدود الفنجاب بالغرب الشمالي) وكان محطاً لرجال مهرة العلوم الدرسية والأساتذة المتقنين وحذاق الفنون المتداولة، فمكث فيها من أقطار شتى نحو ثلاثة أعوام، وما كان أن يطمئن ما لم يصل إلى درك البحر الزاخر، وهكذا حقيقة المعارف والعلوم إذا سرت في العروق وخالطت بشاشتها القلوب وامتزجت بالقرائح والأفكار لا يطفئ الضرام، وتنادى القريحة هل إلى مزيد من سبيل[3].

وكان الشيخ أنور قد سمع سمعة بعض الأفاضل بالديار الهندية، فامتطى إليها صهوة الارتحال وأخذ بيد الترحال، فترحل إلى مدرسة دار العلوم بديوبند في عام ١٣٢٥هـ وارتوى هذا الطفل الموهوب من علوم شتى من جهابذة العلماء الربانيين كما وأخذ ينهل من علومهم ويرتوي من معارفهم حتى كسته صحبتهم علماً غزيراً وجاء في الأخلاق والآداب واكتملت هناك ثقافته. ومكث عامين وقرأ هنالك العلوم المتعارفة على الشيخ إسحاق الامرتسري، والشيخ خليل أحمد الانبيتهوي والشيخ محمود حسن الديوبندي. وبعد ما اكمل دراسته في مدرسة ديوبند اشتغل بالتدريس والإفادة بالمدرسة الأمينية بدلهي، ثم سافر إلى الحجاز فحج وزار وحصل الإجازة في الحديث من الشيخ حسين بن محمد الطرابلسي[4].

---

[3]. عبيد الله الأسعدي: "دار العلوم ديوبند، مدرسة فكرية توجيهية"، ط. أكاديمية شيخ الهند ديوبند ٢٠٠٠م، ص. ١٧.

[4]. عبد الرحمن كوندو: "الأنور" ط. ندوة المصنفين أردو بازار دلهي، ١٩٩١م، ص. ١٢.

رجوع مولانا الكشميري إلى وطنه وتأسيس مدرسة "الفيض العام" ثم عودته إلى ديوبند:

عاد الشيخ أنور إلى مستوطنه "كشمير" بعد انه مضى بضع سنين متخرجاً من "دار العلوم بديوبند" وساهم في تأسيس المدارس ودرّس وتدرس فيها بعاصمة دلهي وجوارها، ونزع إلى القيام بأداء واجبه، فقصد الرحيل إلى مألفه وامتطى هوجاء الوجد والغرام، ثم لما أقام برهة "بكشمير" واستقر عودها واختبر أهلها خبراً وإعلاماً شعر أنه في تجاهل. أخيراً هو ترحل متوجهاً إلى مستوطنه. فقام مستعيناً بالله لبناء مدرسة لتعليم الدين الحنيفي وتأييد المذهب الحنفي وخدمة السنة النبوية وتجديد معالمها وتشييد مراسمها، وبنى مدرسة سماها : "الفيض العام" أقام بها ثلاث سنين، يحمي زمار الشريعة ويجدد معالم السنة ويعمر أطلالها ورسومها. فدرس وأفتى، ونصح الأمة قلماً ولساناً، وأرشدهم إلى الصراط السوي والهدي المستقيم، فانشعب صدعهم واستقاهم ، وانقشعت سحُب الجهل المتراكمة، وتلألأت آثار السنة النبوية بعد ما اختفت، واستوصلت عروق البدعة بعد ما تأصلت[5]. وهكذا أولو العزائم العالية، والهمم الجلية، وأصحاب المآثر والجهود المباركة إذا استشعروا ملمة بالدين وحادثة في الإسلام قاموا لحسم عروقها ودفع مكيدتها، لا يمنعهم قلة ذات يدهم فنجحوا وفازوا بجدودهم المثمرة التي تبقى على صفحات التاريخ على انقراض الأعصار وتعاقب الأدوار، فنالوا وجاهة عند ربهم، وحازوا شرفاً في الخلق[6]. ثم رجع إلى ديوبند وأقام بها، وفي عام ١٣٣٣ الهجري الموافق ١٩١٤م ولى رئاسة التدريس

---

[5]. محمد يوسف البنوري: "تفحة العنبر"، ط. بيت الحكمت ديوبند، (الطبع الثالث) ١٩٩٨، ص. ٨

[6]. سيد ازهر شاه قيصر: "حيات انور"، ط. برقي بريس دهلي، ١٩٩٥، ص. ٤٥.

هناك، واستقر بالإقامة رأيه، وقام في تلك الأيام بتدريس "صحيح البخاري" و "سنن أبي داؤود" و "الجامع الترمذي" من الصحاح الستة وفوض إليه درس الكتب الثلاثة الباقية من الستة من "صحيح مسلم" و "سنن النسائي" و سنن ابن ماجة" فكانت هذه فاتحة درسه بدار العلوم الديوبندية، وهذا كان وفقاً لأمر شيخه مولانا محمود الحسن الديوبندي وكان أمره ما كان، فاستخلفه على مقامه، وجعله شيخ الحديث وصدر المدرسين بها، فودع الأمانة أهلها، وأعطى القوس باريها، فبقي أعواماً مكباً على مطالعة الكتب، سابحاً في بحارها، متنزهاً في رياضها بورع وتقوى وقناعة وزهد، مؤثراً للخمول في الناس، ومستنكفاً عن نباهة الدنيا ووجاهتها، فاستأنس بمرابع التوحيد والتفريد في عزلة وتجريد. ولا شك في أن مشيخة تدريس الحديث في الهند انتهت إليه، وظل في هذا المنصب مدة ثلاث عشرة سنة حتى حدثت فتنة المدرسة في سنة ١٣٤٦هـ ولما نشأت هذه الخلافات بينه وبين أعضاء المدرسة ألجأته إلى الاعتزال من رئاسة التدريس فغادر ديوبند.[7]

وحاذر منه أهل دار العلوم أن يهاجر هذه المشغلة ولم تقدر على ثقة إقامته عسى أن يقبل إلى ما أدبر إليه اليوم من الهجرة إلى الحجاز، فخطب له ناظم المدرسة الديوبندية ومديرها خطبة في بيئة شرف وفضل من بيت السيادة القاطمية ليكون سداً دون عزائمه وشعباً لصدع الخطرة التي كانوا يحسونها، فزوجوه بعد ما انقضت برهة وجعلوه صاحب أهل وآل، فهكذا غلب القدر وحان القضاء بما هو كائن فقضى فيها ثلث عمره، فجرت من قلبه وفيه ينابيع الحكمة ومناهل العلم والمعرفة،

---

[7]. محمد راشد الندوي: "منتخب من شعر العرب"، ط. قسم اللغة العربية جامعة عليكراه الإسلامية، ١٩٩٠، ص. ٢٤٩

حتى استفاد منها رجل من الأفاضل وأماثل العصر، وتضلع من لا يحصى عدداً من الأصاغر والأكابر، وتخرج عليه في تلك الفترة نحو ألفي خريج ونيف ممن قرأ عليه أسفار الحديث[8]. وبالجملة خدم الحديث والسنة، ودافع عن حريم الديانة، وصل في عهد إقامته بديوبند صارمه الغضب لقمع عروق الثلة الباغية الطائفة الميرزا القاديانية بلاغاً وإرشاداً ودرساً وتأليفاً، واستحث الهمم المتوانية، وحرض الجهود المتقاعدة من العلماء والطلبة وعامة الأمة المسلمة إلى مقاومة هذه الفئة الضالة المضلة، ومقامعة هذه الكارثة الدهياء حتى أيقظ الرقود ونبه عن الغفلة من أصحاب الجرائد والمجلات بمكائد هذه الحادثة الفظيعة ودسائسها، وسنناقش هذا الموضوع الهام في باب مستقل، ونفصل رأيه على آراء الآخرين من معاصريه الذين ساهموا في المعركة ضد هذه الفتنة القاديانية، ونعود إلى إيضاح هذه الأثرة الجليلة التي بها له منة عظيمة على رقاب الأمة المحمدية ما لا ينسى تقادم الأزمان وتمادي الدهور، وحمى حماه عن رزء مجحف وطامة كبرى[9].

رحيل أنور شاه من دار العلوم بديوبند ووصوله إلى مدرسة دابهيل (غوجرات):

ثم نشأ نوع تشاجر في أجواء دار العلوم بديوبند فيما بين إدارة المدرسة في جانب وأساتذتها وموظفيها من جانب آخر حتى أصبح سبباً لمغادرة أنور شاه ديوبند، فيتخذها الناس مهجورة وتأذى الشيخ أنور شاه بتلك النوائب الكارثة، وتألم بها قلبه حتى لم يلتئم جروحه الناعبة إلى آخر عمره، وكان لا ينبس بها إلاّ قليلاً ومع هذا إذا

---

[8]. سيد محبوب رضوي: "تاريخ دار العلوم ديوبند" ط. مكتبة دار العلوم ٢٠٠٠، ص. ١٠٦.
[9]. انظر شاه كشميري: "لاله وكل" ط. شاه اكادمي ديوبند، ٢٠٠٠، ص. ٦٠

ذكر منها شيئاً تراه كأن قلبه يقطر دماً، مع كونه صبوراً، يقاسي الملمات، ويعاني المرمات. وإلى هذا أشار الشيخ في بعض أشعاره فيما أرى، حيث قال :

و هل من كسير البال آذاه دهـــره		لقـــاءك إلا بالدمـــوع الســـوائل
فقـــدت به قلبي و صبري وحيلتي		ولم ألق إلاّ ريب دهر تصرما
و من عبـــرات العين ما لا أسيغه		و من غلبات الوجد ما كان همهما
و من نفثـــات الصـــدر ما لا أبثه		و من فجعات الدهر ما قد تهجما
تكفـــفت دمعـــي أو كففت عنـــانه		وصار يجاري الدهر حتى تقدما[10]

فاستقال الشيخ أنور شاه لأجله منصب درسه، واستعفى عنه وانزوى عازماً للعزلة والتجريد و الناس أصدى إلى علومه، والقلوب مجدبة مشتاقة إلى صوب مزنته، فأكب عليه الناس من كل جهة، وتهافتوا عليه من كل صوب. ووصل إلى قرية "دابهيل" من مديرية "سورت" تدعى بـــ "تعليم الدين"، فأصر بعض أصحاب الهمم العالية والعزائم السامية على أنور شاه بأن يشتغل بها في درس الحديث حتى لم يأل الشاه مأموله وأسعفه بمرامه. ولم تلبث تلك المدرسة حتى سميت واشتهرت بـــ "الجامعة الإسلامية" وأصبحت اليوم من أكبر الجوامع العلمية وأشهر المستوى الديني بساهرة الهند، وامتازت من بين سائر المجامع الدينية بحسن نظامها وإجادة أبنيتها وتشييد قصورها في بهاء منظر و زهاء ساحة ناضرة، ينثال إليه الطلبة بل العلماء والفضلاء، يشدون إليها الرحال ويضربون لها أكباد الإبل، ورؤوس من المشتاقين تقنع لمشاهدة علمها.

---

[10]. أنور شاه كشميري: "ضرب الخاتم على حدوث العالم"، ط. المجلس العلمي دابهيل، ١٤١٢م، ص. ١٤

هذا وبقي الشيخ أنور شاه فيها خمس سنين، يجود بحره الزاخر بحقائقه ومعارفه الإلهية، وتجري ينابيع السنة النبوية من فيه وصدره، ويعظ الناس بعظات بليغة مؤثرة في النفوس، حتى كنا نشاهد أن العيون تذرف دموعها، وأن القلوب تكاد تطير صدوعها إلى أن أصبح كثير من الرسوم والبدعات المحدثة ببركته، ونبتت في كثير من القلوب محبة أهل العلم وخدمة الدين والذب عن حريمه بما تيسر وأمكن، وكيف لا ؟ وقد تحضض الناس على الخير، ودعاهم إلى الحق، وأضحى نفسه لهم أسوة، ورعاً وتقوى، وعلماً وعملاً، وزهداً في الدنيا وإيثاراً للآخرة[11].

قوة ذاكرته وموهباته الفطرية :

وأنجز أنور شاه موهبات عجيبة من خصوبة العقل وقوة الذاكرة والقريحة الوقادة المندلعة والذكاء المتوقد، فما كان يسمع كلمة إلاّ ويحفظها ويعيها ويقيدها في ذهنه فلم تخنه ذاكرته مدة حياته، يقول متحدثا عن نفسه: "سمعت ببلدي "كشمير" إذ ذاك أربع سنين، رجلان يتكلمان في أن العذاب هل يكون للجسد أو للروح فاستقر رأيهما على أن العذاب لهما، ثم ضربا له مثالا فقالا: إن مثل الجسد مع الروح كمثل الأعمى والأعرج ذهبا إلى حديقة ليجنيا ثمارها، فعجز الأعمى عن أن يراها وعجز الأعرج على الأعمى وأخذ الأعمى يذهب به إلى الأشجار والأعرج يرى الثمار ويجنيها، فهذا هو حال البدن مع الروح، فالبدن بدون الروح جماد، والروح بدون البدن معطلة عن الأفعال، فاحتاج أحدهما إلى الآخر، بل كلاهما مستلزمان لكل

---

[11]. احمد رضا بجنوري: "ملفوظات محدث كشميري"، ط. بيت الحكمت ديوبند، ١٩٨٨م، ص. ١٨ – ١٩.

منهما. فلما اشتركا في الكسب اشتركا في الأجر والوزر أيضاً... وبعد مرور خمس وثلاثين سنة رأيت في القرطبي عن ابن عباس عين ما قالاه من رأيهما[12]. ويقول والده وهو أول شيخه الذي تلمذ عليه، كان يسألني في دروس مختصر القدوري أسئلة، احتاج في الإجابة عنها إلى مطالعة الهداية، ثم فوضت دراسته إلى عالم آخر، فجعل يشكو من كثرة الأسئلة رغم انه كان خارج درسه ساكتا صامتاً لا يرغب في الملاعب وكان يكتب على كتبه الدراسية وهو في فاتحة قراءته يتحير لها العلماء الأفاضل، وهكذا انه حين كان يقرأ رسائل النحو والمنطق من إمام عالم مضطبعاً كتبه التي يقرؤها فدعاه وأخذ كتبه فرأى على هوامش رسائله أنه كتب عليها حواشي ما يورث العجب من شأنه فتحير كذلك من ذكائه وحدسه، وجوده فهمه وبراعته، فجرى مرتجلاً على لسانه: بأنه سيكون غزالي عصره ورازي وقته.[13]

فكانت هذه البوارق تظهر بأنه يكون أعلم أهل عصره. كما وانه كان من نوادر العصر في قوى الحافظة، واسعة الاطلاع على كتب المتقدمين وراسخاً في العلوم العربية الدينية والعلوم العقلية. فطار صيته في الآفاق وهو لم يتجاوز العقد الثاني من عمره وظهرت براعته في الحديث والفقه والأصول والعلوم الأخرى الإسلامية واقبل عليه العلماء والباحثون والمتخصصون في العلوم الدينية للاستفادة منه، والارتواء من منهله العلمي العذب الفياض وهو في ريعان شبابه و مستهل عمره. فذلك المحدث ظهير أحسن شوق النيموي مؤلف آثار السنن مع تقدمه في السنن وبراعته في علم الحديث حتى قيل انه يفوق أستاذه أبا الحسنات عبد الحي

---

[12]. بدر عالم ميرتهي: "مقدمة فيض الباري(١)"،الطبع الأول. المكتبة الاشرفية ديوبند، ٢٠٠٠ ص. ٤٦.
[13]. محمد يوسف البنوري: "نفحة العنبر"، ط. بيت الحكمت ديوبند، (الطبع الثالث) ١٩٩٨، ص. ٢٤

اللكنوي في صناعة الحديث، يرسل كتابه قطعة بقطعة إلى الشيخ أنور شاه ليلقي عليها نظرة انتقادية فكان يسجل الشيخ آراءه وتعليقاته من فقه الحديث والمعارف والكلام على رجال الحديث وعلله حتى أصبحت تعليقاته زاداً قيماً وتحفة نادرة للأحناف[14].

الاجتناب عن الملاهي وصلاح الفطري من بدء نشأته:

الشيخ أنور شاه فانه لم يرتع ولم يلعب في أيام صباه كعادة الصبيان، ويكون صامتاً مطرقاً رأسه لم ينازع أحداً ولم يشتمه، وإذ بدأ القراءة يكون مجتهداً فيها مشتغلاً ليلاً ونهاراً، من غير أن يعروه سآمة ، فكان الناس يتحيرون من شغفه بالعلم ورغبته عما يرغب إليه الصبيان، حتى اشتهر فيهم أنه سيكون مهدياً موعوداً، فان لم يكن مهدياً موعوداً لكان مجدداً لعلوم القرآن والسنة وسائر فنون الرواية، فهكذا شهرته بالصلاح وشغفه بالعلم كانت من بدأ نشأته وصغره[15].

الخطوط البارزة في شخصيته :

كان أنور شاه عالماً موسوعاً بكل ما للكلمة من معنى، يحمل في صدره مكتبة واسعة في العلوم العقلية والنقلية والقديمة والحديثة، وكانت ذاكرته تزخر بأنواع من الدرر واللآلي من جميع الفنون التي اجتمعت لديه من مطالعات واسعة عميقة في كتب المتقدمين والمتخصصين في العلوم الطبيعية والفنون الإلهية وكتب الحقائق

---

[14]. محمد انظر شاه كشميري: "نقش دوام" ط. بيت الحكمت ديوبند، ١٩٩٦، ص.٣٤ . وعبد الرحمن كوندو: "الأنور" ص. ١٥٢

[15]. يوسف البنوري : "نفحة العنبر" ص. ٢٢.

والتصوف والهندسة والتاريخ والعلوم الغريبة من النجوم والرياضي بفنونه إلى جانب العلوم الإسلامية من التفسير والفقه والأصوليين.

حيث قال قائل : " إن العلم ليس وقفاً على قوم، بل يمكن أن يفوق شخص نشأ في زمن متأخر من سبقه من العلماء" ولا دخل للتقدم والتأخر الزماني في النبوغ العلمي، كما الشيخ عبد العزيز الدهلوي مثلاً نشأ في زمن متأخر لكنه فاق كثيراً من المتقدمين في سعة الاطلاع ودقة النظر ومكانته العلمية، وهذا الذي عناه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: " مثل أمتي كالمطر لا يدري أوله خير أم آخره"[16].

ولله در أبي العلاء المعري حيث يقول :

إني وان كنت الأخير زمانة

لآت بما لم تستطعه الأوائل

ولا شك أن الشيخ أنور شاه كان خير مثال للبراعة والتفوق على كثير ممن سبقه في بعد نظره وسعة أُفقه في العلوم، وانه قد فاق كثيراً من أساتذته.

فله مزايا نبيلة ومآثر جليلة فطرية وكسبية من الصلاح، الزهد والورع، والصبر على المكاره، وحسن السمت والمواساة مع أهل الدين والنفور من أهل الدنيا، والقناعة على الكفاف، وفرط الذكاء والاستحضار المدهش في العلوم المتداولة القديمة والحديثة والاطلاع التام على العلوم الغريبة واستبحار جميع مشكلات العلوم وغوامضها، والعلم الحافل الواسع بدقائق الكتب النادرة الغريبة المطبوعة

---

[16]. عبد الرحمان البرني: " علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث"، ط. أكاديمية شيخ الهند ديوبند ١٩٩٨م، ص. ٤٠٦

والمخطوطة، وعلو كعبه في الحقائق العالية والمعارف الإلهية التشريعية، والملكة الراسخة في صياغة الشعر المعجب الرائع في العربية والفارسية، وإدمان النظر في الكتب ليلاً ونهاراً، وحسن إلقاء الكلام في الدرس، والعدل البديع في اختلاف مذاهب الأئمة المتبوعين والمجتهدين من علماء الامصار، وظرافة الطبع مع مهابة وجلالة، وغيرها من مآثر بديعة فائقة بحيث لا يفري فريه ولا يباري عبقريه، وحقاً انه لا يناضل ولا يباري ولايجاري ولو سردنا نماذج من جميعها لطال بنا الخطب[17].

وكان من عادته مطالعة كل كتاب في أي علم كان، يتحدث عن نفسه يقول :

"ربما طالعت مجلدات ضخمة من كتاب ولم أفز منه بشيء جديد، وربما ظفرت بشيء يسير أو فائدة يسيرة"[18].

وكان يقيد في برنامجه ما تنحل به عقدة من مشكلات القرآن أو الحديث أو الفقه. كذلك إذا سنح له دليل المذهب الحنفي أو كان له تحقيق في مسألة خلاف ما ذهب إليه عامة العلماء فكان يقيده في مذكرته.

أمـــا العلـــم الذي عـــاش فيه وعاش عليه وعاش له فهو علم الحديث النبوي فكان راسخ القدم في متونه حاذقاً للفقه والخلافيـــات، مطلعات على مناقشات العلماء وآراء الأئمـــة[19]. وهو لا يزاحم في أي قضية، بل كان هو قدوة لأماثل العصر في الحاضر في حل الدقائق والمشكلات العلوم وغوامض الأبحاث العلمية والعرفانية بحيث لا يناضل ولا ينازع، وظن الأغلب بأنه حجة في علوم القرآن وعلوم الحديث النبوي، متقناً في كشف مغزاها ومرماها، وكان مداراً للأمة الإسلامية في إيضاح

---

17. أزهر شاه قيصر : "حيات أنور" ط. برقي بريس دهلي، ١٩٩٥، ص. ٤٨.
18. أنور شاه كشميري: "فصل الخطاب في مسألة أم الكتاب"، ط. المجلس العلمي، دابهيل، ١٤١٣هـ، ص. ١٣٧.
19. الداعي "مجلة إسلامية نصف شهرية"، عدد ٨، صادرة عن مدرسة دار العلوم ديوبند، ٢٠٠٢ ص. ٣٣.

معناها ومبناها، كان حافظاً موعياً لمذاهب علماء الأمة المحمدية مع التغلغل في تخريجها وتنقيحها، واعياً لأقوالهم المختلفة الشتيتة، قادراً على اختيار بعضها من بعض بترجيحها، أحاط بالعلوم العقلية والفنون الحكمية الحديثة والقديمة بالرأي الثاقب والحكم النافذ، كان نقيب العلوم العربية والفنون الأدبية غائصاً فيّ بحارها وغمارها، فكم من عوارف هو أبو عذرتها، وكم من معارف هو ابن جدتها، وكم من لطائف وغوامض قد أبدعها، وكم من أسرار وحكم قد اخترعها، وكيف لا؟ وقد نشأ في بيت التقوى والعلم، وامتاز بسلامة الطبع وفرط الذكاء وبراعة الفهم، بل رزق أعدل الطبائع في بقعة تعد من أقاليم البسيطة، ثم غذى بلبان الحكمة والعلم، وساعدته سائر الأسباب المحتاج إليها للعلم، فارتدى من مطارف أنواع العلوم والكمالات، واعتم عمائم الفضل والمزية، وتضلع من بحار الفضائل في سائر أقطار الهند، حتى ترعرع شاباً بارعاً في العلوم، بل مزنة هاطلة، فنال من علوم التفسير وعلوم الحديث جميعاً، وبلغ في علوم اللغة أمداً بعيداً، وسامى في العلوم الحكمة وفنون الدراية مكانة الجوزاء، ووصل في علوم البلاغة على طرف شاسع، ورزق من علوم الحقائق حظاً عظيماً[20].

وبالجملة كان نابغاً في التفسير والحديث، بارزاً في الأصول والفروع، مجتهداً في علوم الدراية، حافظاً مستوعباً للطبقات والتاريخ والسير، حتى صار رحلة في الأقطار لشرح مشكل الآثار، ومسنداً ثبتاً لمعاني منتقى الأخبار فأصبح لك علم وفن، وكان له من شمل الفضائل والفواضل ما نكل الألسنة عن تفصيلها، وتلعثم عن بيانها،

---

[20]. الأسعدي: "دار العلوم ديوبند، مدرسة فكرية توجيهية" ص. ١٧٦.

ويتكفف سنا المزبر عن تسطير جميعها، فآثره الله بالقريحة الوقادة، خلت القرون عن أمثالها، وأردفه بقوة الحافظ ما بلغ غاية ليس دونها غاية، حتى علمنا علم يقين ما أثر لنا من قوة الحافظة للمحدثين وسائر السلف الصالح في العهد الغابر في كتب الطبقات والرجال والتاريخ بل كأن رأيناهم رأى العين، فلم تبق لنا ريبة ولا خطرة من الوهم، فقد أبدى الصريح لنا عن الرخوة[21]. ثم مع هذه الحافظة وفقاً لغزارة المطالعة وسرعتها ما يتحير منها العقول، حتى تطوي من بين يديه ذخائر من المنكوبات العلمية كل يوم، حتى قيل عن بعض خواص معارفه، انه أول ما كان يطالع "مسند أحمد" المطبوع بمصر، كان يطالع يوم نحو مأتي صفحة منه، مع غور وإمعان في أسانيده وحل مشكلاته. ويقول الشيخ أنور: إنني طالعت أولاً "مسند أحمد" فلخصت منه أدلة الحنفية والأحاديث المفيدة في عدة أيام، ولكن مع هذه السرعة كان ينقل أحاديثه أينما احتاج له في المشكلات والمعضلات مع ضبط تام لأحوال رواتها وطبقاتها، ثم طالع "مسند أحمد" مرة ثانية في أواخر عمره لالتقاط أحاديث نزول عيسى عليه السلام منه، ثم انه تمكن من حسن الإلقاء على الطلبة والإملاء على الإشهاد بجزالة التعبير ونفاسه التحبير. وطالع في سنة ١٣٢١هـ كتاب "فتح القدير" لابن الهمام مع تكملته فقط في بضع وعشرين يوماً، وكتب تلخيصه حتى كتاب الحج وأجاب عن إيراداته التي أوردها على صاحب "الهداية" وناقش فيها في جزء لطيف، كل ذلك في تلك البرهة القصيرة، ثم استغنى عن المراجعة لنقل مباحثه في جميع المسائل مدة عمره، وحكى الشاه هذه الواقعة تحديثاً بالنعمة في عام ١٣٤٧هـ وحثا

---

[21]. رضوان الحق: "سيرت أنور" ط. ايجوكيشنل بكدبو علي كرهـ، ١٩٨٦، ص. ٢١٢-٢١٤

لأشواق الطلبة وأو أعجبهم إلى مطالعة الكتب ومقاساة الشدائد فيها[22]. ولا نرى بأساً الإشارة إلى حقيقة واقعة التي وقعت فيما بين "علماء كشمير"، انقسموا فرقتين، فرقة إلى جهة – في مسألة – وفرقة – إلى جهة – اخرى، والمسألة – كانت مسألة – وقوع الطلاق وعدمه، وكان فصل الأمر يحتاج إلى تحقق الواقعة، وكان أراده الشيخ وجاءت المجموعتان إلى حضرته يرجو كل فريق الموافقة، وكان مضطراً إلى السفر من كشمير، وما كان ينتهز فرصة – للبقاء وتحقيق الواقعة – فرأيناه متفكراً إلى الغاية فاستجوب الشيخ إن وقتكم لا يتسع للقضاء حيث يحتاج إلى تحقيق الواقعة، في نفس الأمر، فاكتفوا بالإفتاء فتهلل وجه الشاه وزال تفكره، وبين تحقيق الحكم في الجانبين بأدلة من ظهر قلبه على رأس لسانه، فكُتبَ ما أراده الشاه تفصيل، فأعجبه ولم يغير فيه حرفاً وإنما غير ما كُتبَ من وصف الشاه بالقول: "وطالع الشيخ الحبر البحر مولانا محمد أنور شاه "الفتاوى العمادية" وقال فيه : هات القلم ؟ وأخذه فمحاً منـــه كلمة "الحبر البحر" وقال بلهجة الغضب "لا اسمح لك في كتابه –وصف لي غير – "مولانا محمد أنور شاه"[23].

فناهيك بأمثال هؤلاء أعلام العصر شهوداً عدولاً قولاً وعملاً، وكثيراً ما رأينا في جملة من أسفاره في بلاد الفنجاب أنه كان يجمتع لزواره طوائف من المشائخ والعلماء المدرسون على مطالعة الفنون ليلاً ونهاراً، ويسألونه حل ما أشكل عليهم في أي كتاب من أي علم كان، فرجل يسأل في الفقه، ورجل في الحديث، وعالم في معضلات النحو، وآخر في دقائق العلوم الإلهية والطبيعية وغيره في العلوم الآلية،

---

[22]. أنور شاه كشميريي: "تحية الإسلام"، ط. المجلس العلمي دابهيل، ص. ٤. محدث عصر: "مجلة شهرية أردية"، صادرة عن [معهد الأنور ديوبند، عدد ٥-٨، ديسمبر ٢٠٠٢ - آذار ٢٠٠٣ ص. ٣٩-٤٥

[23]. يوسف البنوري: "نفحة العنبر" ص. ٢٨، أنظر شاه كشميري: "لاله وكل"، ص. ٥٨.

وواحد في التاريخ بل في مبهماته ومشكلاته، وآخر في سير المصنفين وعاداتهم، هكذا واحد بعد واحد، فتارة يخاطب هذا وتارة يجاوب هذا، وتارة ذلك ومرة ذاك، فيشتفى ويشفي، حتى ترى أنه بحر يموج، أو مزنة تهمي، أو واد يسيل، إذا شرع في الحديث خلت أنسه لا يحسن غيره، وإذا شرع في استطراد غوامض الفقه كأنها لا يعلم غيره، هكذا كان حاله في دقائق العلوم ومعارفها[24]. ولو نزل به أهل الأرض لأوسعهم علماً، وكان إذا أخذ في الحلال والحرام والفرائض يقول القائل : لا يحسن سواء، فإذا أخذ في تفسير القرآن ومعانيه يقول السامع : لا يحسن سواه، فإذا أخذ السنة والرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول القائل لا يحسن سواه فإذا أخذ في القصص وأخبار الأمم وسير الماضيين فكذلك، فإذا أخذ في أنساب العرب وقبائلها وأصولها وفروعها فكذلك، فإذا أخذ في الشعر فكذلك. ولو لم تكن هذه النظائر بين أعيننا لما تيقنا ما أسلف لنا علمائنا الغابرون في حق السلف، والآن بحمد الله كشف الغطاء عن أبصارنا فبصرنا اليوم، نرى صدق جميع ذلك، وثلجت بها صدورنا ويلم بها شعبنا، فيا لها من أمة هذه الأعلام والأحبار في آخرها، فماذا يكون الظن بأولها، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "مثل أمتي كالمطر لا يدري أوله خير أم آخره"، أو كما قال، فنظر صلى الله عليه وسلم إلى مآثر هذه وفضائلها في آخرها فاستكثرها فأعجبته فتنامى فضائل أولها، وكيف لا يكون فضل باهر وشرف زاهر لعهد النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم: "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، فالسابقون السابقون أولئك المقربون" فسبحان من أقام في

---

[24]. أزهر شاه قيصر: "حيات أنور" ص. ٧٨-٨٠

الأمة لخدمة كتابه ودينه والذب عن حريمه وحماه رجالاً في بدء هذه الأمة المختارة ونهايتها ظاهرين على الحق ينشرون العلم ويخدمون الإسلام ويصلحون ما أفسده الناس حتى يأتي أمر الله، هذا وكانت قد انعقدت حفلة تأبين عظيمة بالجامعة الإسلامية بعد وفاة الشيخ رحمه الله تعزية ورثاء[25].

أساتذة الشيخ أنور شاه الكشميري

الشيخ محمود حسن الديوبندي :

هو نابغة المحدثين من بين المحدثين الآخرين الديوبنديين، رائد النهضة العلمية والسياسية في شبه القارة، كان هو بطلاً مكافحاً عن مجد الإسلام مجاهداً متحمساً، ومربياً روحيا عظيماً، وفي مقدمة العلماء الغيورين الذين عاشوا في منتصف القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وجاهدوا لاستيعاد مجد المسلمين.

ولد بمدينة "بريلي" حيث كان أبوه الشيخ والأدب ذوالفقار علي أستاذا في الكلية الإنكليزية وهو أديب بارع في اللغة العربية في الهند، يعد من الشعراء المفلقين والأدباء البارزين وقد ترك مكتبة زاخرة ممن مؤلفاته الأدبية. تلقى الطفل الموهوب الدروس الابتدائية من علمه ثم التحق بدار العلوم في وطنه ديوبند التي كانت في طور البداية، تلمذ عن العلماء المعروفين بورعهم ورسوخهم في العلم وقرأ الحديث على الإمام الكبير محمد قاسم النانوتوي مؤسس دار العلوم بديوبند، وبعد ذلك عيّن

---

[25]. عبد الرحمن كوندو: الأنور" ، ص. ٢٩١، ويوسف البنوري: "نفحة العنبر"، ص. ١٠٩

مدرّسا في الدار نفسها، وأصبح شيخ الحديث فيها، وتولى منصب رئاسة التدريس، ولم يزل يدرّس أربعة وأربعين سنة ولقب بـــ "شيخ الهند"[26].

وقد نبغ من تلامذته العارف الكبير والمربي العظيم الشيخ أشرف علي التهانوي، والشيخ محمد أنور شاه الكشميري، والشيخ شبير أحمد العثماني، والشيخ عبيد الله السندهي، والشيخ حسين أحمد المدني، والشيخ مناظر أحسن الكيلاني وآخرون الذي قاموا بدور عظيم في خدمة العلم والدين وكانت لهم مواقف رائعة في مقاومة الاستعمار البريطاني[27]. أما الجانب الذي امتاز به الشيخ محمود حسن بين العلماء فهو دوره المثالي وجهوده وتضحياته لاستعادة مجد الإسلام والمسلمين وكفاحه العظيم في مكافحة الاستعمار البغيض، وقد فاقت عبقريته في هذا المجال كافة أقرانه وأمثاله[28].

يبقى الإنسان مشدوهاً حينما يرى عالماً دينياً المشتغل في تدريس الحديث في مدرسة إسلامية، عابداً لله سبحانه مخلصاً ومنيباً إليه، دائم التضرع إلى الله يأتي بالعجائب في الحنكة السياسية، ويقضي مضجع الحكومة البريطانية رغم قوتها وسطوتها وتضع خطة سياسية يعجز عنها كبار السياسيين والقائدين. وهو يضطرم غيظاً على الإنجليز وكل ما يمت إلى الاستعمار بصلة، دائم التألم لاوضاع المسلمين كثير الاهتمام بمطاردة الإنجليز، لا يعرف اللين والهوادة في أمرهم وقد نفخ روح

---

[26]. محمد ميان: "علماء هند كا شاندار ماضي"، ط. الجمعية بكدفو دلهي، ٢٠٠٢، ص. ١٧٨

[27]. الداعي: "مجلة شهرية" (عدد ٨) ت١ و ت٢، ٢٠٠٢، ص. ٥٢.

[28]. محمد ميان: "علمائ حق اور ان ك مجاهدانه كارنامى"، ص. ١٠٧

الجهاد في كافة المنتسبين إليه، فكان يقود العلماء والمثقفين ويناضل ضد الاستعمار البريطاني البغيض مع أتباع ابتغاء لمرضاة الله سبحانه[29].

هذا لا يكون ظلماً لو يقال انه كان إمام الحرية والاستقلال الذي عرف بشيخ الهند محمود حسن، وهو أدى رسالته وانشأ جيلاً يؤمن بفكرته ويحمل عاطفته وغيرته في طرد الإنكليز واستخلاص البلاد الإسلامية من أيدي الاستعمار وعلى أيديهم يتم الأمر، وتستعمل الهند في عام ١٩٤٧م.

الشيخ خليل أحمد السهارنفوري :

وهو محدث بارز، حصل العلوم والمعارف من مدرسة دار العلوم ديوبند مظاهر العلوم على أساتذتها المشهورين، وهو من أخص أصحاب الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي و من خلفائه، قضى حياته في الدرس والإفادة والتأليف والتصنيف في مظاهر العلوم، وقد تخرج على خلق كثير، اشتهر منهم الشيخ أنور شاه الكشميري، الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي، الشيخ المحدث زكريا السهارنفوري وغيرهم. وله شرح كبير على سنن أبي داؤد سمّاه "بذل المجهود في سنن أبي داؤد" في خمس مجلدات ضخمة، بذل فيه جهده لنصر الحنفية وسبب تأليفه هذا الشرح هو عدم وجود شرح واف لهذا الكتاب الجليل بقلم عالم حنفي يجمع بين البحر في الحديث والتضلع في الفقه. فقام المحدث السهارنفوري لسد هذا الفراغ الهائل وتدعيم الفقه الحنفي بدلائل السنة، وقد بدأ تأليف هذا الشرح بعد ظهور الجزء الأول من غاية المقصود، وعون المعبود للمحدث شمس الحق العظيم آبادي فظهور هذين الشرحين بقلم عالم

---

[29]. أصغر علي الديوبندي :"مجلة الداعي" تعريب: "عبد الرشيد القاسمي" عدد ٥، [آب ٢٠٠٠] ص. ٢٥-٢٦

سلفي كان سبباً مباشراً لهذا الشرح كما ذكر المؤلف في المقدمة، لأن منهج العظيم آبادي السلفي لم يرض الشيخ السهارنفوري[30].

أنور شاه والفقه، ونبذة من خصائصه فيه

ان الشيخ أنور شاه الكشميري ليس هو محدثاً فحسب، بل انه فقيه بارع فيه، كما ولعب دوراً بارزاً في هذا المجال، فانه طالع من الفقه وما يتعلق به تصانيف الإمام محمد بن الحسن الشيباني من كتب ظواهر الرواية و "المؤطا" وكتاب "الآثار" وكتاب "الحجة" له، بضبط وإتقان وغاية فكر وإمعان، ثم شرح الإمام السرخسي "المبسوط"، وهو شرح لكتب ظاهر الرواية التي جمعها الحاكم الصدر الشهيد في كتابه "الكافي" و "شرح السير الكبير" له، ثم ما تيسر له من تصانيف الإمام الطحاوي من "شرح معاني الآثار" و "مشكل الآثار" و "المختصر" له في الفقه، وقد قال فيما أحفظ: إني طالعت "مختصر الطحاوي" نحو عشرين مرة، ومع ذلك لم يشتف صدري في مواضع كثيرة، فهكذا طالع من كتب الفقه هذه الكتب المطبوعة بمصر والهند المتداولة بين أيدينا اليوم، ثم من الكتب الخطية ما تيسر له، حتى سمعت عنه نفسه: أفنيت بكشمير للمفتيين والعلماء في الفتاوى المشكلة وفي التي تكون آراءهم فيها مختلفة ثلاث سنين كاملة ولم أفتقر لمراجعة كتاب في تلك البرهة. ثم لم يكتف في الفقه بمطالعة الفقه الحنفي بل طالع من كبار كتب الفقه المالكي والشافعي والحنبلي ما يقضي العجب ويورث الحيرة، وكانت أكثرها غير مطبوعة عند ذلك، فهذا كتاب

---

[30]. عبد الرحمن الفريوائي: "جهود مخلصة في خدمة السنة" ص. ٢٤٠

"بدائع الصنائع" لأبي بكر الكاساني و "البحر الرائق" لإبن نجيم و "النهر الفائق" لأخيه و "رد المختار" للشامي و "كتاب الأم" للإمام الشافعي وغيرها من مبسوطات الفقه كلها كانت بمرأى عينيه، طالعها وأمثالها سطراً سطراً حرفاً حرفاً، وكان يثني كبيراً على كتاب "الأم" وعلى ذكاوة الإمام الشافعي حتى قد يقول : إني كلما أطالع كتاب "الأم" يقع في قلبي أن الإمام الشافعي من أذكياء الأمة[31].

ومن مآثر الشيخ أنور، ناسب سردها بالإجمال في هذا الباب. كان الشيخ أنور شاه يؤثر الخمول، ويجتهد أن لا يشتهر صيته، وله في ذلك وقائع بديعة، فكانت جواهره لم تتلألأ بعد في بدء عمره وشرخ شبابه. فلنبين هنا واقعة من بعض نواحي "دلهي" وكان هناك رجل يدعي العلم، بل كان أذاع: "إني حافظ عصر في الحديث"، وكان لا يقلد أحداً من الأئمة، وكان يشنع كثيراً على متبعي الأئمة المجتهدين، وكان وقاحاً جريئاً، طويل اللسان، ينال من الأئمة، ولا سيما كان يقع في شأن الإمام أبي حنيفة، فكان أعلن في تلك الأيام للمناظرة مع الحنفية، فصادف قدومه تلك الأيام، فذهب إليه للمناظرة، فقام الشيخ أنور شاه الكشميري في حفلة غاصة بالعلماء، وأعلن على رؤوس الأشهاد قال: أيها المدعي سل مني ما بدا لك من الفقه والحديث وغيرهما؟ وكل ما سأجيبك به يكون من اجتهادي، فأنا مجتهد هذا العصر، فسل ما شئت، ترى بديعاً إن شاء الله؟ فأطرق رأسه مفحماً واجماً، فبهت ودهش ولم يستطع أن يلوك كلمة. فقال الشيخ أنور شاه بلغني أنك تقعقع بالشنان: "إني حافظ الحديث" ويحك، وهل رأيت حافظاً؟ وهل تستطيع أن تسبر قدر الحافظ؟ فهذا أصح الكتب بعد

---

[31]. يوسف البنوري : "نفحة العنبر"، ص. ٨٦.

كتاب الله "الصحيح" للبخاري، فكم لك فيه من أحاديث وعيتها؟ وكم لك علوماً فيه دريتها وتلوتها؟ فاقرأ أنت علينا من "الصحيح" عن ظهر قلبك، أو أقرأ أنا؟ فقال المدعي : اقرأ أنت؟ فقال الشيخ استمع أيها المدعي، فأخذ الشيخ يقرأ من بدء "الصحيح" كما هو بين عينيه حتى قرأ منه أوراقاً منسقة منتظمة، فقال: هل يكفيك أو أزيدك؟ فحير العقول وأدهش الفحول. وكم هكذا وقعت له وقائع محيرة هي له منن على رقاب الأمة الإسلامية[32].

[32]. أحمد رضا بجنوري: "ملفوظات محدث كشميري"، ط. بيت الحكمت ديوبند، ١٩٩٠، ص. ٢٧٣. انظر شاه مسعودي: "الاله وكل" ٦٦ – ٦٧. و "نقش دوام" ص. ١٧٠. الأسعدي: "دار العلوم ديوبند، مدرسة فكرية توجيهية" ص. ٧٧

البـــاب الثـــانـــي

مدرسة ديوبند و أسلوب أنور شاه في تدريس الحديث

الفصل الأول مدرسة ديوبند و دراسة الحديث النبوي

الفصل الثاني طريقة أنور شاه المبتكرة في تدريس الحديث وإصلاحاته الدراسية

الفصل الثالث ميزات أنور شاه في محاضرات الحديث

الفصل الرابع شرح أنور شاه الكشميري للحديث ومحاولاته لتطبيق المذاهب

الفـــصـــل الأول

مـــدرســـة ديوبنـــــد و دراســـة الحـــديث النبـــوي

مضت قرون متطاولة وكان علم الحديث عديماً في ارض الهند وغلب فيها على الناس الشعر والنجوم والفنون الرياضية، وعرف علماء الهند بصناعة علم اليونان وعدم الاعتناء بالسنة والقرآن كما يحدثنا مؤلف الثقافة الإسلامية في الهند وذلك بعد ما انقرضت دولة العرب من هذه القارة وتغلبت عليها الملوك الغزنوية والغورية وتتابع الناس من خراسان والدول المتجاورة، واشتغل الناس بالعلوم العقلية أو الفقه والأصول وان لم تخلو تلك الفترة من بعض الأعلام والنوابغ في الحديث غير أن حظ بلاد الهند كان ضيئلاً من علوم السنة في عصور كانت بلاد العراق والشام ومصر حافلة بالمحدثين. فظل كتاب "مشارق الأنوار" للصغاني مداراً في دراسة علم الحديث في الهند قروناً ثم أضيفَ إليه كتاب "مشكاة المصابيح".

ومنذ القرن السابع عشر الميلادي تناوبت الهند بين الاقطار والبلاد وحملت لواء السنة والحديث أنجبت شخصيات نابغة كالشيخ علي المتقي (م ٩٧٥ هـ) مؤلف "كنز العمال" والشيخ المحدث محمد بن طاهر الفتني (م٩٨٦ هـ) مؤلف "مجمع البحار" و "المغني" في علم اسماء الرجال و "قانون الموضوعات" وغيره، والشيخ احمد بن عبد الأحد المعروف بـ بمجدد الألف الثاني (ولد ٩٧١ هـ) والشيخ عبد الحق الدهلوي (م ١٠٥٢ هـ) وهو يعتبر حقا رائد العلماء المحدثين في الهند، واليه يرجع الفضل في احياء علوم السنة ونشر معارف الحديث في الهند، لم يزل عاكفاً على الدرس والتأليف اكثر من نصف قرن اغترف من علومه رجال بارزون وتخربت لديه جماعة كبيرة[1].

---

[1]. ابو الحسن علي الندوي: "المسلمون في الهند"، ط. المجمع الاسلامي العلمي، ١٩٩٨، ص. ٣٠ – ٣١. الداعي : "مجلة عربية شهرية" تصدر عن مدرسة دار العلوم بديوبند، عدد خاص- مارس، ابريل ١٩٨٠م. ص. ٢١

وبدأت نهضة جديدة وازدهرت علوم السنة، ثم بلغت نهايتها في القرن الثامن عشر الميلادي على ايدي شاه ولي الله الدهلوي (م ١٧٦٤ الميلادي) وانجاله وتلاميذه، وازدادت عناية العلماء بشرح الحديث وكثرت الكتب والمؤلفات في سائر فنون الحديث، ونبغ امثال المحدث محمد اسحاق (م ١٢٦٢ هـ) سبط الشاه عبد العزيز الدهلوي (م ١٢٣٩ هـ)، والشيخ عبد الغني المجددي (م ١٢٢٧ هـ) والمحدث نذير حسين (م ١٣٢٠ هـ) والمحدث احمد علي السهارنفوري (، والنواب صديق حسن خان (م ١٣٠٧ هـ) والشيخ محمد قاسم النانوتوي (م ١٨٨٠ الميلادي) والشيخ عبد الحي اللكنوي (م ١٩٢٣ الميلادي) والشيخ انور شاه الكشميري (م ١٣٥٢ هـ) وانهم قاموا بخدمات مشكورة في نشر السنة والحديث[٢].

يقول الأستاذ رشيد رضا المصري : "لولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر لقضى عليها بالزوال من أمصار الشرق فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة حتى بلغت الضعف في أوائل هذا القرن الرابع عشر"[3]. كذلك ويقول الأستاذ عبد العزيز الخولي: "لايوجد في الشعوب الإسلامية على كثرتها واختلاف أجناسها من وفي الحديث قسطه من العناية في هذا العصر مثل إخواننا مسلمي الهند"[٤].

أما دور علماء مدرسة ديوبند ومشايخها خاصة في نشر علوم السنة و خدمة الحديث النبوي فهو معروف لا يُحتاج إلى البحث والتفصيل في مقالنا هذا، ونعتبر مدرسة ديوبند الفكرية جزءاً لحلقة من حلقات الجهود الرائعة للمحدث شاه ولى الله

---

[2]. عبد الرحمن الفريواني: "جهود مخلصة في خدمة السنة"، ص. ٨١ – ٨٢. شيخ محد اكرام: "موج كوثر"، ص. ٢٢٨

[3].عبد الحي الحسني: "نزهة الخواطر" ج٨، ص. ١٢٥

[4]. سيد محبوب رضوي: "تاريخ دار العلوم ديوبند" ط. مكتبة دار العلوم ديوبند، ١٩٨٤، ص. ١١٨

الدهلوي وأسرته و صورة منقحة لأفكاره و علومه، وتمثيل صادق لدعوته ومهمته وجبهة جديدة قوية لمعارضة الأفكار الخاطئة و التقاليد الخرافية.

وقد كان الشيخ المحدث عبد الغني المجددي و الشيخ محمد إسحاق سبط الشاه عبد العزيز الدهلوي مداراً للحديث في منتصف القرن الرابع عشر الهجري في بلاد الهند، قد نفع الله بهما كثيرا، وازدادت علوم السنة ازدهارا بفضل جهودهما، ولما هاجر أحدهما إلى مكة و ثانيهما إلى المدينة المنورة، فشغل مكانهما العلماء النوابغ من تلامذتهما، وفي طليعة، من تلمذ على الشيخ عبد الغني المجددي والمحدث أحمد على السهارنفوري، و الشيخ محمد قاسم النانوتوي والمحدث رشيد أحمد الكنكوهي (م ١٩٠٥ الميلادي)، و لكل واحد منهم دور رائع في نشر علوم الكتاب و السنة وعرض المجتهدات الفقهية على مصادر التشريع الأصيلة.

فقام الشيخ أحمد علي بنشر صحيح الإمام البخاري لأول مرة في بلاد الهند بعد التصحيح و التعليق عليه و التحشية والطبعة لكل من سنن الإمام الترمذي و مشكوة المصابيح، ولا تزال تلك النسخ متداولة بين العلماء إلى هذا اليوم.

الشيخ محمد قاسم النانوتوي فقد ساعد أستاذه الشيخ احمد علي في التعليق على صحيح البخاري حيث وكّل إليه الشيخ التعليق على الأجزاء الخمسة الأخيرة كما قام بإنشاء أكبر مصدر إشعاع ديني و مركز لنشر علوم الكتاب والسنة و هي جامعة ديوبند الإسلامية الشهيرة[5].

---

[5]. عبيد الله الأسعدي: "دار العلوم، مدرسة فكرية توجيهية"، ط. أكاديمية شيخ الهند ديوبند، ٢٠٠٠م، ص. ١١٤ - ١١٥

أما المحدث الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي فقد عكف على التدريس و الإفادة، و قد نشرت من أماليه في درس الحديث "لامع الدراري على جامع الإمام البخاري" و "الكوكب الدري على سنن الإمام الترمذي"، قام بضبطها تلميذه النابغ الشيخ محمد الكاندهلوي، و قد قام بالتعليق عليها فضيلة المحدث محمد زكريا الكاندهلوي (م ١٤٠٢ هـ)[6].

و على هؤلاء الشيخ الثلاثة قد تخرج عدد كبير لا يحصى به من علماء الكتاب و السنة الذين لعبوا دورا بارزا في ترويج علوم القرآن والسنة و انتهجوا منهج شاه ولى الله الدهلوي في الإفادة و التدريس.

ومن أبرز هؤلاء الأئمة المحدثين الشيخ محمود حسن المعروف بـ شيخ الهند (م ١٩٢١ الميلادي) صاحب "مواقف محمودة" و "خطة الرسائل الحريرية" لاستقلال البلاد الإسلامية و الهند من براثن الاستعمار الإنجليزي.

اسند الحديث من الشيخ محمد قاسم النانوتوي والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي والشيخ عبد الغني المجددي والمحدث احمد على السهارنفوري، وتخرج عليه أمثال الشيخ أشرف على التهانوي، الشيخ محمد أنور شاه الكشميري والشيخ حسين أحمد المدني (م ١٣٧٧ هـ)، ومن آثاره تعليقات على سنن أبى داود، والأمالي الوجيزة على سنن الترمذي و شرح تراجم أبواب البخاري وترجمة معاني القرآن.

ومن تلامذة الشيخ محمد قاسم النانوتوي النابغين الشيخ فخر الحسن بن عبد الرحمان الكنكوهي، له تعليق على سنن أبى داود سماه "التعليق المحمود" وحاشية

---

[6]. عبد الرحمان البرني: "علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث"، ط. مجمع شيخ الهند، ديوبند، ٢٠٠٠، ص. ٢٦

مختصرة على سنن ابن ماجة، والشيخ أحمد حسن الأمروهي، والشيخ محمد حسن السنبهلي صاحب المؤلفات القيمة في الفقه والحديث وانتفع بهما خلق كثير، وتخرج عليها كبار العلماء المتضلعين، في علم الحديث[7].

كما يعتبر الشيخ ماجد على المانوي والشيخ محمد يحي الكاندهلوي من تلامذة العلامة رشيد أحمد الكنوهي من كبار علماء الحديث. أما تلامذة الشيخ محمود حسن فقد نبغ فيهم أمثال الشيخ أشرف علي التهانوي (م ١٣٦٢ هـ)، أعظم ما اتفقت به الهند في إصلاح المجتمع و بث الوعي الديني، تبلغ مؤلفاته في الحديث جامع الآثار، غير ان العمل الذي يكون لتخليد ذكره في سائر العصور هو إشرافه على إعداد موسوعة حديثة باسم "اعلاء السنن" قام به ابن أخته الشيخ ظفر أحمد العثماني وهي في ثمانية عشر مجلدا، وهو في الحقيقة عمل عظيم و جهد رائع في تقريب الفقه وله خدمة جليلة في نشر السنة لا تكاد توجد لها نظير في القرون المتأخرة[8].

أما صاحب موضوع هذا البحث الشيخ محمد أنور شاه الكشميري فحدث عن البحر، ما أنجبت البلاد الإسلامية مثله خلال قرون في استحضاره المدهش وذاكرته القريحة و تغلغله في سائر أصناف العلوم، كما وعلم الحديث فكان شعاره و دثاره، عاش له وعاش فيه، و قضى حياته في خدمة السنة و ناهيك أماليه على صحيح الإمام البخاري المطبوع باسم "فيض الباري" لتقدير مدى سعة علمه و استيعاب أدلة المذاهب الأربعة و ترجيح ما هو الراجح، و دراسته العلمية النقدية[9].

---

[7]. ابو الحسن علي الحسني: "أضواء على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية"، ط. المجمع الإسلامي العلمي لكناؤ ١٩٩٥، ص. ٢٣ – ٢٥.

[8]. البرني: "علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث"، ص. ٣٥

[9]. يوسف البنوري: "تفحة العنبر" ص. ٤٥.

إن هذه الجامعة قامت بدور قيادي بارز في تنشئة المسلمين توعية إسلامية، وزيادة روحية أكسبتهم قوة الدفاع من كيان الإسلام والحفاظ على شوكته و شعائره. وقد خرّجت هذه الجامعة عددا هائلا من علماء الإسلام وأئمة الدين ورجال الفكر ورواد الحركات. و قام هؤلاء العلماء بدور هام في استعادة المجد الذي كانت فقدته الشعوب الهندية المسلمة، فأصلحوا ما فسد وتغير من أحوال المسلمين وأعمالهم، و خسوا الإسلام و المسلمين خدمات غالية في كافة نواحي الحياة العلمية و الروحية والفكرية والعقلية والاجتماعية والسياسية"[10].

لا يخفى على أي ذي علم وبصير في أن الجامعة يحق لها أن تفتخر بإنجازاتها وخدماتها في مجال علم الحديث. فإنها جعلت هذا العلم الشريف موضع اهتمام خاص لها واعتنت به عناية منقطعة النظر وسعت دائما إلى إحيائه تدريسا وتعليما وكتابة وقام أبناؤها بخدمات جليلة و لأبنائها تعليقات قيمة في علم الحديث كما سنذكرها في موضعها إن شاء الله.

و قد أوصى المشرف العام على مدرسة ديوبند الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي القائم على أمور الجامعة بالاهتمام البالغ تدريس علوم الحديث والفقه قائلا: "يجب على مدير المدرسة أن يسعى في تدريس الحديث والفقه ويأمر الطلبة يتلقوهما بتدبر وإتقان. فان الغرض الأصلي من تأسيس المدارس هو تدريس العلوم الدينية، وما عدا ذلك فإنما هو يُعَدّ آلة لهذه العلوم العربية والأدبية أو معارضا لها و مخلاً اهدافها

---

10. Mohammad Mujeeb: "The Indian Muslim" , Lahore, 1967, P. 15 - 17 .

كالفلسفة، و كذلك يتحتم على المدرسين أيضاً أن عفوا الطلبة في ذلك و يوجهوهم إلى اخذ العلوم الدينية بشوق و إمعان لا سيما علوم الحديث، فإن العناية بها أمر لازم[11].

والعناية بالحديث وبعلومه وبتعبير آخر بالسنة وعلومها، هو الجانب المميز لدار العلوم عن غيرها من الجامعات الإسلامية و المعاهد العلمية، و لجماعتها عمن سواهم، و لخدماتها عن غيرها من الخدمات العلمية، فإن عنايتها بالسنة وعلومها، ولا يستطيع أن يغفل عنها من تكلم في دار العلوم و خدماتها، ولا يكاد ينكرها من يؤلف أو يكتب في تاريخ الإسلام و المسلمين و تاريخ الدعوة الإسلامية وعلومها بالهند، بل ويتناولها ببالغ اهتمام و لائق تنويه، و قداعترف بذلك علماء الحديث في البلاد الإسلامية[12].

فلما زار الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة "المنار" وكان من علماء سوريا ومصر البارزين في القرن التاسع عشر كما زار الشيخ ديوبند وحضر درس الشيخ أنور شاه الكشميري شيخ الحديث بدار العلم ديوبند في الوقت ذاته قال: "ما رأيت قط مثل هذا الأستاذ الجليل"[١٣].

فأقبل علماء الهند عليها إقبالا كليا، بعد أن كانوا منصرفين إلى الفقه المجرد و العلوم النظرية، ولو استعرضنا لعلماء الهند من الهمة العظيمة في علوم الحديث من ذلك الحين، مدة ركود سائر الأقاليم، لوقع ذلك موقع الإعجاب الكلي والشكر العميق، وكم لعلماءهم من شروح ممتعة و تعليقات نافعة على الأصول الستة وغيرها، وكم

---

[11]. ابو الحسن علي الندوي: "المسلمون في الهند" ص. ١١٢

[12]. أبو الحسن علي الحسني: "الدعوة الاسلامية في الهند وتطوراتها"، ص. ٣١ - ٣٢.

[13]. الأسعدي: "دار العلوم ديوبند مدرسة فكرية توجيهية، حركة دعوية اصلاحية مؤسسة تعليمية تربوية" ، ٢٠٠٠، ص. ١٧٥

لهم من مؤلفات واسعة في أحاديث الأحكام، وكم لهم من أيادي بيضاء في نقد الرجال، و علل الحديث، و شرح الآثار، وتأليف مؤلفات في شتى الموضوعات[14].

ثم يأتي دور علماءنا الهنود البارزين، من أهل السنة، فمآثرهم في السنة في القرون الأخيرة فوق كل تقدير، وشروحهم في الأصول الستة تزخر بالتوسع في أحاديث الأحكام، مثل "فتح الملهم في شرح مسلم" و " بذل المجهود" و "العرف الشذي" إلى غير ذلك مما لا يحصى...."[15]

فان الحديث الشريف، أكثر عرضةً لتلاعب الجهلة الناقمين من الإسلام، الثائرين عليه، المتربصين به والكائدين له، فلابد أن يكون الاهتمام بالحديث زائدا و العناية به كبيرة، فعنيت دار العلوم بالحديث وعلومه اعتناء يليق بشأنه.

و مما يجب أن يذكر أن دار العلوم كانت سعيدة منذ أول يومها بأن كان على مشايخ الحديث فيها رجال من أبرز الشخصيات الإسلامية و العلمية، فكل من شغل هذا المنصب صار إماما في الحديث، و نابغة من نوابغه، ممتازا بين العلماء المعاصرين، لا في الهند فحسب بل في العالم الإسلامي كله.

و هناك أمر خاص دعاهم و حمّلهم إلى شدة عنايتهم بالسنة وعلومها، وهو إثارة شكوك و شبهات من المجددين و المثقفين المزعومين بالثقافة العصرية حول السنة وعلومها، وثبوتها والاحتياج بها، ومن غلاة جماعة أهل الحديث، المنابذين الأئمة الأربعة، حول كثير من المسائل الفقهية والفرعية سيما من مذهب الإمام أبى حنيفة، و معلوم أن الغالبية الساحقة لمسلمي الهند من أتباع هذا الإمام الأعظم و فقهه

---

[14]. شيخ محمد اكرام: "موج كوثر"، ط. مكتبة ادبي دنيا دلهي، ص. ٢٤٦.
[15]. البرني: "علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث"، ص. ٢٤- ٢٥

ومذهبه، وكثرت الفوضى و الضوضاء بكل ذلك في أوائل أيام قيام هذه الجامعة إلى سنين طويلة، فاقتضى خصوص أحوال هذه البلاد و ظروفها أن يتوجهوا إلى ذلك بكل إمكانياتهم، أقصى وسائلهم العلمية و المادية[١٦].

المناقشة في خدمة علماء ديوبند للسنة المطهرة و علومها من نواح عديدة و كلها طبعا مهمة، نذكر بعضها هنا إجمالا:

(١) المقررات المدرسية (٢) دارسة الحديث و طريقة التدريس

(٣) مزايا دراسة الحديث في دار العلوم (٤) التأليف في الحديث وعلومه

ـ المقررات الدراسية:

المقرر الدراسي في الحديث وعلومه بمدرسة "دار العلوم ديوبند"، أوسع المقررات الرائجة في الجامعات الإسلامية في شبه القارة التي تتبع منهج دار العلوم بديوبند و مقرراتها الدراسية. فمنها الصحاح الستة، والموطأ بكلتي الروايتين (رواية يحيى بن يحيى المصمودي و رواية محمد بن الحسن الشيباني) "و شرح معاني الآثار" للإمام الطحاوي، و "كتاب الشمائل" للترمذي، و"مشكاة الآثار" للشيخ محمد ميان الدهلوي، و "زاد الطالبين" للشيخ عاشق الهي البرني، الثلاثة الأخيرة من مؤلفات علماء دار العلوم[١٧].

هذه الكتب من متون الحديث، أما من علومها فهي "المقدمة" لابن الصلاح، و " نزهة النظر شرح نخبة الفكر" للحافظ ابن حجر، و "المقدمة" للشيخ عبدالحق

---

[16]. عبيد الله الأسعدي: "مؤسسة فكرية الخ" ص. ١٧٩

[17]. البرني: " علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث"، ص. ٣٠

الدهلوي. و لهم اهتمام بالغ بأن لا يفوت حديث من أمهات الصحاح الستة، و لا يرضون باختيار أبواب معينة منها فقط، فالتلاميذ يقرؤون على الشيوخ و هم يسمعون ــ و قد يقرأ الشيخ والطلاب يسمعون ــ جميع الكتب الستة من أولها إلى آخرها. و لا يعطون شهادة الفراغ للطلاب والمتخرجين إلا بنهاية دارسة الصحاح الستة مع كتب أخرى من الحديث[18].

ــ دراسة الحديث و طريقة التدريس

دراسة الحديث وعلومه في دار العلوم. أصبحت الميزة الأولى الرئيسية من بين مزاياها الكثيرة، وهي العناية بتدريس الحديث بتعمق و اهتمام. لذلك لما زار السيد رشيد رضا صاحب مجلة "المنار" (و هو تلميذ الشيخ محمد عبده المصري) دار العلوم بديوبند و حضر دروس الشيخ أنور شاه الكشميري شيح الحديث بدار العلوم قال:

"لولا رأيتها لرجعت من الهند حزينا"[19].

و هذا مع عناية زائدة في دار العلوم ديوبند بتدريس الحديث مع أدب واحترام، ودراسة مقارنة، و محاكمة استدلالية، وإثبات المذهب الحنفي و ترجيحه. فان الدروس تتلقى غاية التدقيق و التحقيق مع الاهتمام الزائد ببيان أسماء الرجال، و تحديد درجة الرواة، والبحث عن متون الأحاديث و أسانيدها، و باستيضاح المذاهب الأربعة المتبعة مع أدلتها في غاية التحقيق و التفضيل من غير تعسف و تعصب،

---

[18]. حبيب الرحمان قاسمي: "دار العلوم ديوبند ايك اجمالى تعارف" ط. مكتبة دار العلوم ديوبند، ١٩٩٤، ص. ١٥

[19]. أضواء على الحركات والدعوات الدينية والاصلاحية مدارسها الفكرية ومراكزها التعليمية والتربوية في الهند لأبي الحسن علي الندوي، ص. ٢٢- ٢٥

ترى في حلقة الحديث طلابا تختلف مذاهبهم وآراؤهم إلا أنه لا يجرح شعورهم في بيان الأدلة وعرض المذاهب والمناقشة فيها[٢٠].

ـ مزايا دراسة الحديث في دار العلوم

ومن أجلّ الخصائص التي عرفت بها دار العلوم في دراسة الحديث ما يلي:

* إلقاء الضوء أولاً على غرض الشارع من النصوص التي يعتصم بها أهل كل مذهب من المذاهب الأربعة، وإن كان هناك فيه شيء من الغموض فيشرحونه شرحاً يرتاح له القلب.

* إنهم لا ينيطون شرح الأحاديث المشكلة و المتعارضة بلفظ واحد أو طريق واحد بل يتفقدون جميع الألفاظ المروية – عن طرق مختلفة للحديث – و يتوخّون فيها لفظ الشارع.

* إنهم يعتنون أشد اعتناء في إفصاح منشأ ما وقع بين الأمة من الاختلاف البيّن في الأعمال التي جرى التعامل بها – مأثوراً في الأمة كرفع اليدين، و تعيين مواضعه، و الوتر و تعيين ركعاته، و صلاة الجمعة و شروط أدائها، و ما شكلها من المسائل الأخرى التي تباينت فيها الأقوال فهم يعتنون – في الدرس– كثيراً بهذه الناحية و يقربون هذا الاختلاف، و أن أصحاب المذاهب معذورون فيه، و هذا أمر مهم

---

[20]. الأسعدي: "مؤسسة فكرية توجيهية" ص. ١٨٢.

جدا، و أن الإهمال لهذا الجانب يفضي إلى سوء الظن بالتعامل و النقل، وانه أقوى حجة في الباب.

* إنهم لا يتعصبون لأقوال الأحناف بل يحرصون دائما على الأخذ بالكتاب والسنة، والعمل بما يوافق السنة الصحيحة، وان كان يخالف ذلك آراء الأحناف، عملا بما روي من الإمام الأعظم من أنه ما صح عن الرسول فهو مذهبي.

* إنهم يوجهون الطلاب إلى ما في الحديث من نواحي خلقية، لتكون حياتهم طاهرة نقية متحلية بالأسوة النبوية.

* وذلك مع كل التأدب مع الأئمة الأعلام والاحترام لآرائهم فلا يصدر من أحد من قول أو فعل- ما يمس كرامة الأئمة وعلماء الأمة السابقين بل جميع الطلبة و الأساتذة يخضعون لمكانهم العلمية الكبيرة السامية، و يشكرون لجهودهم الجميلة المشكورة، و أعمالهم الرائعة في نشر الدين وحفظه، ويعترفون بجملهم التي أسدوها إلى الأمة الإسلامية وأبقوا به الدين في صورته الأصلية النقلية.

* وإنهم يفضلون الجمع بين ما تعارض من الروايات قدر ما أمكن، وإذا رجّحوا مذهبا و مالوا إلى العمل بحديث لم يهجروا ما عارضه أيضا ولا التجأوا إلى تضعيفه، بل جعلوا له محملا يرتاح له القلب و تطمئن به النفس[٢١].

---

[21]. البرني: "علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث"، ص. ٥٢ – ٥٥. و الأسعدي: "مؤسسة فكرية" ص. ١٨٢ - ١٨٤

نشـــر الحـــديث وعـــلومـــه

شرحا و تحشية، تحقيقا و تأليفا و تصنيفا:

و هكذا فقد كان لعلماء ديوبند خدمات جليلة مشكورة في نشر الحديث بطبع كتب الحديث وعلومه، وبالتأليف فيه، فقد اعتنوا بذلك -أيضا- عناية كبيرة، فألفوا وكتبوا في مجالات متنوعة من السنة و علومها، كما انهم اهتموا بنشر التراث القديم القيم و إخراجه من خزائن المكتبات و دفائن البيوت. والجدير بالذكر أن نصفها بل أكثرها بالعربية. و نشير فيما يلي إلى أهم أعمالهم العلمية في هذا المجال:

ألف: قد شرح جماعة منهم الصحاح الستة وغيرها من الكتب المتداولة أو من المقررات الدراسية عندهم، و ألفوا في بعض ما يتعلق بها من النواحي العلمية، أو الأبحاث الجزئية، وكل ذلك بكلتي اللغتين العربية والأردية، بل في غيرهما أيضا من اللغات المحلية لولايات و بلدان مختلفة، و بيانها، بالاختصار كالأتي:

(١) **صحيح البخاري:** شرحه بالعربية الشيخ عبد الرؤوف الهزاروي بعنوان: "فضل الباري في فقه البخاري"، وبالأردية توجد عدد كبير من الشروح، منها: "تحفة القاري بحل مشكلات البخاري" للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، و " فرحة القاري عن صحيح البخاري" للشيخ شير زمان الهزاروي، و "الكوثر الجاري في شرح البخاري" للشيخ عبد الرحمن المدني، و "تلخيص البخاري" للشيخ شمس الضحى الرنكوني، و للشيخ أحمد رضا البجنوري "أنوار الباري" كما وشرحه الشيخ عبد الجبار الأعظمي

بعنوان: "إمداد الباري" و للشيخ صديق أحمد الباندوي شرحه بالأردية بعنوان: "ظهور الباري" ولبعضهم "تفهيم البخاري".

وأما المتعلقات فللشيخ عبد العزيز "تبراس الساري في أطراف البخاري"، و"إزالة القساس عن وجه قال بعض الناس" للشيخ مجيب الرحمان من بنغلاديش، و "ما ينفع الناس في شرح قال بعض الناس" للشيخ محمد طاهر الرحيمي، كلاهما شرحان ووضح ما ذكر الإمام البخاري في صحيحه بقوله: "قال بعض الناس"، و هما بالأردية. و"إنعام الباري في شرح أشعار البخاري" للشيخ محمد عاشق الهي الميرتهي، وهو أيضا بالأردية، و "كتاب المعجم لرجال البخاري" للشيخ محمد أسير الأدروي وهو بالعربية. ولهم عدة مؤلفات تخص شرح تراجم صحيح البخاري وتوضيحها، منها: "الأبواب والتراجم" لكل من: الشيخ محمود الحسن الديوبندي، الشهير بشيخ الهند، و الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، و الشيخ ماجد علي المانوي، و الشيخ فخر الدين المعروف بـــ "شيخ الحديث" و هذا الأخير هو أوسع الكتب فانه في ست مجلدات و كلها بالعربية، و للشيخ تقي الدين الندوي أيضا مؤلفاً في ذلك[٢٢].

(٢) **صحيح للإمام مسلم**: شرحه الشيخ شبير أحمد العثماني بعنوان: "فتح الملهم" لكنه وافته المنية قبل إتمامه، و أخيراً قام الشيخ محمد تقي العثماني، أحد العلماء البارزين بباكستان فمنّه، وهو الآن في تسع مجلدات ضخمة، ثلاث مجلدات منها بقلم الشيخ شبير أحمد العثماني، و البقية، أي التكملة بيد الشيخ محمد تقي الدين العثماني.

---

[22]. عبد الرحمن الفريوائي: "جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة" ص. ١٢٤

(٣) **جامع للإمام الترمذي**: شرحه الشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي بعنوان: "الطيب الشذي" والشيخ إبراهيم البلياوي بعنوان: "هدية الأحوذي"، والشيخ شمس الحق الأفغاني بعنوان: "تنقيح الشذي"، و الشيخ أشرف على التهانوي شرحاً وجيزاً مختصراً وقد طبع مع أماليه على الترمذي بعنوان: "الثوب الحليّ"، و قد شرحه الشيخ السيد بادشاه غُل و الشيخ محمد موسى الروحاني أيضاً. و شرح الشيخ فضل الله الرحماني "علل الترمذي" و الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي "شمائله" و كل ذلك بالعربية إلا أن الشيخ زكريا له شرح لشمائل الترمذي بالأردية وهو مطبوع، وشرحه العربي طبع بذيله.

وللشيخ الدكتور حبيب الله مختار كتاب "كشف النقاب عما يقوله الترمذي و في الباب" تخريج ما أشار إليه الإمام الترمذي من الروايات بقوله: " و في الباب عن فلان و فلان"، طبع منه عدة مجلدات ضخمة، و هذا عمل عظيم قام به وحده[23].

(٤) **السنن للإمام أبي داود**: شرحه خليل أحمد السهارنفوري بعنوان: "بذل المجهود" وهو معروف متداول في عشرين مجلدا متوسط الحجم، و شرحه الشيخ شير زمان الهزاروي بعنوان: " انتباه الرقود في حل سنن أبي داود"، إلا أنه لم يكتمل. و للشيخ محمد طاهر الرحيمي "زبدة المقصود في حل قال أبو داود" وهو بالأردية، و لغيره أيضا مؤلفات في شرح قول الإمام أبي داود في كتابه "قال أبو داود"[٢٤].

---

[23]. الأسعدي: "دار العلوم مدرسة فكرية توجيهية"، ص. ٢٧٥ - ٢٧٧

[24]. الفريواني :"جهود اهل الحديث في خدمة القرآن الكريم"، ص. ١٧-١٨

(٥) **موطأ الإمام مالك**: شرحه الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي بعنوان: "أوجز المسالك" وهو معروف، طبع في عشرين مجلدا كبيرا و للشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي: كتاب "كشف المغطّا في رجال الموطأ" في ذكر رواة الكتاب.

(٦) **شرح معاني الآثار للإمام الطحاوي**:

شرح الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي بعنوان: "أماني الأخبار" لكنه وافته المنية ولم يفرغ من شرح ربع الكتاب، وما تمكّن من انجازه قبل الوفاة، مطبوع متداول في أربع مجلدات ضخمة و شرحه الشيخ محمد عاشق الهي البرني المدني بعنوان "مجاني الأثمار".

و للشيخ محمد أيوب المظاهري "تراجم الأحبار من رجال شرح معاني الآثار" وهو في أربع مجلدات ضخمة. وفي رجاله كتاب للشيخ حبيب الرحمن الأعظمي أيضاً بعنوان: "الحاوي في رجال الطحاوي" وللشيخ محمد عاشق الهي البرني "تبهيج الراوي بتخريج أحاديث الطحاوي" وللشيخ حسين على البنجابي "تلخيص الطحاوي"، و للشيخ سرفراز خان صفدر كتاب "الكلام الحاوي في عبارة الطحاوي" وللشيخ شبير أحمد الميرتهي "إيضاح الطحاوي" كلاهما في شرح الكتاب وهما بالأردية، وطبع بالأردية – من الشروح المختصرة – غيرهما، أهمها "مصباح الطحاوي" للشيخ أسعد الله رامفوري.

(٧) **مشكاة المصابيح:** هذا الكتاب من أعم الكتب المتداولة و الكتب الدراسية بهذه البلاد، ولعدد من علماء ديوبند تعليقات عليه وشروح بالعربية والأردية، فبالعربية: "التعليق الصبيح" للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، و هو في خمس مجلدات ضخمة. و كتاب "مظاهر حق" للنواب قطب الدين الدهلوي في شرح مشكاة المصابيح، كان يحتاج إلى تنقيح و تهذيب و شرح إيضاح، فقام الأستاذ عبد الله جاويد بهذا العمل بجد ونشاط، و أخرجه في سبعين جزءًا، و نال الكتاب إقبالا عظيما من طلبة العلم. وبالأردية عدة شروح أهمها "تنظيم الأشتات لحل عويصات المشكاة المصابيح" للشيخ محمد الجاتغامي[٢٥].

(٨) **مؤلفات متنوعة:** ولهم غير ذلك من الشروح لكتب الحديث، منها: شرح كتاب الآثار للإمام محمد بن حسن الشيباني المسمى بـــ "قلائد الأزهار" للشيخ المفتي مهدي حسن، طبع منه ثلاث مجلدات ضخمة لم يبلغ فيها الشارح إلا إلى ثلث الكتاب، وهو بالعربية. و منها: كتاب " فضل الله الصمد في شرح الأدب المفرد" للمحدث فضل الله الجيلاني، وله كتاب في شرح علل الترمذي للمفتي عبد اللطيف. والشرح غير مطبوع. ومنها: "تعطير الأنام شرح بلوغ المرام للحافظ ابن حجر" للشيخ محمد حيات السنبهلي، و "الفوائد السنية في شرح الأربعين النووية" للشيخ عاشق الهي

---

[25]. البرني: "علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث" ص. ٤١-٤٢

البرني، و "تحفة القدوس في بهجة النفوس" لابن أبي جمرة و "شرح شعب الإيمان" للشيخ عبد الله قطب شاه المرداني، و هذه كلها بالأردية[26].

ب: الأمالى و شروح:

و قد طبعت لهم أماليهم والمحاضرات الدراسية المتعلقة بكتب الحديث، فانهم يهتمون في دروسهم بشرح الحديث بما سبق تفصيله، و التلاميذ يقيّدون ما يسمعون من شيوخهم وأساتذتهم، هكذا الحال منذ بداية دار العلوم وبداية دراسة الحديث فيها، ولا تزال كذلك، فلذا وجدت ثروة كبيرة، قيّمة ومفيدة من أماليهم ودروسهم لدى المتخرجين في دار العلوم، ثم اهتم كثير منهم بطبع ما كان لديهم من هذا التراث العلمي القيم و نشره حتى تكونت منها مكتبة مفيدة ذات قيّمة علمية كبيرة. و هذه الأمالي تقوم مقام الشروح لكتب المتعلقة، و تفيد الطلاب والباحثين، والعلماء والمدرسين معًا، لما تشتمل عليه من علوم ومعارف توصّلوا اليها من خلال خبرتهم الطويلة في تدريس الحديث الشريف و الاشتغال به ما يوجد فيها من بعض الخلل أو الخلط أحيانًا، و ذلك من أجل تقييدها ثم بيد الطلاب والتلاميذ الذين كانوا وقت التقييد في مرحلة الجمع و التعلّم، ولم يبلغوا- في الغالب- مقام الأساتذة و العلماء المتقنين، إلا إذا قام بعمل التحقيق و الطبع رجل له معرفة تامة بهذا العلم و قدماً راسخة في علوم الشريعة السنة، أو قدّم بعض ذلك للطبع بعد المقابلة و العرض على صاحب الأمالي و إعادة نظره فيها.

---

[26]. الأسعدي: "دار العلوم مدرسة فكرية توجيهية" ص. ٢٩٠.

وبالجملة إن جمع هذه الأمالي و المحاضرات ثم الاهتمام بطبعها عمل جليل، مفيد ممتع، مقبول مشكور- قلما يوجد له نظير في الحاضر وفي الغابر، وهذه الأمالي على الصحاح الستة- وهي بالعربية كما وبعضها بالأردية[27] - و أهمها:

أمالي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، و بعض أمالي الشيخ أنور شاه الكشميري لأن الذين قاموا بالجمع والترتيب ثم بالنظر فيها و نشرها كانوا من رجال هذا الفن و أئمته، وجميع أمالي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي لم يطبع إلا بعد التحقيق و التعليق من الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي أوبعض أفاضل أصحابه وتلاميذه، ونورد هنا بعض هذه الأمالي:

(١) صحيح البخاري: عليه "عدد من الأمالي للشيخ رشيد أحمد الكنكوهي" جمعها الشيخ ماجد علي المانوي والشيخ حسين علي الفنجابي و الشيخ محمد يحي الكاندهلوي، وأشهرها بهذه البلاد وأعظمها إفادة، أماليه التي جمعها الشيخ محمد يحي، ثم اهتم بطبعه- بعد النظر والتحقيق والتعليق – الشيخ محمد زكريا بعنوان: "لامع الدراري"، وهي في ثلاث مجلدات ضخمة بطبع الحجر- وعشر مجلدات بطبع الحروف الحديدية. وهذه الأمالي بالعربية وما سواها فبالأردية[28].

و "أمالي الشيخ محمود حسن الديوبندي" جمعها تلميذه البارع المحدث النابغ الشيخ بدر عالم الميرتهي، وهي معروفة متداولة طار صيتها و عم نفعها في الآفاق، وهي في أربع مجلدات ضخمة – بطبع الحروف الحديدية – بعنوان: "فيض

---

27. الفريواني: "جهود علماء الهند في خدمة القرآن الكريم"، ص. ٤٠ –٤١.
28. البرني: "خدمات علماء ديوبند في علم الحديث". ص. ٣٠٩.

الباري" وقد زينه الجامع بتعليقاته النافعة، وقد جمع أماليه على صحيح البخاري عدد من الأفاضل منهم الشيخ مناظر أحسن الكيلاني و الشيخ المقرئ محمد طيب القاسمي لكنها لم تطبع.

وبالأردية طبعت عدد من الأمالي منها:

وأمالي الشيخ شبير أحمد العثماني طبعت بعنوان "درس بخاري" و بعنوان: "فضل الباري" وأمالي الشيخ فخر الدين المرادآبادي طبعت بعنوان: "إيضاح البخاري"، وأمالي الشيخ حسين أحمد المدني وأمالي الشيخ محمد زكريا كل منهما طبعا بعنوان: "تقرير البخاري" وغيره ذلك أيضاً[29].

(٢) **صحيح مسلم**: عليه أيضاً- عدد من الأمالي، منها: "أمالي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي" طبعت بعنوان "الحل المفهم" في مجلدين بتحقيق الشيخ محمد عاقل السهارنفوري، و منها: "أمالي الشيخ أنور شاه الكشميري" جمعها الشيخ الدكتور عبد العلى الحسني و الشيخ على أحمد الأعظمي لكنها لم تطبع.

(٣) الجامع للإمام الترمذي: عليه عدة أمالي لهم و طبعت بالعربية و الأردية. منها: "أمالي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي" طبعت بعنوان: "الكوكب الدري" في أربع مجلدات بتحقيق الشيخ محمد زكريا و تعليقه، و أمالي الشيخ محمود الحسن الديوبندي طبعت بعنوان: "تقرير الترمذي" ولا تزال تطبع مع النسخ المتداولة بهذه البلاد، و أمالي الشيخ محمد أنور شاه الكشميري بعنوان "العرف الشذي" وبعنوان: "معارف السنن" وهي إلى كتاب الحج فقط، طبعت في ست مجلدات ضخمة

---

[29]. ابو الحسن علي الحسني: " المسلمون في الهند" ص. ٣٧.

بالحروف الحديدية، وهي معروفة متداولة، جمعها ورتبها مع زيادات – من كلام الشيخ أنور شاه ثم من تعليقات من عنده – أحد تلاميذه النبغاء وهو الشيخ محمد يوسف النبوري. أهم هذه الأمالي و أعظمها فائدة، و أكثرها تداولاً "الكوكب الدري" و "معارف السنن"[30].

و بالأردية طبعت أمالي الشيخ محمود الحسن الديوبندي بعنوان: "الورد الشذي" و أمالي لشيخ رشيد أحمد الكنكوهي بعنوان "النفع الشذي"، وأمالي الشيخ عبد الرحمن الكاملفوري، وقد طبعت أمالي الشيخ حسين أحمد المدني بعدة أسماء، أهمها و أكثرها تداولاً: "معارف منية" رتبها مع زيادات الشيخ طاهر حسن الأمروهوي. وأخيراً طبع أمالي الشيخ محمد تقي العثماني بعنوان: "درس ترمذي" وقد نال القبول العام بين الطلبة و العلماء مالم يفز به غيرها من الأمالي، وعليه أمالي للشيخ أشرف على التهانوي أيضاً طبع بعنوان "المسك الزكي"[31].

(٤) السنن للامام أبو داود: لم تطبع من أماليهم عليه إلا ما جمعه ورتّبه الشيخ أبو العتيق محمد صديق النجيب آبادي. طبع بعنوان: "أنوار المحمود" وهو بالعربية وفي مجلدين، ولم يكتف الجامع فيه بأمالي أحد منهم بل استفاد فيه بأمالي ثلاثة من أساتذته و مشايخه، الشيخ محمود الحسن الديوبندي و الشيخ أنور شاه الكشميري و الشيخ شبير أحمد العثماني. كما استفاد فيه بـــ "بذل المجهود" شرح الشيخ خليل أحمد

---

[30]. البنوري: "تفحة العنبر" ص. ٣٢٢.
[31]. حبيب الرحمان اعظمي: "ديوبند مين درس حديث" مكتبة دار العلوم ديوبند ٢٠٠١، ص. ٤٠ – ٤١.

السهارنفوري. ولذا فلم يأت الكتاب على منوال غيره من الأمالي بل جاء على غرار الشروح المؤلفة لمثل "بذل المجهود" و نحوه.

و أخيرا طبعت أمالي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي مع تحقيق الشيخ محمد عاقل و تعليقة بعنوان "الدر المنضود".

(٥) السنن للإمام النسائي: وعليه أمالي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي طبعت بعنوان: "الفيض السمائي" بتحقيق الشيخ محمد عاقل و تعليقه.

(٦) و توجد لهم الأمالي على غير هذه الكتب أيضاً، لا سيما أمالي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي على سنن ابن ماجة، لكنها لم تطبع إلى الآن. وقد طبعت بعض الأمالي على سنن ابن ماجة وعلى شرح معاني الأثار وغيرهما بالأردية[32].

ج ــ التحقيق و التعليق:

وقد قام جماعة منهم بعمل التحقيق والتعليق على كثير من الكتب الحديث النبوية المطبوعة المتداولة منها أو المخطوطة المحفوظة في خزائن الكتب. وقد تم هذا العمل على نوعين: أحدهما: التحقيق يتبعه التعليق، و الثاني: التعليق يتبعه التحقيق.

ففي الأول الاهتمام بتحقيق النص أصلاً والتعليق يأتي جزئياً وموجزاً في أغلب المواضع، وفي الثاني يكون الأمر على العكس فالتحقيق يكون جزئياً، لبعض المواضع، و التعليق يطول لأنه يُقصد به توضيح الكتاب وشرحه مع الايجاز،

---

[32]. نفس المصدر: ص. ٤٢.

وهذه التعليقات تعرف بالحواشي، وربما يبلغ طولها الشروح المتوسطة بل أطول من ذلك فيصير الكتاب مع تعليقاته شرحا كاملا نافعاً، بحيث إنه ربما يُغنى عن مراجعة غيرة من الكتب والشروح الطويلة المعروفة، ومثل هذه التعليقات تتجلى به معظم الكتب الدراسية المطبوعة في شبه القارة الهنديه في العلوم المختلفة، و انما اعتنوا بذلك أشد اعتناء لأن الاستفادة من الشروح لا تتهيأ لكل أحد لأسباب مختلفة وأيضاً مراجعة الشروح تأخذ نصيبا و افراً من الوقت، فهذه التعليقات – لاشتمالها على فوائد علمية متنوعة منتثرة في عدد من الشروح– تُغني المرء عن ذلك فيصرف ذلك الوقت إلى أمر أهمّ من ذلك.

أما عمل التحقيق فنصيبه الوافر صرفوه لإخراج كتب التراث التي كانت مخطوطة ولم تتداولها أيد طلبة العلم و الباحثين عامة.

فمن انجازهم من هذا النوع كان طبع كتاب "جمع الفوائد من جامع الأصول و مجمع الزوائد" لمحمد بن محمد بن سليمان المغربي، و ذلك بجهد الشيخ عاشق الهي الميرتهي أحد التلامذة البارعين للشيخ رشيد أحمد الكنكوهي. وطبع كتاب "تاريخ الأسماء والثقات لابن شاهين" بتحقيق القاضي محمد أطهر المباركفوري، وكتاب "الزهد الكبير" للإمام البيهقي بتحقيق الدكتور تقي الدين الندوي.

وأجلى اسم في ذلك، ومن سبقت له السوابق، رجلان وكلاهما "أعظميان" أي من كورة واحدة من ولاية أترابراديش بالهند، أولهما وهو أفضلهما و أكثرهما عملاً أيضاً الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي– فإن اسمه وعمله في ذلك مشتهر و منتشر، فيعرف كل باحث و طالب و مشتغل بعلوم الحديث و كتبها، فقد ظهر

بتحقيقه وتعليقه: "المسند للأمام الحميدي" والسنن لسعيد بن منصور وكتاب "الزهد والرقاق" لابن المبارك و"المصنف" لعبد الرزاق و"المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية" و"مختصر الترغيب و الترهيب" كلاهما للحافظ ابن حجر، و"كشف الأستار عن زوائد البزار" للحافظ الهيثي، و في أخر أيام حياته كان منشغلاً في العمل على كتاب "مصنف ابن أبي شيبة[33].

و ثانيهما الدكتور مصطفى الأعظمي الأستاذ بجامعة الملك سعود بالرياض، طبع بتحقيقه و تعليقه "صحيح ابن خزيمة" و ظهر بالكمبيوتر "كتاب السنن لابن ماجة" وهو الآن مشتغل بمشروعه العلمي الكبير عن إدخال أهم المصادر الحديثة في الحاسوب.

وأما التعليقات بصورة الحواشي و الشروح فكثيرة، ومنها:

(١) الحواشي على صحيح البخاري: للشيخ أحمد علي السهارنفوري، و الشيخ محمد قاسم النانوتوي.

(٢) الحواشي على جامع الترمذي: للشيخ أحمد علي السهارنفوري والشيخ ماجد علي المانوي.

(٣) الحواشي على سنن ابى دواود: للشيخ فخر الحسن الكنكوهي، والشيخ محمد حيات السنبهلي، والشيخ ماجد علي المانوي والشيخ يوسف البنوري.

(٤) الحواشي على سنن النائي: للشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي.

---

[33]. البرني: " علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث" ٢٠٢ – ٢٠٤.

(٥) الحواشي على سنن ابن ماجة: للشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي، والشيخ فخر الحسن الكنكوهي، والشيخ محمد أنور شاه الكشميري.

(٦) الحاشية على موطأ الإمام مالك: للشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي.

(٧) الحاشية على شرح معاني الأثار: للشيخ محمد أيوب السهارنفوري.

(٨) الحاشية على مشكاة المصابيح: لشيخ أحمد على السهارنفوري[34].

والنسخ المتداولة لكل من صحيح البخاري وجامع الترمذي ومشكاة المصابيح كلها محلاة بحواشي الشيخ أحمد علي السهارنفوري، أما غيره هذه الكتب فحواشيها مختلفة.

(٩) ولهم تعليقات نافعة وحواش مفيدة على غير هذه الكتب مثل: تعليقات الشيخ أنور شاه الكشميري على كتاب "آثار السنن" للشيخ ظهير حسن شوق النيموي. وتعليقات الشيخ محمد زكريا، على كل من "اللامع الدراري"، و "الكوكب الدرّي"، و "بذل المجهود" المتقدم ذكرها. وتعليقات الشيخ تقي الدين الندوي على "أوجز المسالك" و "بذل المجهود" المتقدم ذكرها، وعلى "التعليق الممجد على موطأ الإمام محمد" للشيخ عبد الحي اللكنوي[35].

---

[34]. الأسعدي: "دار العلوم ديوبند مدرسة فكرية توجيهية" ص. ٢٤٨.
[35]. نفس المصدر: ص. ٢٥٠.

(د) المؤلفات المستقلة:

إن العلم والعلماء دائما في حركة، وانتقال من حال إلى حال، وتقدم إلى أعلى فأعلى، وإلى جديد ومزيد، ولذا فإن علماء ديوبند- كذلك- اعتنوا بالكتابة والتأليف في السنة وعلومها حسب مقتضى الظروف والأحوال التي شاهدوها ووفق حاجات ودواع بانت لهم وشعروا بها، فألفوا في متون الحديث الجديد، وفي علومه المزيد، ونشير إلى بعضها في السطور الآتية:

(١) المؤلفات في متون الحديث:

لهم عدة مؤلفات في متون الحديث وهي على نوعين: بالعربية فحسب، وبالأردية مع المتون العربية شرحا وتوضيحاً.

من المؤلفات في متون الحديث باللغة العربية، "جامع الآثار" للشيخ أشرف علي التهانوي، و "إحياء السنن" لبعض أصحابه، و "إعلاء السنن" أيضاً بعض أصحاب الشيخ التهانوي،أبرزهم والذي ظهر بيده هذا العمل الجليل هو الشيخ ظفر أحمد التهانوي وقدتم تأليفه تحت إشراف الشيخ التهانوي وفي ضوء إفادته كما وقع التصريح بذلك على وجه الكتاب، وفي داخل الكتاب أيضاً في عدة مواضع، والجدير بالذكر أن هذه الكتب الثلاثة موضوعها: تتبع الأحاديث والروايات التي استدل بها الحنفية في الأحكام وجمعُها، وغالبها لا توجد في الصحاح الستة، أو أنها لا يعرفها صغار طلبة العلم.

وطبع كتاب "إعلاء السنن" في أحد وعشرين مجلداً ضخماً، أصل الكتاب في ثمانية عشر مجلداً، والثلاثة البقية وهي الأول الثاني والثالث، جاءت مقدمة للكتاب[36].

الأول: في بيان قواعد الحديث وأصوله، وفي الاهتمام لبيان وايضاح ما انفرد به الحنفية من الأصول والقواعد. (قد قام الشيخ عبد الفتاح أبو غدة بنشره وتحقيقه وتعليقه).

والثاني: في جمع قواعد الفقه وأصوله سيما من باب القياس.

والثالث: في ذكر الإمام أبى حنيفة وأصحاب المحدثين.

وهكذا كل جزء فيه كتاب مستقل، ومؤلف خاص طبع أولاً بالحجر ثم بالحروف الحديدية قبل سنين.

وللشيخ التهانوي كتاب "التشرف بمعرفة أحاديث التصوف"، وللشيخ أنور شاه الكشميري "التصريح بما تواتر في نزول المسيح"، وللشيخ فخر الدين المراد آبادي "الأربعين"، وللشيخ محمد ميان الدهلوي "مشكاة الآثار" وللشيخ محمد زكريا الكاندهلوي "جزء حجة الوداع وعمرات النبي" وللشيخ محمد منظور النعماني "ألفية الحديث"، وللشيخ محمد عاشق إلهي البرني "زاد الطالبين".

وللشيخ المفتي مهدي حسن الشاهجهانبوري كتاب "السيف المجلّ على المحلى" في الرد والتعقب على ماجاء من آراء ابن حزم- تفرداته وشذوذه – في كتابه المحلّى طبع في أربع مجلدات. وللشيخ محمد أيوب السهارنفوري "تعقيب الواقع في تهذيب التهذيب" في بيان الأخطاء الواقعة في كتاب تهذيب التهذيب للحافظ ابن

---

[36]. ابو االحسن علي الحسني: "أضواء على الحركات والدعوات الدينية" ص. ٣٤ - ٣٥

حجر، وللشيخ الداعية محمد إلياس كتاب "انتخاب مشكاة المصابيح" ولنجله وخلفه الصدق الشيخ محمد يوسف كتاب "حياة الصحابة" في عدة مجلدات ضخمة، وهو معروف متداول في الأسواق العربية[37].

ب – المؤلفات بالأردية :

ومن أعمالهم الجليلة في هذا الشأن أنهم ألفوا كتباً بالأردية فقد ترجم عدد منهم عدة كتب معروفة إلى الأردية ولغاتهم المحلية. كما قام بعضهم بتأليف مختارات لأهم المصادر الحديثية مع الترجمة والتوضيح بالأردية.

منها : "ترجمان السنة" للشيخ بدر عالم الميرتهي في أربع مجلدات ضخمة، و"جواهر الحكم" له، و"معارف السنة" للشيخ احتشام الحسن الكاندهلوي، و"تجريد البخاري" للشيخ محمد حيات السنبهلي، و"انتخاب الصحاح الستة" للقاضي زين العابدين الميرتهي، و"انتخاب الترغيب" للشيخ عبد الله طارق، و"معارف الحديث" للشيخ محمد منظور النعماني في نحو عشر مجلدات.

ومنها : "كتب الفضائل" للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي[38].

ج – المؤلفات في علوم الحديث:

ولعلماء ديوبند كتب قيمة ومؤلفات نافعة في علوم الحديث، أصوله وقواعده وغيرها من العلوم أيضاً، وهي الأخرى على أنواع:

---

[37]. الفريواني: "جهود مخلصة في خدمة السنة"، ص. ٣٢٧.
[38]. البرني: "خدمات علماء ديوبند في علم الحديث" ص. ٢٦٦.

١- شروح وتحشية:

بعض ذلك على بعض الكتب الدراسية، مثل "نزهة النظر في شرح نخبة الفكر" للحافظ ابن حجر، فقد شرحه غير واحد بالأردية، منها: "عقد الدرر" للمفتي عبد الله التونكي، و"تحفة الدرر" للشيخ سعيد أحمد البالنبوري، و "أنوار النظر عن شرح نخبة الفكر" للشيخ أنوار الحق كاكاخيل.

٢ – أصول الحديث وقواعده:

ومعظم الكتب من هذا القبيل تأليف من جهودهم، جمعهم وترتيبهم. فمن تأليفهم في أصول الحديث وقواعده "قواعد في علوم الحديث" للشيخ ظفر أحمد التهانوي، و"علم الحديث" للشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي، و"جواهر الأصول في أصول الحديث" للشيخ عبد الرحمن المرداني، و"أصول الحديث على مذهب الحنفية "للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، و"أحسن الخير في مبادئ علم الأثر" للشيخ محمد حسن البشاوري، بعضها بالأردية وأكثرها بالعربية. ومنها: "علوم الحديث" لمحمد عبد الله الأسعدي، و"مفتاح الحديث" لعبد الجليل القاسمي، و"بصائر السنة" في مجلدين للشيخ أمين الحق المرداني.

٣ – حجية الحديث:

ومن تأليفهم في بيان حجية الحديث ومكانتها في التشريع الإسلامي، "الفوائد الملكوتية في أن الأحاديث حجة" للشيخ محمد موسى الروحاني الباري وهو بالعربية، و"حجية الحديث" لكل من الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي والشيخ محمد طيب القاسمي وللشيخ محمد تقي العثماني، و"نصرة الحديث" للشيخ حبيب الرحمن

الأعظمي، و"الانتصار لسنة سيد الأبرار" للشيخ محمد طاهر المرداني وهو أيضاً بالعربية، و "نتائج انكار الحديث" للشيخ سرفراز خان صفدر، ومنها الرسالة القيمة للشيخ أبو الحسن الندوي بعنوان " المدخل إلى دراســات الحديث النبوي الشريف"، وله أيضا "دور الحديث في تكوين المناخ الإسلامي"[39].

٤ – كتابة الحديث وتدوينه

ومن تأليفهم في كتابة الحديث وتدوينه "دراسات في الأحاديث النبوية" للدكتور مصطفى الأعظمي وهي رسالة الدكتوراه، و "كتابت حديث" للشيخ منت الله الرحماني، و "كتابت حديث" للمفتي محمد رفيع العثماني، و "تدوين حديث" للشيخ مناظر أحسن الكيلاني، الثلاثة الأخيرة بالأردية.

٥ – علم الرجال :

ومن تأليفهم في علم الرجال "فن أسماء الرجال" للشيخ أسير الأدروي، وعلم أسماء الرجال" للشيخ تقي الدين المظاهري وهو بالعربية والأردية أيضاً.

٦ – مقدمات على كتب الحديث:

ومن تأليفهم في علم الحديث ما كتبوه تقديماً لبعض الأمالي المطبوعة أو الشروح، سواء كانت الأمالي والشروح لأصحاب المقدمات أم لغيرهم، وقد جاءت بعضها مبسوطة ومفصلة بحيث إنّ طبعها استقلالا عن الكتاب يتم في مجلد متوسط أو ضخم مثل مقدمات إعلاء السنن الثلاثة.

---

[39]. الأسعدي: "دار العلوم ديوبند مدرسة فكرية توجيهية" ص. ٤٠٠ – ٤٠٣.

ومنها: المقدمات على أمالي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي التي تقدم ذكرها، فمقدمات "اللامع الدراري" و"الكوكب الدري" بقلم الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، ومقدمات ما سواهما بقلم الشيخ محمد عاقل السهارنفوري. وللشيخ محمد زكريا مقدمة مبسوطة لشرحه "أوجز المسالك".

ومنها: تقديم الشيخ أبى الحسن علي الندوي على "الكوكب الدري" للشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، و"بذل المجهود" للشيخ خليل أحمد السهارنفوري و"أوجز المسالك في شرح موطأ الإمام مالك" و"الأبواب والتراجم للبخاري" و"لامع الدراري"، وجحة البني وعمراته" أربعتها للشيخ محمد زكريا، و "تهذيب الأخلاق" لوالده الشيخ عبد الحي الحسني، و "روالع الاعلاق شرح تهذيب الأخلاق" لأبي سحبان الندوي.

ومنها: "مقدمة الشيخ أحمد علي السهارنفوري" لتعليقاته وحواشيه على مشكاة المصابيح. و"مقدمة الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي على شرحه للبخاري. ومقدمة الشيخ عبد الجبار الأعظمي على أماليه للبخاري وهو في مجلدين ضخمين. و "مقدمة تجريد البخاري" للشيخ محمد حيات السنبهلي.

ومنها: "مقدمة الشيخ شبير أحمد العثماني" لشرحه فتح الملهم. و"مقدمة الشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي" لحواشيه على كتاب السنن للإمام النسائي، و"مقدمة الشيخ عبد الرشيد النعماني" للحواشي على كتاب السنن لابن ماجة" وطبعت تلك المقدمة بالعربية بعنوان: "ماتمس إليه الحاجة لمن يطالع سنن ابن ماجة" كما وطبعت بالأردية.

ووجدت مثل هذه المقدمات على الأمالي المطبوعة بالأردية أيضا، مختصرة ومبسوطة مثل "مقدمة أمالي الشيخ محمد تقي العثماني" وهذه المقدمة من تأليفه وإفاداته وبعض هذه المقدمات من تأليف جامع الأمالي[40].

(٧) تراجم أئمة الحديث:

وأيضا من تأليفهم في علوم الحديث ما كتبوه في تراجم بعض أئمة الحديث، وفي ذكر بعض كتب الحديث وتعريفها، **منها:** كتب الشيخ تقي الدين المظاهري في تراجم بعض أصحاب الصحاح الستة، وتعريف كتبهم، ومن كتبه في ذلك كتاب "*محدثين عظام اور ان کی علمی کارنامی*" ولهم عدا ذلك، أبحاث ومقالات ومحاضرات حول مواضيع مختلفة من علوم الحديث، وقد طبعت في مجلات ومجموعات، واستقلالا أيضا[41].

هذه هي الثروة العالية والغالية في الحديث وعلوم التي ظهرت وحصلت لأولي العلم من الطلاب والأساتذة والباحثين والمحققين من ثمرات جهود علماء ديوبند التي بذلوها في خدمة السنة المطهرة، في حفظها وصيانتها، والدفاع عنها، وإحيائها ونشرها وشرحها واستيضاحها للناس.

وقد نال القبول منها والإعجاب، والاستحسان من أولي الألباب، وطار صيتها وعم نفعها في البلاد، "فيض الباري" للشيخ أنور شاه الكشميري و"بذل المجهود" للشيخ خليل أحمد السهارنفوري و"أوجز المسالك" للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، و"فتح الملهم" للشيخ شبير أحمد العثماني، إعلاء السنن" للشيخ ظفر أحمد التهانوي،

---

[40]. نفس المصدر: ص. ٤٠٤ – ٤٠٥.
[41]. البرني: "خدمات علماء ديوبند في علم الحديث"، ص. ٢٣٠:

والتصريح بما تواتر في نزول المسيح" للشيخ أنور شاه الكشميري، وقواعد في علوم الحديث "للشيخ ظفر أحمد التهانوي. وقد طبع هذان الأخيران بتعليقات نافعة من فضيلة الشيخ المحدث عبد الفتاح أبو غدة، فازداد نفعهما وإفادتهما، وصارا من المراجع المعتمدة في الموضوع.

وقد اعتنى كثيرا بذكر ما لم يأت به أحد من شُراح البخاري بعد نقل غرر النقول من كلامهم، والإشارة إلى مواضع الضعف إن دعت إليه الحاجة كما التزم بذكر أبحاث البلاغة العربية وأصول الفقه.

وله "نيل الفرقدين في رفع اليدين" و "عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام" و"فصل الخطاب في مسئلة أم الكتاب" و"كشف الستر من صلاة الوتر" و"العرف الشذي" على جامع الترمذي"، والاتحاف في التعليق على آثار السنن" للنيموي، كما وان له زيادات قيمة على مصطلحات بعض الفنون[42].

وتلامذة الشيخ أنور شاه الكشميري فهم أعلام هذا العصر وأئمة الحديث وخدماتهم في نشر علوم الحديث معروفة لا تحتاج إلى أي ذكر أو تنويه. فهو الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي يقوم بتأليف "التعليق الصبيح عن مشكاة المصابيح" في ٨ مجلدات ضخمة. والشيخ المحدث يوسف البنوري، فكان يماثل شيوخه الأجلاء في التضلع من علوم الحديث ومقدرته الفائقة على العربية، وكتابه "معارف السنن" في ست مجلدات ضخمة كفاه فخرا وتخليدا لذكره بين الأنام إلى جانب ما قام به من مجهودات ونشاطات متنوعة. وللشيخ مناظر أحسن الكيلاني كتاب "تدوين الحديث"

---

[42]. البنوري: "تفحة العنبر" ص. ٩٢ – ٩٣.

وكان قد ضبط أمالي شيخه على صحيح الإمام مسلم، والشيخ محمد منظور النعماني قام بتأليف "معارف الحديث" في ٨ مجلدات في أسلوب سهل ليستفيد بالكتاب العالم والعامي على حد سواء وله "ألفية الحديث" والشيخ محمد طيب المقرئ كان قد جمع أمالي شيخه الشيخ أنور شاه الكشميري، وله كتاب في حجية الحديث وكتاب مشكاة الآثار للشيخ محمد ميان وهو من كتب المقررات الدراسية[43].

أما الشيخ المحدث أحمد رضا البجنوري فيقوم بشرح صحيح الإمام البخاري باسم "أنوار الباري" وهو أشمل وأبدع ما ألف في شرح البخاري، يزخر بالأبحاث العلمية والمواضيع المتنوعة تدل على سعة اطلاع المؤلف وطول باعه في علم الحديث والخلافات الفقهية، أما مقدمة الكتاب فشبه موسوعة علمية وقد جمع في جزء منها تراجم المحدثين الأحناف وانتقاداته وملاحظاته فليس من اللازم الاتفاق معه في جميع آرائه.

ويتميز من غيره من الشرح بأنه الكتاب الذي يخترق الأزمان فيعيش معنا في ذاك العصر، بما يضطرب فيه من قضايا فتجد من جماعة المستنيرة بورع العالم المؤمن، ما يضع أمام عقلنا و قلبنا وجهة نظر جامعة بين التعليل والتأصيل كالاقتصاد في الإسلام، والأوراق النقدية والضمان وتعدد القضاة ونقص الأحكام. ويضاف لذلك قوته في الرد على ما يلبسه المبطلون من مطاعن، فيكشف عن جرثومة انحرافهم وتهافت آرائهم، ويحرص كلما ظفر بفائدة مهمة في بطون الكتب

---

[43]. حبيب الرحمن اعظمي: "ديوبند مين درس حديث" ص. ٥٠.

التي فازت العزائم من فخالطتها، وضعفت الهمم منها يحرص على تخصيصها بالذكر والتنبيه.

وإذا كانت العناية في هذا الشرح النفيس بالمذهب الحنفي تبياناً وتأصيلاً واستنباطا، لأنه مذهب أهل الهند وباكستان والأتراك فانه لا أثر فيه لتعصب مقيت ولا تعسف في التأويل، ولا تكلف في المناصرة والتأييد[44].

[44]. الأسعدي: "دار العلوم ديوبند مدرسة فكرية توجيهية"، ص. ٤٠٨ – ٤٠٩.

الفصـــل الثـــانـــي

طريقة أنور شاه المبتكرة في تدريس الحديث

وإصلاحاته الدراسية

كانت للشاه أنور مبتكرات بديعة وفريدة في الدرس ما تحير بها العقول وتأخذ بمجامع القلوب والألباب، بيد أنه كان محققا ومتقنا في العلوم والمعارف كافة، فكان الشيخ إذا أخذ في الإلقاء ويغوص في المبحث يواصل الكلام ويستدل استدلالاً تاماً حتى لا يترك سعة من اشكال، فلا يتلعثم فيه من غير أن يلحقه معاق أو حصار، ولم يكن يفتقر إلى استدراك عثرة في اللفظ أو تكرار في النطق، ولا يتخلله سكوت ولا حصر فكان يحدر المسائل الدقيقة ويسرد المباحث الأنيقة بشكل واضح، تراه بحراً يموج بعبابه حتى تعجز مهرة الكتاب عن ضبط كلامه واستيعابه، ينتقل حدسه من مسألة إلى مسألة ومن علم إلى علم، وينشأ بينهما تناسباً، ويفرغه في بديع أسلوبه يحسن سبك وانسجام[1].

نذكر هنا بعض مزايا وخصائصه الدراسية لتدريس الحديث كالآتي:

ـ فانه كان يذكر جميع المباحث المتعقلة بالحديث من استيضاحات مذاهب علماء الأمة وأدلتهم مع ترجيح بعضها على بعض بغاية إنصاف وعدل، وبيان فوائده ومزاياه، ثم إن كان له أدنى تعلق بمسائل العلوم الأخرى، يناقش عليها مناقشة تامة والشيء بالشيء يذكر.

ـ إنه كان يأخذ المسائل والمباحث من كلام أكابر علماء تلك الفنون، نحو سيبويه، عندما هو يصرح النحو في فقرة مسألة فهو يتكأ على أصول سيبويه وأقوال

---

[1]. يوسف البنوري: "تفحة العنبر" ط. بيت الحكمت، ديوبند، (الطبعة الثالثة) ١٩٩٤، ص. ١٠٠

معاصريه، ولا ينحط من نحو ابن هشام والمحقق الرضي، ربما هو يذكر أشياء في البلاغة للشيخ تقي الدين السبكي والشيخ بهاء الدين السبكي من كتابه "عروس الأفراح" فتعجبها، وكان يقول "قد فاق التقى السبكي على ابن تيمية في علوم البلاغة والعربية، بل كان لا يقدر رأيه في هذه الفنون مع اعترافٍ بتبحره البارع، وكان يأخذ اللغة من كلام أئمة اللغويين، كالجوهري في "الصحاح" ولم يكن ينزل عن طبقة "القاموس" وهكذا في سائر العلوم مع تعقبات واستدراكات لطيفة برأي صائب يقبلها الذوق الصحيح و يذمن لها المنصف البصير[٢].

ـ إنه كلما أحال على كتاب أو مصنف، وكان ذلك أول مرة، فكان يذكر جملا نفيسة بحال ذلك المصنّف أو ذلك الكتاب، ويذكر خصائصه البديعة التي لا يجدها المتفقد في مطاوى كتب الطبقات، ليكون الطالب على خبرة وبصيرة فذة، وينبه الطلبة على ما كان فيه من المزايا ليكون له عونا عند الحاجة. حيث يصدر حكماً من الشارع في صورة تجتمع هناك أمور، فهو يصلح، فيرجع المجتهد أمراً من بين تلك الأمور للعلية ويجعله مناطاً مثل: حديث النهي عن الرباء في الأشياء الستة اجتمع هناك أمور أي القدر، والجنسية، والطعم، والثمنية، والاقتيات والادخار. فذهب أبو حنيفة إلى أن مناط الحكر هو الوصف الأول، والشافعي إلى انه الثاني، ومالك إلى الثالث وعلى ما أدى إليه اجتهادهم. فالفرق بين تحقيق المناط وتخريجه ان في الأول اجتمعت أمور لا

---

[2]. احمد رضا بجنوري: "ملفوظات محدث كشميري"، ط. مكتبة النعيمية، ديوبند، ص. ١٠٢

دخل لها مع المناط، فنفخ المجتهد المناط، وفي الثاني اجتمعت أمور كل منها صالح لأن يكون مناطاً. وتنقيح المناط وتخريجه وظيفة المجتهد يزاحم فيه بعضهم بعضاً.[3]

ـ إنه كان يعتني بأن يحل مشكلات العلوم والعقد التي اعتاص انحلالها على القوم، فيجر الكلام إليها بأدنى مناسبة. حيث قال الحنفية: "لايجوز الزيادة على كتاب الله بخبر الواحد"، وكان في التعبير نوع جفاء وإخلال، فقال الشيخ أنور شاه الكشميري وليعبر بأنه يجوز الزيادة بخبر الواحد على كتاب الله، ولكن لا في مرتبة الركنية والشرطية بل في مرتبة الوجوب، أي لا في مرتبة القطعية بل الظنية. فمراده أنه إذا ثبت أصل شيء بدليل قطعي فليثبت شرائطه وأركانه أيضاً بقاطع، نعم إذا ثبت أصل شيء بالظنـــي فاثبات أركانه وشرائطه بالظني صحيح عندنا، كما قال الشيخ أنور شاه الكشميري.[4]

ـ إنه كان يحاول أن ينشأ في الطلبة ملكة راسخة في العلوم وسواد كامل يتمكن به من حل المعضلات والمبهمات، وكان ينبههم على أنه كيف ينبغي الارتقاء إلى مدارج شامخة في المعارف والعلوم.

---

[3]. أنور شاه كشميري: "فصل الخطاب في مسألة ام الكتاب" ط. المجلس العلمي دابهيل، ١٩٩٠، ص. ٤٩

[4]. أنور شاه كشميري: "كشف الستر" ط. المجلس العلمي دابهيل، ١٩٩١، ص. ٣١

ـ إنه كان يهيج رغبتهم إلى خدمة الدين، وأن لا يجعلوا العلم وسيلة إلى معاشهم و لا إلى المباهاة والتماري، ويشجّع أن يبذلوا مجهودهم في نصرة الحق والذب عن حياضه بكل ما أمكن[5].

لا نستطيع أن نستقصي محاسن درسه الجزئية من حلاوة الكلمات، وعذوبة الجُمل، وجزالة التعبيرات، وتنقيح المشكلات، بأسلوب رائع متفوق مفهّم وملخص، وجذب الأفكار والتوجيهات إلى درسه بشراشرها، وغيرها من المزايا الرائعة ما يحصر اللسان ويقصر القلم عن الاستيضاح، بحيث يطرب الآذان وينشط الأذهان مما يتعلق بمشاهدة الأنظار، وتعني دونها مهارى الأبصار، بل رمزنا إلى ما كان يجري مجرى الأصول والمواضيع المهمة والقواعد الكلية المثبتة.

وهذا ما قمنا بالاعتناء من خصائصه في الدرس أصبح سبباً لحرمان اكثر بكثير من الطلبة والمستحضرين ومنشأ لاخفاقهم، فانه كان يضيق نظام فهمهم عن درك تلك المسائل ولا يتسع وعاؤهم لضبطها، ومع هذا فأعلن بكل واد وناد على رؤوس الاشهاد لكل من حاضر وباد من غير مخافة لوم العاذلين، ثم ان البصيرة النافذة والتجربة العلمية والحذاقة التامة التي تستفاد في عدة دروسه للبصير الحاد الذكي المتفقد لا يفوز بها احد في درس آخر وإن صرف عمره وبذل مجهوده، فكانت

---

[5]. بدر عالم الميرتهي: "فيض الباري" (هو محاضرات أنور شاه في دروسه الحديث) ط. ص. ٣٣

دروسه نزهة للخواطر والنواظر تشتمل على عجائب الكلام وطرف الأبحاث ما تأخذ بالقلوب والفؤاد وتحير الألباب والنفوس.

فهذه مآثرها المتفوقة التي انتهت إليها المشاهدة بالأنظار وأسندت للناس بصحاح الأخبار والآثار، ثم لم يكن علينا غمة من أن هذه الطريقة التي ابتكرها من نقل قول متكاثرة في الدرس وجمع مواد وافرة الباب لم تكن رائجة في الهند قبلاً وكان قبل الشيخ أنور شاه، المدرسون يذكرون شيئاً ولا يذكرون مآخذه، بل كانوا يضنون به ويحسبونه متاعاً فاخراً، ذلك مبلغهم من العلم إلا من شاء الله قليل ما، فجاء الشيخ أنور شاه الكشميري، ونبه على تحقيقات أكابر المحققين مما سبقت إليه أقلامهم، وبث فيهم جواهر علومهم التي سمحت بها أذهانهم وإفهامهم، فكشفت الحجب وانشق الظلام وأضاعت لهم سبل التحقيق وطرق البحث والتدقيق، مع تشذيب وتهذيب وتثقيف وتقويم، فهذا هو الذي طبق الخافقين ذكره، وأظهر فضله وقدره فشاعت اليوم بأكثر من المعاهد العلمية طريقته العذراء الفريدة في الدروس والتأليف[٦]، فيحذون حذوه ويقتفون أثره. وقال قائلهم:

وما كل زهر ينبت الروض طيب ولا كل للنـــــواظر إثمـــــــد[٧]

ومن الغرائب، إن الشيخ أنور شاه الكشميري لم تكن من عادته المطالعة بالليل لما يقوم بالتدريس في النهار كما هو دأب عامة الأساتذة والمدرسين، فلم يكن يطالع

---

[6]. البنوري: "نفحة العنبر"، ص. ١٠٣. والداعي: عدد خاص، ص. ٦٢

[7]. نفس المصدر: ص. ١٠٣

لشيء عما كان يلقيه في الدروس حتى وتبيع منه: "إني ما طالعت الكتاب الذي يقرأ علي في عمري قط" فذاكرته كانت أغنته عن ذلك، فكفاه ما طالع في بداية حياته، وأغناه الصباح عن المصباح، كلا إنه كان يلحقه الوني أو الملال من المطالعة، نعم وهو قد كان يزور في نفسه هنيئة لئلا ينتشر الكلام ولئلا يتسع مجال البحث كثيرا، وليكون ما يلقيه منضبطاً محدودًا حتى يستطيع المستمعون والمستفيدون أن ينهضوا بأعبائها، ولولا ذلك لأعجز الناس عن التلقي، فانه كيف يسد الذخار وكيف يواجه المعاقات على العيون الثرثارة. وان الشيخ أنور شاه لم يرد قط من ريعان حياته أو يؤلف رسالة أو كتابا بيد أنه لم يبرح عاكفاً في جمع الأوابد وقيد الشوارد في جدوله ومذكرته، وكان ينفذ وسعه في حل المشكلات التي لم يتم حلها من قبل أكابر الكتاب والمحققين، فكلما قابل شئ من مثل هذه المعضلات كان يستمري فى لحمه خلاف طبعه وفكره، فكان يكتب ويقيد من سوانح الوقت وبوارحه، وإن كان في كتب كتّاب الآخرين شيئاً ينحل به عقدتها أحال عليه برمز الصفحة إن كان مطبوعًا، وهكذا كان دأبه من شرخ عهده بمطالعة كتب المحدثين والمحققين، فلم يغادر علما إلا وله في حل عقدة كتابات وبدائع تحقيقات، واجتمعت لديه نفائس من ذخائر ثمينة قيمة على تحقيق مشكل واحد ما يحير الأفكار والألباب. وقد أسلفنا ذكر عادته في مطالعة الكتب، فكلما تيسر له كتاب، من أي مصنف أو في أي موضوع، كان يطالعه من البداية إلى النهاية حيث يقول: "ربما طالعت مجلدات ضخمة من كتاب، غير أنني لم

أنجح بإخراج شئ جديد وعلم وحديث، فكنت أتأسف على ذلك، وربما ظفرت بشيء يسير أو فائدة جديدة فاغتنمت وحسبت أن سعيي أثمر"، حتى أحيانا يقول: "طالعت جميع مؤلفات الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي المطبوعة وما تيسر لي من المخطوطة، ولم أحصل فيها بشيء من علم جديد.[8]

فهكذا كان دأبه في تدريس الحديث النبوي لا كعلماء العصر يطالعون مؤلفات علم أو علمين أو مما يفتقرون إليه في التدريس أو التأليف، نعم، وليس القوادم كالخوافي، فكلما اطلع على شئ نفيس وتحقيق عال ولكن حاول ضبطه في مذكرته كان يقيده بالكتابة وإنه قام بترتيب أصول قيمة:[9]

الأول: إنه كان يقيد ما ينحل به عقدة من مشكلات القرآن والحديث أو الفقه والأصول وعلم الحقائق الكلام والتوحيد وغيرها، أو يقيدها في الحل استشهادا وتنظيرا.

الثاني: إذا كان له تحقيق خاص في مسألة أوحل مشكل خلافاً على ما ذهب إليه الجمهور ثم سنح له في أثناء مطالعته شئ يقيده أو كان دليلا على ما يرومه، كان يقيده، كمسألة العماء، وما ماهية العماء؟ أو هل هو قديم أو حادث؟ وهل هو الوجود المنبسط أو غيره؟ وما ذا أريدَ به قوله الرسول عليه السلام: "وكان الله في عماء" من حديث رزين العقيل فيما رواه الترمذي في [جامعه] و كمسألة الروح والنفس وما يتعلق بهما من تحقيقات لم تسمعها الأذان، وكحقيقة التجلي ومسألة المعية الزمانية،

---

[8]. رضوان الله: "حيات أنور"، ط. جامعة عليكراه الاسلامية، ١٩٨٩، ص. ٥٢. كوندو: "الأثور" ص. ١٢٢.
[9]. انور شاه كشميري: "عقيدة الاسلام في حياة عيسى عليه السلام". ط. المجلس العلمي دابهيل، ١٩٨٨. ص. ٢٠٣.

وكيفية إفاضة الوجود من الله سبحانه وتعالى على المقدورات الأزلية، ومسألة صدور الحادث المادي من القديم المجرد، وحقيقة علم المثال، وحقيقة درجات الجنة، وطبقات النار، وكيفية تكونهما، وتحقيق استحالة هذه الأعمال الدنيوية بأشباح جزائها ما بعد هذه الحياة (الآخرة) سواء بسواء وصيرورة هذه الأعراض بعينها جواهر في ما بعد هذه الدنيا، وعدم فناء الأعراض، وحقيقة التشكلات البرزخية وتصوراتها، وتحقيق عدم انقراض الذكر من العباد المؤمنين في القبر وفي الجنة إلى أبد الآباد وغيرها من باب الحقائق الغامضة والمعارف الإلهية، ومشكلات العلوم ومعضلات الفنون مما يشكل استقصاؤه، فهذا ما تنقح لنا ملخصا من ضبط أصوله وعاداته، وأشياء آخر هنا يمكن ذكرها فيها.[10]

ثم له في تقييده وجوه:

١- إن كان شيئاً سمح به صدره يذكره بلفظ موجز وتعبير منقح من غير مزيد البسط والإطناب.

٢- إنه إذا كان تحقيقاً لغيره ففيه وجوه: فإما كان ينقله بلفظ، أو كان يلخصه في عبارته، أو كان يحيل عليه بالمراجعة برمز الصفحة إن كان المنقول عنه مطبوعاً، وإلاّ يكتفي بمجرد الحوالة أو الإشارة. فهكذا قد اجتمعت عنده ذخائر من حل جميع المشكلات العلمية، وعلى ذلك جبلت فطرته السليمة من

---

[10]. نفس المصدر: ص. ٢٠٤. البنوري: "نفحة العنبر"، ص. ١٠٧. احمد رضا بجنوري: "ملفوضات محدث كشميري" ص. ١٢٩

بدء نشأتها، لم يحاول تأليفاً للاشتياق أو لإفادة الناس أو لإذاعة صيته في العالم، بل كأنه لم يتفرغ له أو لم يرده إيثاراً للخمول. وربما يقول: كفى لهم من التحقيق والعلم أن خاضوا في بحار علوم السلف واستفرغوا جهودهم وأتعبوا نفوسهم، إلا انه قد ندرت البضاعة العلمية وخمدت اللوائح الطبيعية، فماذا يغنيهم ما نذكر لهم. فلو عزم على تأليف لغرض من تلك الأغراض لسالت بطحاء العالم بعلومه وتحقيقاته، ولاستنارت أنواره اللامعة في أرجاء البسيطة، ولملأت الدنيا معارفه شرقاً وغرباً، ولنالت فضلاء العصر ضالتهم عجماً وعرباً، فمدار الكناية على معلاها، وفخار الحلبة بمحرز مداها. بيد أنه قد بعثته على تأليف عدة رسائل الضرورة الدينية والخدمة الإسلامية لما تألم قلبه وتصدعت كبده. ورتب رسائل في بعض مهمات الحديث من المسائل الاختلافية بين أرباب المذاهب،[11] ملتقطاً لها من ذخائر مذكرته بإصرار من تلامذته وأصحابه ومستفيديه، ذباً عن حريم المذهب الحنفي، ودفعاً لطعن الحسّاد والجاهلين. وبالجملة، هذه الرسائل المذهبية كانت دراً مبعثرة في برنامجه ومذكرته، رتبها نوع ترتيب على شكل تأليف، ولذا نراها مشحونة بالإحالة على الكتب من غير سرد جميع عباراتها، ولو رتبت رسائله تلك على عادة مؤلفي العصر الراهن أو على عادة المولعين بالبسط والتفصيل

[11]. أنور شاه كشميري: "اكفار الملحدين في شيء من ضروريات الدين"، ط. المجلس العلمي دابهيل، ١٤١٣هـ، ص. ٩

لصار كل رسالة منها في مجلدات، على أن طبيعته أيضاً كانت مولعة بالإيجاز والاختصار، ولعل الشيخ أنور شاه الكشميري قد ظن ان الإيجاز كمال في التعبير، فبلغ إلى ذروة سنامه وأقصى غايته حتى صار فيه نسيج وحده ونظير نفسه، وربما تشمئز منه الطبائع التي لم تستأنس بالمشكلات والغوص في الغمار، ووقع في صنيعه هذا وعابوا عليه ديدنه هذا[12].

ومع الإيجاز والاكثار من الإحالة قد بث في كل مؤلف علوماً ومعارف وحكماً وحقائق ما يطرب المسامع والآذان، وينشط القلوب والأذهان على رؤوس المناثر ان كلّ موضوع ألّف الشيخ أنور شاه فيه لو توخى أحد شيئاً زائداً في الباب من جميع كتب الناس ونقّب ونقّح وتفحّص وتصفّح لخاب وعجز إلاّ ما شاء الله، فان الشيخ أنور قد اوعب واستوعب وأتى بالعجب العجاب فأغرب وأطرب، وزاد على كل موضوع على من سلف، وأبدع من عنده بدائع وغرائب لمحت بها أفكاره اللطيفة حتى لم يترك لشفرة محزاً، ولا في الأمر مساغاً، والعيان أصدق شاهد، فنرى كل مسألة ألّف فيها الشيخ أنور شاه كلأ الحابس فيه كالمرسل إذ أمعنت فيها بصرنا وبصيرتنا ونقّينا عن كدر الحسد سريرتنا[13].

ثم انه لما تخصّص له بالقريحة الوقادة والنظر الدقيق والفكرة اللطيفة ذكر شيئاً بشيء لأدنى تأييد أو استشهاد عميق، ولوّح إلى تزييف وعرض إلى اسقاط

---

[12]. أنور شاه كشميري: "تحية الاسلام" ، ط. المجلس العلمي دابهيل، ١٤١٣هـ، ص. ٣

[13]. البنوري : "نفحة العنبر" ص. ١٠٩.

قول وأكثر من الإحالات على الكتب و استغزر من الدلائل والشواهد، فلذا قد يشكل الوصول إلى غور مرامه والبلوغ إلى كنهه، لأنه كلما وسع العلم وسال في المناكب والأطراف ودق الفهم وغار الفكر في الدقائق ولطفت الطبيعة وقوى الحدس واستشعر بالخبايا في المقام لا محالة يتسع مجال الكلام ونطاق البحث بحيث تنوء بالعصبة أعبائه وتنشأ في المقام المناسبات اللطيفة والارتباطات البديعة حتى يتعسر تعيين المناط وعماد الكلام، نعم يحتوي مثل هذه التصانيف على فؤاد شريفة وأسرار عاليته وحقائق مضنونة ومعارف سامية ككتب شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية، ومؤلفات أرشد تلامذته الحافظ ابن القيم الجوزية، وكلام الله تبارك وتقدس، وأصح الكتب بعده بمرياء منا ومشهد، فالمتكلم يتكلم حسب ما يليق برتبته وجلالة قدره وسعة علمه وجودة ذهنه ودقة فهمه وغناء طبيعته ثم تخصص له كلاّ منها بخصائص ومميزات، فالطبائع مختلفة والأذهان متفاوتة، ولكن قضى نحبه ولم يخلف على أثره نادرة من تصانيفه من شرح "صحيح البخاري" أو "جامع الترمذي"، أو أما من الأمهات الست، أو كتاباً كالتذكرة له على نحو "بدائع الفوائد" للحافظ ابن القيم، و "التذكرة" للقرطبي، و "الأمالي" للشيخ مرتضى الزبيدي، ولو كان لكفى وأغنى عن أتعاب النفوس، ولقرت به العيون فمات ولم تظهر أسرار دفائنه، ولم تطلق عتاق خزائنه، وقد عزم على شرح مبسوط على "جامع الترمذي" في آخر عمره، غير أنه

لم يمهله هجوم الأمراض وقلة الفرص حتى اخترمته المنون وحان أجله المحتوم ودفنت منيته في جدث الثرى معه، فحال الأجل دون الأمل،:[14]

ولم يتفق حتى مضى لسبيـــله وكم حشرات في بطون المقابر

ومع هذا، ان الرسائل التي ألفها في المواضيع المختلفة وطبعت ووصلت إلى أيدي عامة الناس، وما طبع من بعض "أماليه" وما كان يلقيه في الدرس غير علوم ظهر على وجه البسيطة تطمئن به النفس وتنشرح به انشراحاً بالغاً، ويلم به شعث القلوب تحتوي على لب المباحث ومغزاها راق مبناها ومعناها، فهي واسطة العقد بين تصانيف كاتبين آخرين، وسيعود بأوفر حظ من خاض فيها[15].

[14]. نفس المصدر: ص. ١١٠. انظر شاه مسعودي: "تقش دوام"، ص. ١١٨. كوندو: "الأنور" ص. ٣٠٣.
[15]. أزهر شاه قيصر: "سيرت أنور"، ص. ٢٨٤. رضوان الله: "حيات أنور"، ص. ١٨١. كوندو: "الأنور"، ص. ٣٩٣.

الفصـــل الثـــالث

ميـــــزات أنـــور شـــاه في محاضـــرات الحديث

أنور شاه ومنهـــجه

لم يكن دأبه في المطالعة كأكثر علماء هذا العصر من أن يطالعوا الكتب عند الافتقار إليها في الفتوى أو التأليف أو التدريس، فيراجعون فيما يحتاجون إليها من ذلك الموضوع خاصة، أو يتفقدون ما أرادوه من مظانه، بل كان دأبه في المطالعة أنه كلما تيسر له كتاب، مخطوطاً كان أو مطبوعاً، سقيماً كان أو سليماً، في موضوع علمي، أيّ موضوع كان، ومن أيّ مصنف كان، فيأخذه ويطالعه من أوله إلى الآخر بتمامه، من غير أن يبقى شيئاً أو يذر، نعم كان حل جهده ومسعاه في أن يطالع كتب المتقدمين ثم كتب أكابر المحققين من القرون الوسطى.

زياداته القيمة على مصطلحات الفنون

وأضاف الشاه الكشميري إلى مصطلحات بعض الفنون زيادات قيمة تخلو عنها كتب المتقدمين، فاقسام التواتر الأربعة التي بسطها الشيخ في "نيل الفرقدين" و "إكفار الملحدين في شيء من ضروريات الدين"، لا توجد في كتاب التعريفات للسيد شريف الجرجاني ولا في كليات أبي البقاء ولا في كشاف اصطلاحات الفنون للشيخ محمد على التهانوي، ولا في دستور العلماء للقاضي عبد النبي أحمد نكري، بل إنها من زيادات أنور شاه القيمة.

كذلك شرحه لوجه إعجاز القرآن على أسلوب بديع مبتكر بأن القرآن معجز في مفرداته وكلماته ومقاصده وحقائقه الذي بسطه الشيخ أنور شاه الكشميري في أحد مؤلفاته "مشكلات القرآن" وهو على نكات ودقائق وبدائع تحقيقات وعلوم على النمط الرائع، كما إن الشيخ له آراء خاصة وتحقيقات نادرة أنيقة في كثيرة من المعضلات العلمية ومسائل علم الحقائق كمسألة "العماء" ومسألة "الروح والنفس" وحقيقة "التجلي" ومسألة "المعية الدهرية" وحقيقة "عالم المثال"[1].

وكتبه وأماليه تقدّم أمثال هذه الأبحاث النادرة، أخص منها بالذكر "فيض الباري" و "مشكلات القرآن" و "عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام".

مزايا دروسه

قضى ثلث عمره في ديوبند وجرت من قلبه ينابيع الحكمة والمعرفة واستفاد منه كثير من العلماء الإسلام وتضلع عنده عدد لا يحصى من العلماء البارعين، وكان وجود العلمي سبباً لإصلاح طرق التدريس، فانتهج العلماء مناهج التحقيق وطرق التفصي من المعضلات في المسائل.

كانت دروسه شبه محاضرات جامعة تستوعب جميع نواحي القضية وتنحل بها عقد سائر العلوم وكن يتدفق بحره المتلاطم من علومه، فيفيض من كل ناحية يسقى الأجادب ويروى عطشى العلوم[2].

---

[1]. أنور شاه كشميري: "مشكلات القرآن"، ط. المجلس العلمي دابهيل، ١٤١٣هـ، ص. ١٠٢.
[2]. بدر عالم ميرتهي: "مقدمة فيض الباري" ص. ١٤

كان يجود بثروته العلمية ونفائس الأبحاث على الطلاب بكل سماحة وإخلاص وحرصٍ متزايدٍ على الإفادة وكان يكثر الإحالة إلى كتب المتقدمين فكان يشعر من يتلمذ عليه بانه في عصر ذهبي من عصور العلم وقد ارتبطت صلته بالأئمة الذين مضوا قبل خمسمائة سنة على الأقل، وفي شرح الحديث النبوي كان يثير ابحاثاً علمية نادرة يتسع نطاقها إلى البلاغة والنحو والصرف فإذا جاء على الاستشهاد بقول شاعر فربما يتمثل قصائد طويلة لكثرة محفوظاته.

وقد كان يحفظ من قصائد شعراء العرب ما يتجاوز خمسين ألف بيت وكان نفسه شاعراً مجيداً، له قصائد ومراثي كثيرة تفيض رقة وعذوبة، وكان يلقى ضوءاً حافلاً على حياة كل من يذكره في درسه من الأئمة ويذكر مكانته العلمية، وكان من دأبه في الدرس انه كان يضع كتب المراجع والمصادر أمامه أثناء درسه، فاذا أحال شيئاً إلى كتاب فيأخذه ويريه الطلاب.

قد حضر درسه أحد من العلماء المبرزين وهو الشيخ على المصري الحنبلي وكان من حفاظ الصحيحين فناقشه أثناء درسه، فلما فرغ أنور شاه، صاح الشيخ المصري قائلاً: "لو حلفت انه أعلم من أبي حنيفة لما حنثت" غير أن الشيخ لما سمع هذه الكلمة قال : ان مدارك اجتهاد الإمام الأعظم أبي حنيفة عالية لا أكاد أصلها[3].

هكذا كان دأبه في الدرس الذي انجب المحدث البارع الشيخ فخر الدين أحمد، والشيخ مناظر أحسن الكيلاني، والمحدث بدر عالم ميرتهي، والشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، والشيخ محمد يوسف البنوري، والشيخ محمد طيب رئيس جامعة ديوبند

---

[3]. أنور شاه كشميري: "كشف الستر"، ط. المجلس العلمي دابهيل ١٤١٣هـ، ص. ٥٢

سابقاً، والشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، والشيخ المفتي محمد شفيع، والشيخ محمد منظور النعماني، والشيخ سعيد أحمد الاكبرآبادي، والمفتي عتيق الرحمن العثماني وآخرين[4].

آدابه العامة في تدريس الحديث

كان للشيخ أنور شاه الكشميري خصائص في الدراسة، تستولى على القلوب روعتها، لم نرها في أحد من بعده.

منها: انه كان يلخص الكلام في رجال الحديث إن كان لذكرها حاجة في الباب، أو فائدة يستحسن ذكرها وكان لا يطيل الكلام في الجرح والتعديل حيث كان يقول: ولو أكثر من نقل كلامهم في الرجال، وما فيه من كثرة القيل والقال، لأنه ليس عندي كبير ميزان في الاعتدال وبعضهم يسكت عند الوفاق، ويجرح عند الخلاف. وإذا دعيت نزال. وهذا صنيع لا يشفي ولا يكفي، وإنما هو سبيل الجدال.

نعم، اعتنيت بتعيينهم، ومعرفة عينهم، فيستطيع الناظر من المراجعة والمطالعة، ويتمكن من تخمير رأيه لا بالمسارعة.

ومنها: انه كان عنى بمنشأ الخلاف بين الأمة، ولا سيما في المسائل التي تتكرر على رؤوس الأشهاد، فكان يذكر في هذا الصدد أموراً تطمئن بها القلوب.

---

[4]. بدر الحسن : مقال، "عنوانه امام العصر أنورشاه" نشرت في مجلة الـداعي، مجلة شهرية (عدد خاص) صدرت عن مدرسة دار العلوم بديوبند في عام ١٩٨٠م، ص. ٦٢

ومنها: انه كان يعتني بنقل غرر النقول من كلام القدماء، والنقول التي تكون بعيدة عن متناول ايدي أهل العلم.

ومنها: انه كلما ذكر كتاباً أو مؤلفاً في صدد النقل، فكان يكشف عن منزلته في العلم. وخصائصه قلما يجدها الناظر في كتب الطبقات والتراجم بغاية من الانصاف. من غير غض عن قدره، أو إطراء في شأنه، ليكون بصيرة للطلبة، ووسيلة إلى العلم الصحيح.

ومنها: أنه كان يهمه إكثار المادة في الباب، دون الإكثار في بينها وإيضاحها، كأنه يضن بعلمه المضنون. ثم إن هذا الإيجاز في اللفظ، والغزارة في المادة أصبح له دأباً في تدريسه وتأليفه، وكان كما قال على رضي الله عنه: ما رأيت بليغاً قط إلا وله في القول إيجاز، وفي المعاني إطالة.

ومنها: أنه كان لا يقتنع بذكر ما يختص بالموضوع، بل ربما كان يذكر أموراً لمناسبة دقيقة بينها وبين الموضوع، حرصاً على بيانها إفادة للطلبة.

ومنها: أنه كان ربما يذكر أشياء وينقدها نقداً علمياً، ويدل الطلبة على منهاج النقد العلمي ويضع لهم أساساً لذلك، ثم يستدرك ذلك (تنبيهاً لهم) بمزية كلام أهل العلم، والاحتياط عن الخوض في شأنهم بما تأبى جلالة قدرهم[5].

وهذه أمهات خصائصه العامة في دراسة الحديث.

---

[5]. بدر عالم ميرتهي: "فيض الباري" ص. ٤٧، مأخوذ من كتاب الشيخ أنور شاه "نيل الفرقدين في مسألة رفع اليدين".

وله خصائص أخرى مهمة في أسلوب تدريس الحديث ودأبه في إدلاء كلامه بين الطلاب والحاضرين، سوف نلقى هنا بالتفصيل.

كانت للشيخ الكشميري مبتكرات طبعية في الدرس ما تحير بها العقول وتأخذ بمجامع القلوب ، ولا بدع فانه كان محققاً ومتقناً في العلوم والمعارف كافة، فكان الشاه الكشميري إذا أخذ في الإلقاء يواصل الكلام، فلا يتعلثم فيه ولا يتلجلج من غير أن يلحقه فتور أو أحجام، ولم يكن يفتقر إلى استدراك عثرة في اللفظ أو تكرار في النطق، ولا يتخلله سكوت ولا حصر ولا بهر، فكان يحدر المسائل الدقيقة حدراً ويسرد المباحث الأنيقة سرداً، تراه بحراً يموج بعبابه حتى تعجز مهرة الكتاب عن ضبط كلامه واستيعابه، ينتقل حدسه من مسألة إلى مسألة ومن علم إلى علم، وينشأ بينهما تناسباً دقيق اللحام، ويفرغ نفسه في أسلوبه بحسن سبك واتصال[6].

الأولى : إنه كان يذكر جميع المباحث المتعلقة بالحديث من بيان مذاهب علماء الأمة وأدلتهم مع ترجيح بعضها على بعض بغاية إنصاف وعدل، وبيان فوائده ومزاياه، ثم إن كان له أدنى تعلق بمسائل علوم آخر يذكرها، والشيء بالشيء يذكر.

الثانية : إنه كان يأخذ المسائل والمباحث من كلام أكابر علماء تلك الفنون فيذكر أقوال معاصريه، ولا ينحط من نحو ابن هشام والمحقق الرضى، ولا يذكر في

---

[6]. يوسف البنوري : "نفحة العنبر" ص.٦٧،

البلاغة إلا قول الشيخ عبد القاهر الجرجاني والعلامة الزمخشري، ولم يكن ينحط إلى أقوال العلامة التفتازاني والخطيب، بل كان لا يرضى بتعبيرات السكاكي في "المفتاح"، نعم ربما يذكر أشياء في البلاغة للشيخ تقي الدين السبكي وابنه الشيخ بهاء الدين السبكي من كتابه "عروس الأفراح" فتعجبها، وكان يقول : قد فاق التقى السبكي على ابن تيمية في علوم البلاغة والعربية، بل كان لا يقدر رأيه في هذه الفنون مع اعترافه بتبحره المدهش، وكان يأخذ اللغة من كلام الأئمة، كالجوهري في "الصحاح"، والأزهري في "التهذيب" والراغب في "المفردات"، والزمخشري في "الفائق"، ولم يكن ينزل عن طبقة "القاموس"، وهكذا في سائر العلوم مع تعقبات واستدراكات لطيفة برأي صائب يقبلها الذوق الصحيح ويذعن لها المنصف البصير[7].

الثالثة : إنه كلما أحال على كتاب أو مصنف ــ وكان ذلك أول مرة ــ فكان يذكر جملاً نفيسة بحال ذلك المصنف أو ذلك الكتاب، ويذكر خصائصه البديعة التي لا يجدها المتفقد في مطاوي كتب الطبقات، ليكون الطالب على خبرة وبصيرة نافذة، وينبه الطلبة على ما كان فيه من المزايا ليكون له عوناً عند الحاجة.

الرابعة : إنه كان يعتني بأن يحل مشكلات العلوم والعقد التي اعتاص انحلالها على القوم، فيجر الكلام إليها بأدنى مناسبة.

---

[7]. انور شاه كشميري: "فصل الخطاب في مسألة أم الكتاب"، ط. المجلس العلمي دابهيل، ١٩٩٣، ص. ٨٨

الخامسة : إنه كان يحاول أن ينشأ في الطلبة ملكة راسخة في العلوم وسواد كامل يتمكن به من حل المعضلات، وكان ينبههم على أنه كيف ينبغي الارتقاء إلى مدارج شامخة في المعارف والعلوم.

السادسة : إنه كان يهيج رغبتهم إلى خدمة الدين، وأن لا يجعلوا العلم وسيلة إلى معاشهم ولا ذريعة إلى المباهاة والتماري، وأن يبذلوا مجهودهم في نصرة الحق والذب عن حياضه بكل ما أمكن، ويمكن في قلوبهم أن المطلوب من العبد العمل الصالح دون العلم فان العبد لم يخلق له، وكان عند الشيخ أنور شرف الإنسان بالعبودية دون العلم[8].

فهذه أمهات أغراضه في درس الحديث ما تنقح عندنا، ولا نستطيع أن نستقصي محاسن درسه الجزئية من حلاوة الكلمات، وعذوبة الفقرات، وجزالة التعبيرات، وتنقيح المشكلات، بطريق أفضل، وجذب الأفكار والتوجيهات إلى درسه بشكل واضح، وغيرها من المزايا الرائعة ما يحصر اللسان ويقصر القلم عن البيان، بحيث يطرب الآذان وينشط الأذهان مما يتعلق بمشاهدة الأبصار، وتعي دونها مهاري الأنظار، بل رمزناً إلى ما كان يجري مجرى الأصول والأمهات الموضوعة والقواعد الكلية المتقررة.

---

[8]. بدر عالم ميرتهي: "مقدمة فيض الباري" ص. ٤٨.

وبالجملة فكان بحراً ينحدر أو وادياً يسيل أو برقاً يرعد، بذل قصارى جهده أن يقيّد شوارد المسائل، ويفتح المغلقات التي أقفلت أبوابها على الأماثل والجهابذة. فكانت درراً تناثرن من فيه وصدره بحر يقذف بمكامنه وخوافيه[9].

خصائصه في تدريس صحيح البخاري

ومع هذا فالكتب التي ألفها الشيخ أنور شاه وقد تم النشر أكثر منها صارت للمستفيدين جوهراً ومقياساً. وهكذا ان درس "صحيح البخاري" بحيث يكون حاوياً لمزاياه الكامنة ومعارفه الرائقة لم يكمل في كثير من الأزمنة، حيث طارت مآثر الآثار أدراج الرياح، فكان درسه بحيث يكشف خباياه وتعم الميزات ديناً في رقاب علماء الأمة المحمدية، فقضى هذا المنهج للشيخ أنور شاه الكشميري وحاول أن يكمله طبقاً لمقدرته، ونقح مبناه، وحققه، فكم من المسائل الكلامية كانت فيه مخبوثه، وكم من مزايا الحديث كانت محجوبة، وكم من لطائف وأسرار رائعة وحكم ومعارف عالية كانت فيه مخبوءة، فالشيخ الكشميري حيث رنن آذان الأمة الحاضرة بحليها، وسمح بمضنوناته التي هي جواهر غالية كانت في صدره[10].

كان الشيخ أنور يدرّس أولا في عهد إقامته بديوبند "جامع الترمذي" و "صحيح البخاري" فكان أفرز دراسة جامع الترمذي لتحقيق أحاديث الأحكام، وتبيين مذاهب الأئمة واستيعاب أدلتها، وترجيح ما هو الراجح منها، كما كان خلقه، ولما

---

[9]. البنوري: "نفحة العنبر" ص. ١٠٢

[10]. أحمد رضا بجنوري: "ملفوظات محدث كشميري" ص. ٣٤٥. انظر شاه مسعودي: "نقش دوام" ص. ١١٢

اقتصر تدريسه نهائياً على صحيح البخاري، فكان يعتني فيه بما كان يعتني به في جامع الترمذي، ما عدا المهمات التي كان يتصدى لبيانها في الصحيح، فانتهت خصائص تدريسه لصحيح البخاري إلى أمور:

١ ــ : انه كان يستوعب أدلة المذاهب بما لها وما عليها في أحاديث الأحكام على حسب أسلوبه الذي ذكرناه في آداب دراسته العامة.

٢ ــ : انه كان ينتقي غرر النقول من شروح الصحيح، كأنها ورقة موضوعة بين عينيه، يذكر ما يشاء ويذر ما يشاء.

٣ ــ : انه كان يلخص كلام الشارحين، ويأمر بالمراجعة إن كان هناك بسط في الموضوع، ويزيد عليه ما كان عنده من الأبحاث الدقيقة، والمواضيع المهمة، مما جمع الله في صدره بالعلوم والمعارف[11].

٤ ــ : انه كان يتعرض لكثير من مشكلات العلوم. وكان يذكر في حلها نفائس ما يساوي رحلة حيث يكون الصحيح آخر كتاب، في آخر سنة من الفراغ، على نظام الدراسة في الهند غالباً، ولا سيما لمسائل الكلام، لأن الإمام البخاري أيضاً يتعرض لها كثيراً، ولا سيما في كتاب التوحيد. فكان يتكلم فيها كمسلك المحققين من قدماء المتكلمين وكان يقول كلام البخاري في التوحيد على مسلك القدماء. وهؤلاء الشارحون لما استأنسوا بالتوحيد الذي دار بين المتأخرين، ربما تقصر مداركهم عن

---

[11]. بدر عالم ميرتهي: " فيض الباري"، ص. ٣٧.

مدارك الامام البخاري فيتأولون كلامه بما هو برئ عنه. ومن أجل ذلك كان يعتني بأمثال هذه المواضع اعتناء بليغاً.

٥ ــ : انه كان يضع عن يمينه ويساره كثيراً من كتب الحديث، ولا سيما من متون الحديث فان كان فيها إشكال في موضوع يتعلق بالحديث الصحيح فكان يفتحها ويقرأها على الطلبة، ويحل الأشكال أو كانت هناك فائدة تلائم الموضوع فيذكرها بعبارتها. فكان درس الصحيح كان درساً لسائر الأمهات، بل ما عداها أيضاً[12].

فهذه مميزات درسه لصحيح البخاري، لا نجد بعضها في درس غيره. ومن أجل ذلك، كل من كان ضليعاً في العلوم، واسع الاطلاع، حادة الذهن، قوي الحافظة ثاقب الفكر، كان من عنده بحظ وافر، وبصيرة نافذة. ومن ثم كان درسه منشأ لإخفاق القاصرين، ومن لم يكن في ذهنه متسعاً لأمثال الأبحاث الجليلة.

ميزاته في شرح أحاديث الأحكام

كنا قد ذكرنا حوالي عشر خصائص من آدابه في شرح أحاديث الأحكام، وإنما نريد لفت النظر إلى بعض منها باختصار مع إيضاح وزيادة:

منها: انه كان همه في الأحاديث التي اختلفت اتباع أهل المذاهب في معانيها، أن يقف على غرض الشارع، فإذا استبان عنه استمسك به، ولم يحفل بعموم اللفظ، ولا باختلاف اتباع المذاهب مثاله ما وجدنا في "فيض الباري".

---

[12]. أنور شاه كشميري: "تحية الإسلام" ص. ٥٧. بدر عالم ميريوسف البنوري: "نفحة العنبر" ص. ٧٨-٨٠

ومنها: أنه إذا تعددت طرق الحديث فلم يكن يدير الكلام على طريقة واحدة، بل كان يجمعها إن أمكن الجمع، وإلا فيتوخى ما هو أوفق بغرض الشارع أو أقرب إليه. مثاله ما في "فيض الباري" في المواقيت من الجزء الثاني من شرح قوله صلى الله عليه وسلم: "من أدرك ركعة من الصبح ألخ".

منها: إذا تجاذبت الأحاديث، وتضاربت نصوص الشارع، ولم يتعين غرض الشارع بيقين، وكان الكل سائغاً عنده، فيحمل اختلاف الأئمة في أمثال هذا على الأولوية، ولم يكن يزعمه مخالفاً للمذهب ولا خروجاً عنه، مثلاً بحث الترجيع في الآذان، واختلاف الجهر والأسرار بالتأمين، ورفع اليدين في غير التحريمة، وإن تعين غرض الشارع كان هو المحمل الصحيح عنده[13].

ومنها: إذا اختلفت الروايات من صاحب الشريعة، واختلفت الرواية من الامام أبي حنيفة فكان محمل كل رواية على كل حديث، وكان الكل جائزاً، وإن تفاضلت في الرتبة وكان بعضها أولى من بعض، مثلاً في مسألة المسح على الرأس.

ومنها: أنه إذا صح حديث، والرواية المشهورة عن أبي حنيفة كانت مخالفة له، غير أنه يوجد في الباب رواية عن الإمام، فكان المذهب عنده ما دل عليه الحديث ووافقناه رواية من الإمام، كالسواك عند القيام إلى الصلاة، فكان يقول: يستحب لمن يثق بعدم خروج الدم من الأسنان فان ذلك ناقض الوضوء عند الحنفية[14].

ومنها: أنه إذا تعين غرض الشارع ولم يجد في الباب رواية عن الإمام توافقه، بل صادف رواية عن الصاحبين أو أحدهما، فكان هو المذهب الحنفي عنده،

---

[13]. يوسف البنوري: "تحفة العنبر" ص. ٨٩

[14]. أنور شاه كشميري: "كشف الستر"، ص. ١٨٢. أحمد رضا بجنوري: "ملفوظات محدث كشميري" ص ٣٤٢.

على سبيل المثال: مسألة الخمر، فكان يقول: غرض الشارع هو النهي عنها، سواء كان من العنب أو غيره، وسواء كان قليلاً أو كثيراً وسواء أسكر قليله أو لم يسكر، وإليه ذهب الجمهور، وأبو يوسف، وهو من أصحابه فتعين المصير إليه. هذا ما تيسر لنا بالإجمال، والغرض منه لفت النظر، ونريد أن نذيل هذا الموضوع بكلمات من إمام هذه النهضة الدينية الشاه ولي الله الدهلوي، ليتضح أن مسلك الشيخ أنور شاه هو المسلك الأعلى، وإليه ذهب المحققون من الفقهاء المحدثين من أهل المذهب الحنفي[15].

[15]. بدر عالم ميرتهي: "فيض الباري" ص. ٤٩-٥٠. كوندو: "الأنور"، ص. ٤٠٣.

الفصـــل الـــرابـــع

شرح أنور شاه للحديث ومحاولاته لتطبيق المذاهب

ظهرت خمسة مذاهب مهمة في القرون المتأخرة، هي: المذاهب الأربعة، ومعظم المسلمين معتنقون بأحد هذه المذاهب الأربعة والمذهب الخامس هو الظاهرية أو مذهب علماء الحديث وأصحابه.

وان أهل السنة والجماعة هي فرقة واحدة تجاه فرق الإسلام، تشملهم وتجمعهم النسبة إلى السنة والجماعة والتمسك بهما، ثم هم طوائف في الفقه والعقائد على رأي عامة العلماء، فكما أنهم في الفقه ليسوا على مذهب واحد ومنهاج واحد، بل لهم مذاهب عديدة ومناهج مختلفة.

كذلك انهم في العقائد طوائف: الأشعرية و الماتريدية، والطائفة التالية: **السلفية** أو **الأثرية** و**أصحاب الحديث** أو **الحنابلة**، وجماعة غير قليلة، إلا أنها قليلة بالنسبة إلى الأوليين، يُسَمُّون "السلفية" وهم الذين يُذكرون بالحنابلة وبأصحاب الحديث أيضاً.

الجدير بالذكر ان "علماء ديوبند" لا يخرجون في مذاهبهم الفقهية والكلامية عن طوائف أهل السنة المذكورة فلما لم يوجب ذلك قدحا فيمن مضى من علماء الأمة سلفًا وخلفًا وشرقا وغربا، فكيف يعد قدحا في حق علمًا ديوبند؟!!.[1]

يقول الشيخ أنور شاه الكشميري وهو يوضّح قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ما أنا عليه وأصحابي". وبالجماعة الآن مصداق الحديث أتباع المذاهب الأربعة والظاهري، وطريق معرفة ما أنا عليه و أصحابي توارث السلف وتعاملهم، وإذ اختلفوا في شئ فالحق إلى الطرفين.[2]

---

[1]. عبيد الله الأسعدي: "دار العلوم ديوبند مدرسية فكرية الخ" ص. ٣٦٥

[2]. أنور شاه كشميري: "العرف الشذي على جامع الترمذي"، ط. مكتبة المدينة ديوبند، ١٩٩٤. ص. ٢٥

قد اتفق جمهور علماء أهل السنة والجماعة على أصول من أركان الدين، كل ركن منها يجب على كل عاقل وبالغ معرفة حقيقته، ولكل ركن منها شعب، وفي شعبها مسائل، اتفق أهل السنة فيها على قول واحد.

ووافق أهل السنة والجماعة على أصول كل من السنن والآحاد والحسن والصحيح والقواعد بكاملها، وضللوا من خالفهم فيها، وفي كل ركن منها أصول، ومسائل فروع، ولهم إجماع على أصولها، وربما اختلفوا في بعض فروعها اختلافاً لا يوجب تضليلاً وتفسيقا.

يقول شاه ولى الله الدهلوي في كتابه الحجة الفذة "حجة الله البالغة":

"وليست السنة اسما في الحقيقة لمذهب خاص من الكلام، ولكن المسائل التي اختلف فيها أهل القبلة وصاروا لأجلها فرقاً متفرقة وأحزاباً متحزبة بعد انقيادهم لضروريات الدين.[3] وهي تنقسم على قسمين:

(ألف) قسم نطقت به الآيات وصرّحت به السنة وجرى عليه السلف من الصحابة والتابعين، فلما ظهر اعجاب كل ذي رأي برأيه وتشعّبت بهم السبل، اختار قوم ظاهر الكتاب والسنة وعضّوا بنواجذهم على عقائد السلف ولم يبالوا بموافقتها للأصول العقلية ولا مخالفتها، فان تكلموا بمعقول فلالزام الخصوم والرد عليهم، أو لزيادة الطمأنينة لا لاستفادة العقائد منها وهم أهل السنة.

وذهب قوم إلى التأويل والصرف من الظاهر حيث خالفت الأصول العقلية بزعمهم فتكلموا بالمعقول لتحقق الأمر وتبيّنه على ما هو عليه.

---

[3]. شاه ولي الله الدهلوي: "حجة الله البالغة" ط. مكتبة رشيدية دلهي، (سنة النشر غير مذكورة) ص. ٩

(ب) وقسم لم ينطق به الكتاب ولم تستفض به السنة ولم يتكلم فيه الصحابة فهو مطوي على غرّه، فجاء ناس من أهل العلم فتكلموا فيه واختلفوا وكان خوضهم فيه[4].

تمييز أهل السنة والجماعة من الفرق المنحرفة

إن أهل السنة والجماعة، بعد اتفاقهم على أصول وكليات تميُّزهم عن غيرهم من الفرق الخارجة عن جادة الحق، وتشهد لهم بأن جماعتهم هي الجماعة الناجية التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "ما أنا عليه أصحابي" اختلفوا في التفسير والتفصيل، فصاروا لاختلاف مناهجهم في ثلاث طوائف، متحدة في الأصول والمباني، ومختلفة في بعض الفروع والنواحي، وهم السلفية والأشعرية والماتريدية، والسلفية يقال لهم الحنابلة وأصحاب الحديث والأثرية.

وأكثر بكثير من المسلين انتسبوا، ولا يزالون ينتسبون إلى الأشعرية أو الماتريدية، عوامهم وخواصهم مع وجود الطائفة الثالثة في قلتها، ووجود من يخالف الطائفتين المعروفتين حتى جاء عصر إحياء علوم الشيخين ابن تيميه وابن القيم وآرائهما فاتسع نطاق المنتسبين إلى الطائفة الثالثة، وانتشر هذا المذهب أيضًا، فصار أتباعه في كثرة بالنسبة إلى ما سبق، لكن النسبة إلى الطائفتين المعروفتين لم تزل باقية، وذكرهما لا يزال جاريا وساريا عند المحققين من علماء الأمة من مختلف البلاد ومختلف المذاهب الفقهية[5].

---

[4]. أنور شاه كشميري: "مشكلات القرآن"، ط. المجلس العلمي دابهيل، ١٣٩٤هـ، ص. ٩ - ١٠

[5]. أنور شاه كشميري: "عقيدة الاسلام". ص. ١٩٧ - ١٩٨

والأشعرية والماتريدية لم تكن أبداً من الفرق الضالة الزائغة، وأقوى الدليل على ذلك أن كلاّ من الإمامين أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي صرّحا بأنهما متبّعان للسلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم في الأصول والمناهج، وقد تحقق المحققون والمتخصصون، وتبيّن لهم ذلك بعد المقارنة بين المناهج والأصول.

الأشعري الحنبلي، والماتريدي الحنفي

قد اشتهر نسبة أبي الحسن الأشعري إلى السلف وإلى الإمام أحمد ومذهبه في كتابه "الإبانة"، كما اشتهر وعرف ذلك من أمر الماتريدي بنسبته إلى الإمام أبي حنيفة ومذهبه، فانه احتضن أصوله ومسائله في باب التوحيد والعقائد أيضاً، كما كان على ذلك من مسائل الفقه وأصوله، ومذهب الإمام أبو حنيفة وأصحابه في التوحيد والعقيدة معروف في كتبه، وسيما اشتهر وانتشر ذلك بكتاب الإمام الطحاوي الذي لم يزل متداولاً بين أهل السنة والجماعة منذ تأليفه هو كتابه "العقيدة الطحاوية" وقد كثر الاعتناء به والاشتغال في الأيام الأخيرة. وانما حصل لهما الامتياز والاختصاص بين المنتسبين إلى أهل السنة والجماعة، ففارقوا السلفية في بعض الفرعيات والتفصيلات لخصوص ظروف ألجأتهم، وأمور اضطرتهم إلى ذلك، كما وُجد من بعض المنتسبين إلى السلفية والحنابلة بعض ما خالفه فيه بعضٌ آخر من السلفية[6].

---

[6]. الأسعدي: " دار العلوم ديوبند مدرسة فكرية" ص. ٣٧١

نشوء الفرق وموقف أهل السنة والجماعة

الفترة التي عاش فيها أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي تمثّل نتاج متحرك قديم بين فِرَق زلّت قدمها بالنسبة لكيفية تناولها للعقائد، إما لتأثرها ببعض آراء دخلية من تراث شرقي أو غربي قديم، أو لرغبة في اخضاع كل ما ورد في الشريعة للعقل البشري، وقد تصدّت لهم جماعة من أهل السنة الذين أرادوا مقابلة هذا الانحراف بالثبات على موقف السلف، الذين لم يتكلموا في المسائل التي طرحها المبتدعة وحذروا من الخوض فيها.

ومن يدرُسُ أسس موقف كلّ من الإمام أحمد والإمام البخاري وابن قتيبة والدارمي وغيرهم من السلف الصالح تبيّن له أنهم كانوا يتّبعون أسساً واحدة في تفسير النصوص المنزّلة، كما تبيّن لهم أهميتها وهي أن الأمور الغيبية الواردة في النصوص المنزّلة تفوق مقدرة العقل البشري في استيعابها، وبالتالي هناك موضوعات في مستوى العقل البشري، وهذه الأخيرة هي الغيبيات. وهذا التمييز الواضح بين موضوعات المعرفة هو الذي دعاهم إلى التوقف عن الأمور الغيبية بالعقل، وإلى التصريح بضرورة قبولها على ما هي عليه دون اعمال الفكر فيها، في الوقت الذي لم يتبيّن أهل البدع ذلك فخاضوا فيما يتعّذر الخوض فيه بالعقل، وانتهوا الى الخروج عن أصول العقيدة[7].

---

[7]. عبد الرحمن البرني: " علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث" ص. ١٧٩

فالذين لم يتنبّهوا إلى هذه القاعدة وبالتالي لم يعملوا بها من الفرق المناوئة لأهل السنة انتهوا إلى أقوال في العقائد خاصة في ذات الله تعالى وصفاته، بعُدت بهم عن الصواب. وهؤلاء قد دعّموا موقفهم العقلي أصلاً بكثير من الأساليب والمناهج من الثقافات الدخيلة مثل فكرة القسمة إلى جوهر وعرض مثلاً، وغيرها من التقسيمات المذهبية[8].

وفي مقابل هؤلاء، كان هناك المجسمة والمشبهة الذين وقعوا في شبهة التجسيم، ومن هؤلاء الحشوية والكرامية، وقد انتشروا انتشار الفرق الأخرى، وقامت بينهم وبين المعتزلة مناقشات ومجادلات كثيرة، فبدلاً من أن يسترشدوا بدلالة النص المنزّل لجأوا الى العقل دون النقل، واعتمدوا على الحسّ خاصة. وتنالوا العقائد على أسلوب الأمور العادية الجسمانية مشبّهين الخالق بمخلوقاته. ولقد قاوم السلف هذا الاتجاه أيضاً ودحضوا آراء أصحابه بحيث يمكّننا ان نقول: ان الإمام الأشعري قد وجد نفسه بعد تحوّله من الاعتزال ورجوعه الى الحق بين نوعين من المغالاة في مجال العقائد، مغالاة المعتزلة ومغالاة الحشوية والكرامية، ومن سار على منوالهم ممن لم يقدروا حدود استعمال العقل في الأمور العقائدية.

---

[8]. انور شاه كشميري: "اكفار الملحدين" ص. ١٧

فالمعلوم، ان رئيس أهل السنة والجماعة في علم الكلام رجلان أحدهما حنفي والآخر شافعي. أما الحنفي فهو أبو منصور محمد بن محمود الماتريدي. وأما الآخر فهو شيخ السنة.... أبو الحسن الأشعري.

فاتضح ان أبا حنيفة هو من الماتريدية كما يظهر من هذا البيان: "إنّ أهل السنة والجماعة ثلاث فرق: الأثرية، وإمامهم أحمد ابن حنبل. والأشعرية، وإمامهم أبو الحسن الأشعري. والماترية، وإمامهم أبو منصور الماتريدي[9].

في الحقيقة، إنّ الغرض الأساسي لتأسيس مدرسة دار العلوم الديوبندية وأبناءها ودارسيها هو تأييد الحنفية، وإن هذه المادّة المهمّة (أي تأييد الحنفية) قد بقيت غير منصوصة وغير مؤكدة من دروس شاه ولي الله الدهلوي بالقدر المطلوب، فان الشاه ولي الله الدهلوي مع اتفاقه بالمدرسة الحنفية لم تنتفع الحنفية من غزارة علمه حسبما كان يتوقع منه لأنه كان يدعي الاجتهاد ولكن سدّدت دار العلوم هذه الثغرة بأحسن طريق، فقام علماءها وطالبيها بدور منقطع النظر لتأييد الحنفية بدروسهم ومؤلفاتهم، ولا ريب ان أنور شاه الكشميري قد صرف عبقريته الخاصة لهذا الغرض النبيل، وانه يقول بنفسه : اني أحكمت الحنفية إحكاماً لن يتضعضع بنيانه إلى مائة سنة، والله سبحانه وتعالى خلقني في هذا العصر لإحكام الحنفية وإرساء قواعدها[10].

---

[9]. الأسعدي: "دار العلوم ديوبند مدرسة فكرية" ص. ٣٧٢.
[10]. البنوري: "نفحة العنبر" ص. ٩١ - ٩٢

والواقع ان هذه التصريحات ان تتطرق إليها أي شبهة واحتمال لأنه قد صرف قسطا كبيرا من حياته في البحث عن أسس الحنفية المتينة، وإنه أيضاً لم يكن مقلداً للمذهب الحنفي فحسب كما يظهر من مؤلفاته، بل كان محققاً، وكان مطلعا على جميع المعالم التي تهدف إلى تزييف فقه الإمام أبي حنيفة واضعافه وقد قال في خطاب ألقاه في مدينة دابهيل:

"إني قضيت ثلاثين عاما من حياتي لأرى، هل الفقه الحنفي يطابق الحديث أم لا؟ فإني مطمئن بعد هذا التعب على ان أحاديث الإمام أبي حنيفة تساوي درجة أحاديث الفقهاء الآخرين، وإذا اعتمد الإمام أبو حنيفة في مسألة على القياس فان الخصم أيضاً ليس عنده أي دليل في المسألة"[11].

والمقصود، أن أنور شاه الكشميري كان يعتقد اعتقادا جازما برجاجة الفقه الحنفي وكونه حقاً بعد المجهودات العلمية، وقد أيد مسلك دار العلوم ديوبند تأييداً عظيماً، التي من أساسها الأصلي تأييد الحنفية وإحكامها.

وإن المنهج السائد في دار العلوم ديوبند والمدارس الأخرى في تنقيح أقوال الحنفية، وتخريجها وإثباتها وتوضيحها، وقد كانوا قبل ذلك يكتفون بترجمة الأحاديث وذكر كل المذاهب الفقهية على حدة، ولم تكن طريقة إثبات الحنفية وترجيحها رائجة من قبل، وجرى بعده على هذه الطريقة أكثر بكثير من علماء وخرّيج هذه المدرسة.

---

[11]. أنور شاه كشميري: "مقدمة فصل الخطاب" ص. ٧

ونظراً إلى هذا الهدف الأصلي السامي شعر علماء ديوبند عن ساق الجدّ لخدمة الفقه الحنفي واخضاع السنة له بطريقة التدريس والتأليف وفتح المدارس في أقطار شبه القارة الهندية مع ادعائهم انهم ورثة شاه ولي الله الدهلوي وناشرو أفكاره وعلومه، وشتان بينهما فان ولي الله كان يدعوا إلى الانطلاق الفكري والحرية في الفهم والاجتناب عن الجمود والتعصب، وكان يسعى لتقريب المذاهب الفقهية من منهج المحدثين ويدعو الناس إلى اختيار طريق الفقهاء المحدثين في العقيدة والعمل، وما أنشئت دار العلوم وأخواتها الاّ لتأييد مدرسة خاصة وتمثيلها.

والحقيقة، ان حسب تصريحاتهم تدور خدماتهم للأحاديث النبوية حول تأييد المذهب الحنفي ودعمه بدلائل السنة وعرض السنة على الآراء والأقوال والاستنباطات لا العكس، تشهد لهذا الصنيع مؤلفاتهم في شروح كتب الحديث والحواشي عليها كحواشي الشيخ أحمد علي السهارنفوري على صحيح البخاري والجامع للترمذي والمشكاة، وحواشي الشيخ عبد الغني المجددي والشيخ أحمد التهانوي على ابن ماجه والنسائي وأمالي الشيخ أنور شاه الكشميري التي قيدها تلاميذه ونشروا في العربية والأردية كما قد ذكرنا في الفصول السابقة[12].

[12]. بدر عالم ميرتهي: "مقدمة فيض الباري" ص. ٢١. عبد الرحمن الفريواني: "جهود مخلصة في خدمة السنة" ص. ٢٦١

موقف علماء ديوبند على تقليد الأئمة الأربعة والتقليد بأحد المذاهب الفقهية:

ان علماء ديوبند يرون من الواجب التقيّد المعين والتّمذْهُبُ بمذهب إمام مجتهد في المسائل الاجتهادية، وذلك للاحتراز عن حرية النفس في باب الدين، وعن اللادينية، وللاحتراز عن العمل برأي النفس، ولصون الدين وحفظه عن التشتّت والفوضى؛ ولذا فانهم والجماعة قاموا بتربية على الحنفية في الفقهيات، ولكن تقليدهم لا يخلوا عن روح الاعتدال والجامعية، من غير افراط ولا تفريط. فليس عندهم حرية لا يقولون لأجلها بأصول التفقه التي وضعها السلف ولا بالمسائل التي استنبطت منها وبها، ويقومون مدّعين للاجتهاد المطلق، اعتمادا على قطع آرائهم.

وكان يفتي الشيخ الكنكوهي بأن المقلّد وغيره كلهم متحدون في العقائد، فكلهم من أهل السنة والجماعة وانما خلافهم في الأعمال فقط كما يقول أنور شاه المحدث الكشميري أن الظاهريّ من أهل السنة والجماعة.

ويقوم الشيخ أشرف علي التهانوي بإعراب عن اعتقاده أن لا يكون في عدم التقليد مفرطاً، وفي المنع عنه مفرطاً بأن يقول: إنه شرك وحرام ومطلقاً، وقال الشيخ أنور شاه الكشميري في مثل هؤلاء أنهم من أهل الأهواء، كما صار وضع هؤلاء الرافضين لتقليد الأئمة في أغلبهم منذ قرن وأكثر، ونشاهده سيما في بلادنا وذلك أن تبنّى الذاهبون إلى هذه النزعة، هذا الأمر كأنّ هذا هو الحق الوحيد، فماذا بعد الحق إلاّ الضلال، فقالوا وتحمسوا بكل كثير وقليل عندهم، كدعوة إلى الإسلام وحركة لدمع

الباطل، وليراجع لذلك كلام هذه الطائفة في التقليد لا في ذمة والمنع عنه فحسب بل في سبّ الأئمة، حتى بلغ بهم الأمر إلى أن جعلوا يسبّون الصحابة الذين يستندون إليهم ويرون عنهم الأئمة وأتباعهم الذين تبغضهم هذه الطائفة أشد البغض[13].

وإذا كان كذلك فأمّا أن يعتبر شرعاً قياس كل واحد، ولو بدا له ما بدا، أو العبرة لقياس البعض، لا لبعض آخر ولا لكل، لقوله تعالى [ولو رُدّوه إلى الرّسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه عنهم] فلمّا ثبت أن المعتبر من القياس هو قياس البعض، فذلك البعض هو الذي يسمى "المجتهد والمستنبط" و "المقلد" هو من لا يعتبر قياسه، فهكذا لزم على المقلد أن يقلد ويتبع المجتهد لقوله تعالى [واتّبع سبيل من أناب إليّ].

قد علم مع القطع واليقين بأحوال الأئمة الأربعة التاريخية أنهم داخلون (باذن الله) تحت عموم [من أناب إليّ] فلذا وجب اتباعهم[14].

ثم تحقيق هذه الإنابة إما أنه يتحصل تفصيلاً وإمّا اجمالاً. فالتفصيل أن يُنظر في كل جزئي وفرع مختلف فيه أن الحق في أي جانب؟ والإجمال ان تنظر جميع أحوال كلّ إمام وصفاته ليتعلم من منهم على الحق في الأغلب؟ ففي الصورة الأولى مع ما فيه من الحرج وتكليف ما لا يطاق، لا يبقى المقلّد مقلّداً بل هو المتبع لتحقيق نفسه لا لسبيل غيره، وهو خلاف المفروض. فتعينت الصورة الثانية أي التحقيق اجمالاً. فمنهم من غلب ظنّه وترجّح اعتقاده في حق الإمام أبي حنيفة، نظراً إلى

---

[13]. نفس المصدر: ص. ٢٦٣

[14]. الأسعدي: "دار العلوم ديوبند مدرسة فكرية" ص. ٣٧٥

مجموع أحواله، أنه هو المنيب والمصيب. ومنهم من حصل له ذلك في حق الإمام الشافعي أو الإمام مالك أو احمد، ولذا، فكلّ اتبع واحداً منهم.

والشواهد على هذا المذكور من مسلكهم الفقهي بالتفصيل المسطور أكثر من أن تحصى، فان مؤلفاتهم وفتاواهم مملوءة بها وبالأمثلة لهذا أي التقليد مع التحقيق من غير عناد وتعصب، والترجيح بناء على الدلائل ولو كانت في جانب الخصم والمخالف، أو الإجازة والإفتاء بالعمل لمذهب غير الحنفية من الأئمة الأربعة عند الضرورة وخصوص الظروف والأحوال، ويتبيّن لنا ذلك مما وضع الشيخ أشرف علي التهانوي من الدستور الذي بنى على هو وأصحابـــه تأليف اعظم كتاب، وأوسعه وأحسنه، في بيان مأخذ الحنفية من الأحاديث النبوية[15].

وان الشيخ ولي الله الدهلوي ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كشفاً، وهو انه اعتمد فيه واختير ما وافق الحديث من أقوال الأئمة الثلاثة (من الحنفية) الإمام ابو حنيفة وصاحبيه. بل رُجّح قول الإمام الشافعي على قول الحنفية في بعض المسائل، وكتب في تلك المواضع انه لم يوجد حديث في تأييد الحنفية في كتاب من كتب الحديث الموجودة، ومن الممكن وجود حديث في ذلك عند أئمتنا لم نقدر عليه، ففي هذا الحال قول الإمام الشافعي هو القوي[16].

ومن تدبّر كلامنا المارّ آنفاً، ومطالعة كتاب "إعلاء السنن" عُلم أنّا لسنا من المقلّدين الذين ذمّهم ابن القيم، بل نحن إنما نقلّد إمامنا أبا حنيفة وأصحابه لعِلْمِنا بأنهم اتبع الناس القرآن والسنة، وأن لهم في الحديث أصولاً كما أن للمحدثين اصولاً، فلا

---

[15]. البرني: "علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث" ص. ١٢٢.
[16]. البنوري: "نفحة العنبر" ص. ١٠٣

لوم علينا ان خالفناهم (اي المحدثين) في قبول بعض الأحاديث والعمل به، وترك العمل لغيره، لأن مبنى أصول الطرفين على الاجتهاد، ولا مشاحة في الاجتهادات.

وعلماؤنا قد يتركون أقوال إمامهم إلى أقوال أصحابه إذا خالفت النصوص، ومثل ذلك في المذاهب، يعرفه كل من له نظر فيها، وربّما أفتوا بقول الأئمة الذين فيهم نظير إمامنا أو نظراء أصحابه، إذا رأوا قوة الدليل عندهم ونحوها.

ومن أراد التفصيل والتحقيق فليراجع فتاواهم وشروحهم للحديث، وما كتبوا وألّفوا في الفقه، وخير مثال لافتائهم بالعمل بمذهب غير الحنفية كتاب "الحيلة الناجزة في الحيلة العاجزة" فقد ألّفوه في مسألة "زوجة المفقود" واختاروا القول على مذهب الإمام مالك، لأن لها سعة في مذهبه، خلافاً للحنفية وغيرهم[17].

واختيار قول غير الحنفية من المذاهب الأربعة، وترجيحه والإفتاء به، والإذن بالعمل بقول أحد من الأئمة غير الإمام أبي حنيفة في مثل هذه الأحوال عندهم خلافاً للمذهب ولا الخروج عنه، وانما هو من العمل بالمذهب في الجملة، فمع ذلك أيضاً ينسب المرء إلى مذهبه الذي يتقيّد به ويقلّده.

وذلك لما روي في ذلك من أقوال أئمة المذاهب، إنه إذا صح الحديث وكان على خلاف المذهب، يعمل بالحديث ويكون ذلك مذهبه، ولا يخرج مقلّده عن كونه حنفياً بالعمل به فقد صحّ عن أبي حنيفة إنه قال: إذا صحّ الحديث فهو مذهبي[18].

ولما اختاره المحققون من العلماء والفقهاء إلى أحد هذه المذاهب، و بناء على ذلك انهم نسبوا عدداً كبيراً من العلماء والفقهاء إلى أحد هذه المذاهب مع أنه له

---

[17]. الأسعدي: "دار العلوم ديوبند مدرسة فكرية"، ص. ٤٠٢ - ٤٠٣

[18]. انور شاه كشميري: "تحية الاسلام" ص. ١١

اختيارات وترجيحات خلافاً للمذهب الذي ينسبون إليه، وينتسبون هم أيضاً إليه. وعلى سبيل المثال، الشيخ صديق حسن البوفالي، أحد الأعلام من علماء الهند، نسب الشيخ بن تيميه وتلميذه ابن القيم إلى الحنابلة، وكما هو قال في محمد بن عبد الوهاب أيضاً. ونسب الإمام ولي الله الدهلوي وجميع علماء بيته وسلالته إلى الحنفية وهو الذي صرّح به واختاره علماء ديوبند.

ومن المناسب المفيد، بل الواجب الأكيد ان الفت الانظار هنا إلى أن مسلك علماء ديوبند في الفقه والاجتهاد، والتقيّد بأحد المذاهب الأربعة واستحسانه، واعتقاد انّ فيه المصلحة لعامّة المسلمين في القرون المتأخرة، والتزام المذهب الحنفي من بين المذاهب الأربعة لخصوص أحوال البلاد، ولكن مع التوسيع وعدم التضييق، هو ما أخذوه عن إمام هذه الطائفة، وعمدتهم في الدين، وقدوتهم في العمل، الإمام ولي الله الدهلوي بالسند المتصل منهم إليه بواسطة أخلافه من ابنه و من بعده ووجدوا عليه علماء هذه السلسلة الكريمة قرناً بعد قرن وطبقة عن طبقة. وهذا ليس بادعاء محض بل ثبت ذلك بما يوجد الآن من كتبهم وكتاباتهم وبما روي ويروى عن ثقات هذه السلسلة وخواص هذه الطائفة بالأسانيد القوية المعتبرة لدينا، ولا يمكن لغيرنا أيضاً الانكار عنه والجحود به[19].

فلذا اضطر على الاعتراف والتصريح بذلك عدد من الأعلام والمحققين من العلماء الذين لم يكونوا على مذهبهم ومنهجهم، كيف وقد صرّح به، وأزال عن الصدور ما اغترّ به، وغرّ كثير من أهل الشرور بذلك، الشيخ المصلح المجاهد

---

[19]. الفريواني: جهود علماء الهند في خدمة القرآن الكريم" ص. ٣٥

الداعية سيد أحمد بن عرفان الشهيد أيضاً، الذي رافقه وقاتل معه وتحت لوائه الشيخ إسماعيل الدهلوي الشهيد مع أعداء الإسلام، نسب إليه ما ينسبُ رافضو التقليد من مسلمي شبه القارة إلى هذه البيت من انهم لا يتقيدوا بأحد المذاهب الأربعة ويتبرءون عن الحنفية، فكتب الشيخ السيد احمد الشهيد إلى جماعة من العلماء ورسالة طويلة صرّح فيها وأوضح مسلكه الفقهي، وقال فيها "إن هذا العبد وأسرته لم يكونوا من الخاملين في بلاد الهند"، فانه يعرفهم ألوف آلاف من الأنام من بين الخواص والعوام، بأن مذهب هذا العبد أباً عن جدّ هو المذهب الحنفي. وكذا جميع أقوال الضعيف وأفعاله منطبقة وجارية على أصول الحنفية وقواعدهم بالفعل، فلا يوجد فيه شيء خارج عن ذلك[20].

وممن صرّح بذلك من العلماء المحققين وهم من أعلام المنابذين للتقليد في هذه البلاد، الأمير العالم الشيخ صديق حسن خان البوفالي، وذلك في عدة كتبه، والشيخ محسن بن يحيى الترهتي في كتابه "اليانع الجني في أسانيد عبد الغني"، والشيخ مسعود عالم الندوي في كتابه "تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند"، إلاّ أنه لم ينسب إلى الحنفية إلاّ الشيخ عبد العزيز نجل الشيخ ولي الله الدهلوي ومعظم تلاميذه فقط، أمّا الشاه ولي الله نفسه وحفيده الشيخ إسماعيل الشهيد فقال فيهما "إمام أهل الحديث في الهند وحامل لوائهم"[21].

---

[20]. محمد الرابع الحسني: "الشهيد احمد بن عرفان"، المجمع العلمي للبحث والنشر لكناو، ٢٠٠٢، ص. ٤٤ - ٤٥

[21]. الأسعدي: "دار العلوم مدرسة فكرية"، ص. ٤١٠.

أنور شاه الكشميري ومحاولاته في خدمة المذهب الحنفي

قمنا بذكر مزاياه الخاصة في صدد تدريس الحديث وأساليبه فيه. والحق هذا لا يسعنا أن نذكر كل شيء من ميزاته مع أننا سعينا في هذا المجال إلى حدّ كبير. فان الشيخ أنور شاه قد خدم المذهب النعماني برهة طويلة في دروس الحديث، دروس "سنن أبي داود" و "جامع الترمذي" و "الصحيح للبخاري" وغيرذلك، وفي رسائله المؤلفة في المواضيع المهمة ما سنذكرها، وفي مجالسه ومحافله ومواعظه وخطبه، فكم من أحاديث قد استدل بها له! وكم من آثار احتج بها له! وكم من المسائل الجريئة في الفقه الحنفي قد رصص بنيانها! وكم من قواعد كلية وضوابط عامة للمذهب أسس عمرانها! وكم من غوامض ودقائق وصل إليها فكره! وكم من سوانح جاد بها نظره وسمح بها لسانه، وقد مضى نحو ثلاثين عاماً وهو شطر عمره في خدمة مذهب إمامنا ومقتدانا الإمام القطب الذي تدور حوله رحى الفقه من فقهاء الأمصار الإمام الكوفي أبي حنيفة، فحاز كنوزاً وذخائر من الدلائل والشواهد والآثار والمتابعات، وكان قد يجري على مقاله كان الله خلقني لتأييد مذهبه، وقد يقول: قد أسست بنيان الحنفية بحيث لا يفني مذهبهم مائة سنة. وضبط ذلك في مضابطه وجمع فيها ذخائر أوبسطت اليوم مرتبة منتظمة مفصلة على الطريقة التأليفية على الأوراق، وجمعت نقول الأسفار التي أحال عليها برمز صفحاتها لبلغت أجزاء كبيرة مما يتعلق بالفقه الحنفي فقط دون سائر العلوم، فلو أمعن خبير عاقل في مساعيه الجميلة وآثاره الباقية الصالحة لاعترف بمتن هذا الشيخ، ولاعترف بأن وجوده كان تأييداً ربانياً للمذهب النعماني بدا في هذه القرون المجدبة والعصور الماحلة. وكان يقول: ما رأيت مسألة

في الفقه الحنفي لم تكن له حجج مؤزرة أزيد من مذاهب الأئمة أو مساوية لها، إلاّ في مسألة الخمر، فان دلائل الجمهور فيها غالية كثيرة لم أفز لقول الإمام بشيء يقاوم براهينهم[22]. وكان ينبه الطلبة تنبيهاً عظيماً بأن لا يذهب وهلكم إلى ضعف مذهب إمام من الأئمة المجتهدين، فكلهم أئمة قدوة، ولنا فيهم أسوة، ولكل وجهة هو موليها. فهذا حاله من خدمة المذهب الحنفي.

ورأى أنور شاه المحدث الكشميري في بعض آرائه التحقيق عن الأحاديث المتعلقة بالفقه أو بالعمل وغيره، نحن في صدد ذكر بعض الأمثلة لكي يغوص في حل بيانه. ومثل "إنما الأعمال بالنيات الخ" (الحديث) فان المعتبر في الارادة هو اصدار المراد، ولا يعتبر فيه غرض للمريد، بخلاف النية، وانها يعتبر فيها غرض، ولذا لا يكاد يترك معها ذكر الغرض، فيقال: نويت لكذا، بخلاف الإراداة، فانه يستعمل بدون ذكر الغرض أيضاً. والحديث انما ورد في العبادات دون القربات والطاعات ونحن نلتزم أن الوضوء بدون النية لا ينعقد عبادة. أما انه لا يصلح لكونه مفتاحاً للصلاة فلا يدل عليه الحديث أصلاً. وقيل: العبادة يشترط فيها النية ومعرفة من يتقرب إليه. والقربة يشترط فيها معرفة من يتقرب إليه دون النية كتلاوة القرآن والطاعة لا يشترط فيها شيء كالنظر الموصل إلى الإسلام. ويقول الشيخ أنور شاه: "إن من الوسائل ما يشترط فيها النية عندنا أيضاً، كالتيمم، والوضوء بالنبيذ، فانها شرط للصحة فيهما". والعجب أن الإمام الأوزاعي والحسن بن حي، لا يشترطان

---

[22]. أنور شاه كشميري: "مشكلات القرآن" ص. ١٥.

النية في التيمـــم أيضاً كما في العيني، فقد سبقوا إمامنا أبا حنيفة في عدم اشتراط النيـــة[23].

وكذلك في التسمية، هل التسمية جزء من كل سورة أم لا؟ يرى الشافعية ان التسمية جزء من كل سورة وجزء من الفاتحة أيضاً، ويقول الحنفية انها ليست جزءاً للفاتحة ولا من كل سورة، قيل أول من كتب هذه المسألة من الحنفية هو أبو بكر الرازي وليست منقولة عن الإمام أبي حنيفة، فيقول الشيخ أنور شاه ومن رآها مكتوبة بين كل سورتين يحكم ذهنه إلى أنها آية نزلت للفصل ين السّور كما ذكر في الكنز، واعترض على الشافعية أن التسمية لو كانت جزء من كل سورة نزلت هناك أيضاً وأجاب عنه الشافعية أولاً بأن مضمونه التسمية قد اديت في ضمن اقرأ باسم ربك، وثانياً بأنها صارت جزءاً بعد نزولها وهو كما ترى فان الكلام في صيغة التسمية لا في معناها[24]...

---

[23]. البنوري: "نفحة العنبر"، ص. ٢٢٤. كوندو: "الأنور"، ص. ١٢٣. انظر شاه مسعودي: "نقش دوام"، ص. ٥٥ - ٥٦

[24]. بدر عالم ميرتهي: "مقدمة فيض الباري"، ص. ٢٣ – ٢٤.

البـــــاب الثـــــالث

شعـــر أنـــور شـــاه المديحـــي باللغـــــة العـــربيـــة

الفصل الأول قصـــائد أنور شـــاه في مدح النبي

الفصل الثاني القصائد الصوفية في مدح مشائخه

الفصـــل الأول

قصـــــائد أنـــور شـــــاه فـــي مـــــدح النـــبي

وإذا حاولنا ذكر شيء من مزايا الشيخ أنور شاه تتسابق إلى مآثره المتكاثرة سراعاً من كل صوب وناحية فان حياته حافلة بالمآثر، ومنها ملكته الفذّة في قرض الأبيات التي تستمع إليها الآذان وتستحسنها الفطرة البشرية السليمة. كان ماهراً في سبك الأبيات وصياغتها بالدقة والتعبير مع الروعة البيانية فان عدد أبياته يبلغ الآلاف، وقد قرض الأبيات في مناسبات عديدة لأغراض متنوعة، فمنها في ضوابط الفقه الحنفي على نحو الأراجيز، وفي بعض معارف الحديث، وفي شتىّ مسائل العلوم، ورسالة منظومة في مسألة وجود الصنائع الحكيم وحدوث العالم وعلم التوحيد والكلام. بعض أبيات الشيخ يشمل الحكم والحقائق والأمثال، ورثاء الشيوخ، ومديح بعض أماثل المعاصرين. أما قصيدته في مدح النبي الكريم فهي قصيدة غرّاء محكمة النسج، بديعة التعبير، رشيقة الألفاظ، بديعة المعاني. وهذا لأن الشيخ الكشميري وُلدَ في بيت العلم والشعر، فكان والده شاعراً مجيداً للفارسية وأخوه الأكبر كان أشعر أهل كشمير بل كان أشعر بين كثير من معاصريه[1]. فكان الشعر خُلط بلحمه، وسط بدمه، ونشأ في مهد الشعر، ثم ارتوى بلبانه؛ فصار الشعر طبيعته الثانية. و عرضها تعبيراً عن ما يكنّ قلبه من الحب والشوق للمصطفى صلى الله عليه وسلم. فانه عاش وعايش السيرة النبوية العطرة طول حياته، وكان الحديث الشريف شغله الشاغل، وكان البحث فيما ثبت عن ذات المصطفى صلى الله عليه وسلم من قول أو عمل وما لمس حياته الشريفة عن حادث أو فعل وما يتعلق بهذا الموضوع من جهود وأعمال وسير من لهم علاقة بهذه الجهود ومن نقلوا الأخبار ودوّنوها ومن شرّحوها وما

---

[1]. محمد راشد ندوي: "منتخب من الشعر العربي"، ط. قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عليكراه الاسلامية، ١٩٩٠، ص. ٢٤٩-٢٥٠وعبد الرحمن كوندو: "الأنور"، ص. ٣٣٤.

شرحوها، ومن انخرط بهذه السلسلة الذهبية التي يرتفع طرفها الآخر إلى مقام السمو ويتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم. كان كل هذا وذاك شعاره في حياته وبذلك كانت ذات المصطفى صلى الله عليه وسلم النقطة المركزية التي منها تبدأ هذه الجهود إليها تعود، ومصدر النور الذي تسطع أشعته وتتشعب فتغمر دنيا العلم على مدار المسافات الزمنية والمكانية لتنير جميع بقاع الأرض مع جميع أنحائها في كافة مراحل التاريخ العلمي، وكان الشيخ أنور شاه بشغفه بتتبع هذه الأشعة في اقتباس دائم من أنوار النبوة، فيترأى له وجهه من خلال ما يدرس من الأحاديث وتشخص له ذاته الطاهرة من وراء آثاره وجوامع كلمه وتتمثل له صفاته وشمائله العطرة عبر دقائق التفاصيل التي سجلتها السيرة السنية، فمن يكون أوضح وأصدق في الحديث عن المصطفى صلى الله عليه وسلم من هذا العالم البارع ومن يكون أشذ حيطة وألصق علاقة به منه.[2]

ومما يدل على مقدرته اللغوية وسليقته الشعرية انه قرض قصيدة طويلة تحتوي على أربعمأة بيت دبجها بعنوان "ضرب الخاتم في حدوث العالم" تناول فيها الأبحاث الفلسفية المعقدة في الموضوع وعالجها ببراعة ودقة، وأعجب بها أهل العلم والمثقفين.[3]

كان الشيخ أنور شاه مطبوعاً على الذوق الأدبي السليم وكان يحفظ أكثر من خمسين ألف بيت، ونستطيع أن نتمكن مدى قدرته على نظم الشعر بواقع أن عدد ما قاله من الشعر باللغة العربية يبلغ إلى ١١٥٥ بيتاً. وكان مع ذلك شاعراً قديراً

---

[2]. الدكتور زبير أحمد فاروقي: "مساهمة دار العلوم ديوبند في الأدب العربي"، ط. دار الفاروقي-نيودلهي، ١٩٩٠، ص.١٠١

[3]. مجلة ثقافة الهند: مقال من الدكتور عبد الماجد القاضي بعنوان : "وقفة مع الشيخ العلامة أنور شاه الكشميري ومدائحه النبوية باللغة العربية"، المجلد ٥٢، عدد ١، ٢٠٠١، ص.٩٦.

باللغة الفارسية. وقد عالج في قصائده العربية شتى الأغراض من المديح والرثاء ومن المواضيع النظرية والفلسفية، ومن المواضيع الدينية وما إلى ذلك. ومنها قصيدته المعروفة بعنوان "صدع النقاب عن جساسة الفنجاب". وتشتمل على سبعين بيتاً وتتضمن الدلائل على كذب مدعي النبوة ميرزا غلام أحمد القادياني.[4]

فيحلوا لنا أن نبدأ في بيان القصيدة التي قرضها الشيخ في مدح النبي صلى الله عليه وسلم.

هذه القصيدة التالية تحتوي على ٤٧ بيتاً ومستهلّ القصيدة، هو لعهد الحمى، والنسيم والصبا والظباء، والدموع والهجر والتلول وما الى ذلك من ذكرى وتأويب وتأويد وهي قصيدته الدالية التي نحن بصدد الحديث عنها يوحي بانه ليس من جنس المجاراة أو المحاكاة فحسب وإنما يدل على الأصالة في التناول لتصويره جواً مليئاً ببشائر الربيع والطبيعة الفاتنة. وملاءمة ذلك بصميم موضوع المديح النبوي ظاهرة غنية عن البيان. وقرض الشيخ أنور الأبيات التالية في مدح النبوي استحصالاً للبركة والطمانينة فيقول:

بــرق تألــق موهنــاً بالــوادي
فاعتــاد قلبــي طائف الأنجاد
أسفــاً على عهــد الحمى وعهاده
تولّى علــى الابراق والارعاء
هبّ النسيم على الرّبى فتضاحكت
بشرى العميد عرارها والجادي
لعبت صبــاها والشمــال تــارة

---

[4]. البنوري: "نفحة العنبر" ص. ٣٨٨.

لعــب الغصــون بعطفها الميّاد

سنــح الظبــاء فكا يهــلك مغرم

خور العيــون وعطفــة الأجياد

وأكاد أشــرق بالدمــوع إذا بــدا

هجر فتبكــي الودق بالاسعــاد

أسقي التلــول واستحــث ركائبي

وجداً علــى التــأويب والإسآد

تهيــامي الاتهــام همــى همــة

نفــت الكرى عني على اسهاد

لله درّ صحــابــــة الفيــتهــم

ديم النــدى للمجتــدى والجادي

فرق الصديع على مناثر رفعة

سرج الرشاد على ذرى الاطواد

وأبــرّهم قلباً وأطهر ضئضئاً

وأقــل تكلفــة نجــوم النــادي[5]

قام الشاعر أنور شاه في هذه القصيدة باظهار محبته تجاه الرسول صلعم، فانه شبّه النبي بالبرق الذي لمع في وادي فارغ، وفي الوقت نفسه يرجع إلى ذاته ان قلبه اعتاد أن يتيه في الميادين والساحات، وجعل يهب الهواء على حيطان الجبال مثل كانت تضحك ، وهذا هو بسب بعثة النبي، كما وأخذت تتحرك أغصان الأشجار التي كانت ساكتة قبل ولكن بدأ ترقص في نسيمه العاطف الرحيم.

---

[5]. البنوري: "نفحة العنبر"، ص. ١٨٧ - ١٨٨

ثم يتطرق الشاعر أنور شاه قائلاً:

أنا في أمـــان في دآدي حيرة
ولـــي اهتـــداء بالنبـــي الهادي

ثم ينتسب نفسه إلى انه في حفاظ عاطفة النبي ووجد سبيلاً مستقيماً تباع هداية الهادي النبي، مع انه يجد نفسه يصرف من هنا إلى هنالك

وبعد ذلك يستطرد الشاعر في ذكر محاسن النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته الكريمة وقد استطاع رصف أسماءه وسبكها في قالب الشعر ببراعة وجمال فيقول:

شمس الضحى بدرالدّجى صدرالعلى
علـــم الهـــدى هو قـــدوة للقادي
مولى الـــورى وبشيـــرهم وشفيعهم
وخطيـــبهم في مشهـــد الأشهـــاد
من سيـــّد عبـــد الالـــــه وحمـــده
وحبـــيـــبه وخـــليلـــه الحمـــّاد
سهل العريكة أكرم العرب الآلى
خيـــر العبـــاد وخِـــيْرَة العـــبّاد
خير الـــورى بيتاً وأخير محتداً
ونبـــيّهم مـــن معـــدنٍ منـــطاد
ختـــم النبـــوة والرّسالـــة إنهـــا
بدئت بـــه ختمـــت بـــه لمـــعاد
العـــاقب المـــاحي وأكثـــر تابعاً

والقــاسم المبعــوث للإرشــاد
والأفصح الأمـــي أصـــدق لهجة
ممن تكلّـــم باللســـان الصنادي
ســـرّ المهيمـــن عبـــده ورسوله
بشرى محياه وحياة الصادي [6]

أبيات القصيدة لها ميزة خاصة، فهو يعتني بالأوزان والقوافي كما و تهتم بالبحور اهتماماً خاصاً وتحتل مكانة لائقة في حسن السبك والنسيج، وبديع الانسجام والصوغ، ونصاعة الألفاظ، وفصاحة الكلمات، وقد يوجد بعض الإغلاق في بعض الأبيات، وذلك لغوصه في الدقائق التي قد تملّي عليه قريحته الوقّادة، وذهنه الفياض، وخياله الهائج المائج الجيّاش. ونرى أن الشاعر يتجنّب التعبيرات الغريبة، والألفاظ الركيكة، والكلام الذي تأباه الفطرة السليمة، والذوق اللطيف، بل نرى في القصيدة انسجاماً وصياغة في تراكيبها وتعبيراتها.

ثم يصف الشاعر الرسول الكريم بأوصافه الخِلقية والخُلقية بقوله:

ومفـــخّمٍ فخـــمٍ تهـــلّل وجهـــه
ضحكا كضحك البدر إذ هو باد
الأبلـــج الأقنـــى الأزحّ ورحمة
للعـــالمـــين وأجـــود الأجـــواد
ولرعبـــه ســـار مسيـــرة أشهر

[6]. أنور شاه كشميري : "ضرب الخاتم في حدوث العالم"، المجلس العلمي دابهيل، ١٩٩٦، ص. ٢٢

ولذكـــره بـــاق علـــى احمـــاد

وافـــت بطيـــبة داره ولملـــكـــه

بالشـــام مكـــة موعـــد الميلاد

وافي شهيـــداً منـــذراً ومبشـــراً

من ربـــه بالـــوعـــد والابعـــاد

فلـــواءه ومقامـــه مع حوضـــه

يوم التنـــادى للوسيلـــة شـــاد [7]

ثم ذكر الشاعر البارز الشيخ أنور الأوضاع الاجتماعية والدينية والخلفية التاريخية وقت بعثة النبي وحالة العرب و وضع العالم قبله، قائلاً:

قد جاء والدنيا على ظلماتها

والجهل والبؤسى على اعتاد

فأضاء كالبدر المنير ووجهه

نور مبيـــن في ظـــلام دآدي

ويستمر في سرد مننه على البِشرية وفضله في احداث الثورة الكبرى في ضمائر البشر وربط صلتهم المنقطعة بربهم من جديد:

فتحت به غُلفُ القلوب وبصرَتْ

عمـــي العيـــون بسنـــة وسداد

قد أيـــّد التقـــوى وشيّـــد أمرها

بقـــواعـــد التأييـــد ذات عمـــاد

---

[7]. مجلة : "الداعي" عدد ٨، اكتوبر-نوفمبر، ٢٠٠٢، ص. ٣٦

ثم ذكر الشاعر أن البركات، والعصمة من الأزمة والحياة الطيبة معقودة ناصيتها بالشريعة التي جاء بها النبي خير هدي ودينه خيرا الأديان فقال:

وبوجهه تُستنـــزَل البركات من
فـــوق السّمـــاء فأيّده بأيـــاد
وبه النجاة وعصمـــة من أزمة
وبـــه حيـــاة طيبـــة لبـــلاد
فلخيـــر هـــدي هـــديه ولدينه
دين الإله علا لدى الاسناد [8]

ثم يذكر الشاعر أولئك الذين تشرّفوا بصحبة النبي، وتربّوا في أحضان الرسالة، وامتثلوا أوامر الشريعة بما في وسعهم من المال والجاه والنفس والأهل والعشيرة، وتركوا الوطن المألوف، والعقار والحائط، من المهاجرين والأنصار والأبرار الأطهار والتابعين لهم بإحسان.[9]

قامت به غرّ الوجوه عصـــابة
ثم الأنوف وصفوة الاعضاء
كانوا من الأبرار والأطهار والـــ
أخيـــار والأنصـــار والأنجاد
ثم اهتـــدى بمنارهـــم سعداؤهم
سعـــدوا وكانوا وفقوا الرشاد [10]

---

[8]. ازهر شاه قيصر: "سيرت أنور"، ص. ٨٦
[9]. أنور شاه كشميري: "مرقاة الطارم على حدوث العالم"، المجلس العلمي دابهيل، ١٤١٢، ص. ٥. مجلة : "الداعي: عدد ٨، ص. ٣٧
[10]. كوندو : "الأنور" ص. ٣٨٢

ونظم الشاعر الشيخ أنور شاه قصيدة على طراز قصيدة قالها الأديب البارع في اللغة الفارسية الشيخ سعدي الشيرازي في أسماء النبي المباركة، حيث يقول:

شفيـــع مـــطاع نبـــي كـــريم
قسيـــم جسيـــم نسيـــم وســـيم
صبيح مليـــح مطيب النسيـــم
مضـــاض الجبين كبـــدر مبين
غياث الورى مستغاث الهضم
أحيـــد وحيـــد مجيـــد حميـــد
وخيـــر البـــرّ يا بفضل جسيم
وأســـرى به ربـــه في السماء
كنـــور تجلّـــى بليـــل بهـــيم
وآثـــاره ما شـــاء من عـــلاء
وعـــزّ عـــزيز وحيـــاة قديم
فيـــا رب صـــل وسلم عليه [11]

ثم هو يُنهي قصيدته الغرّاء بالأبيات الآتية:

حتى تـــأذّن دهـــرهم بمضيّـــهم
والدهر أرود ذو صروف عاد
فمضى الخيار فلا ترى آثـــارهم
فـــكأنهـــم كانـــوا علـــى ميعاد

---

[11]. أنور شاه: "ضرب الخاتم على حدوث العالم" ط. جيد برقي بريس دلهي، ص. ١٦

هــذا ولا يبقى ســوى الملك القد

يم وكلّ شــيء رائــح أو غاد

قفــا نبــك أطلالا وهــت أركانها

أخنــى عليهــا الدهر بالمرصاد

يــا ربّمــــا أرثى الطّلول فما هنا

داع ولا متسمّــع إنشــــــادي

سبحان من صرف الأمور وما أتت

غيــر عليــه على مــدى الآباد

ثم الصلاة مع الســلام علــى النبي

وآله مــع صحبــه الأمجــاد[12]

هذه أبيات عصماء فريدة خير نموذج للسلاسة والطلاقة، نرى فيها صناعة لفظ الجاهلية والعرب وحلاوة انسجام الشعراء الإسلاميين، وحسن نسيج النابغين، في قرض الأبيات. القصيدة تبدي لنا صورة واضحة للأهداف النبيلة والأغراض المصادفة البنّاءة التي لأجلها خاض الشاعر هذا المضمار، وغاص في بحور الأبيات؛ لينثر لآلي بين طالبي العلوم والباحثين، قافية القصيدة و رويّها لهما تأثير خاص في إيقاع وأوتار القلوب، وتفتيق القريحة، وإيقاظ الشعور، وترقيق الوجدان، وتصفية الخيال.

يبدو أن الشاعر قد نظم لؤلؤاً، وحاك ديباجاً، ونسج حريراً، وقدّم لنا باقة الأزهار الأنيقة الجميلة، من خصائص النبي وميزاته، وأعماله وأخلاقه وتضحياته، بالتلميح إلى الشمائل النبوية بأنقى تعبير وأوفى تحبير. وهذه القصيدة تُسكن الأكباد

---

[12]. انور شاه الكشميري: "فصل الخطاب" ص. ١٢٨. البنوري: "تفحة العنبر"، ص. ١٨٣، الدكتور عبد الماجد القاضي: مقال له نشر في "مجلة ثقافة الهند"، عدد ١ المجلد ٥٢، ١٩٩٦، ص. ١٠١ – ١٠٢. مجلة : "الداعي"، عدد ٨، ص. ٣٧.

الهائمة المقروحة المتعطشة، وتذكى لوعة الحب والغرام. ويرسّخ أسس الحياة التي لا يمكن أن تحيي الأمة الإسلامية بدونها في غرّة وسعادة.

والقصيدة جديرة بأن تعدّ من القصائد البديعة التي أنتجها أبناء الهند المسلمون في شرقها، غربها، شمالها وجنوبها أداء لضريبة الحب والوفاء، والحنان والولاء، للنبي الخاتم الذي لولاه ما استيقظت الإنسانية من غفوتها، وما وجد العالم الإيمان الذي فقده و أفلس فيه، منذ مدة طويلة، الإيمان بالله وبالبعث، والإيمان بقيمة الإنسان وكرامته، وما إلى ذلك من الأمور التي يجب الإيمان بها بالضرورة.

ومن الميزات كذلك التزامه بالواقعية والصدق في الوصف والتعبير وتجنبه عن المبالغة والإغراق والغلو، وموقفه العملي في هذا الباب يدل على أنه رفض رفضاً باتاً قول بعض البلاغيين القائلين بأن "أحسن البيت أكتبه" متأثرين بالمقاييس البلاغية اليونانية القديمة، ولذلك نجده على جانب كبير من الحيطة والحذر في الحديث عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم فانه لم يصفه جزافاً بل توقف عند المأثور منها والمقبول لدى المسلمين جميعاً. وقد دلت التجارب الإبداعية والأدبية التي مر بها الشعراء في مجال المديح النبوي، كما دلت الزلات التي تورط فيها بعضهم، أنه من أصعب المواضيع إطلاقا لما يتطلب من التأدب والتهيب من جهة والاتزان والحيطة من جهة أخرى وقلما نجد من يمشي سويا بين هذا وذاك من دون أن يتجنح ذات اليمين وذات الشمال، وقد رسمت الشريعة السمحة حدوداً واضحة المعالم للإجلال والتقدير لا ينبغي لبشر أن يتخطاها فيثبت للبشر من الصفات التي اختصت بها الذات الإلهية وتفردت بها دون الخلق أجمع، كما تجب معرفة مكانة

العصمة والسمو الذي يحظى بها المصطفى صلى الله عليه وسلم، فإذا قسنا قصائد الشيخ الكشميري بهذا المقياس نجده فيها جم التحشم والتأدب وغاية التحذر والترقب، نجد أن علمه يحرس وجدانه الواله ويتمسك بعواطفه وحنينه كي لا يجتاز الحدود المشروعة وهكذا نرى أن وازع العلم لا يغفل عن نازع الشوق قدر لحظة، وذلك يزيد من صفاءها ونقاءها ومن تأثيرها وبهاءها.

لا يوجد في كلامه شيء يخلّ بالعقيدة الإسلامية الصحيحة. ومدحه النبي بعيد من الاطراء والمغالاة، وليس لهما أيّ أساس في الشريعة، وهذا التوفيق من منن الله وكرمه عليه، وإلاّ:

فللناس فيما يعشقون مذاهب.

الفصـــل الثـــاني

القصـــائد الصـــوفيـــة في مـــدح مشـــايخـــه

إن حياة الشيخ أنور شاه الكشميري حياة حافلة بالمآثر العلمية انقضت في الاكباب على علوم السلف والعكوف على زبرهم وأسفارهم، والاستخراج من دفائنهم ومعادنهم، والاسترواء من مناهلهم العذبة السائغة وبحارهم الزاخرة، لا غير، ولكن كما أنه جُعل الإنسان وهذا الهيكل المخصوص الصغير الجثمان عالماً صغيراً أودع فيه نماذج العالَمَ الكبير من الملائكة والشياطين والجنود والعساكر والسلاطين والبحار والجبال وبطون الأودية والآكام والظراب. نرى فيه من بدائع أنواع العلوم وعوارف جدداً، ومن خصائص علماء العهد الغابر معارف جدداً ما يختلب القلوب ويختلس العقول. للشيخ أنور شاه الكشميري شعر غزير رائق، وإذا استشرف أحدا إلى شعره ليظن أن الشاه الكشميري لم يبرح عاكفاً وصياغته، وفله شعر في بعض ضوابط الفقه الحنفي على نحو الأراجيز، وشعر في بعض معارف الحديث، وشعر في شتات مسائل العلوم، ورسالة منظومة في مسألة وجود الصانع الحكيم وحدوث العالم من علم التوحيد والكلام، وشعر في مديحة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد ذكرنا في الفصل السابق، وشعر في الحكم والأمثال، وشعر في الحقائق، وشعر في رثاء بعض شيوخه، وشعر في الأسف على العهد الغابر وعلمائه، وشعر في مديحة بعض أماثل معاصريه في ضمن بعض مكاتيبه إليه. ثم كل ذلك بكاء واستبكاء، وأدب وحكمة ومثال.[1]

ولا غرو فان ثلاثة نفر من اخوان الشيخ أنور شاه كلهم شعراء بالفارسية، فلذا كان له شعر طبيعي أغزر، ومع هذا أرق وألطف وأزهر. ففصح العربية

---

[1]. انظر شاه : "نقش دوام"، ط. بيت الحكمت ديوبند، (الطبعة الثانية)، ١٩٩٦م، ص. ٢٤٨ - ٢٤٩

وشواردها، وأما حوشى الكلام وركاكة اللفظ فما أبعدها من شأنه. وبالجملة محاسن شعره لا تُسأل عنها فانه مشجون بها، فترى فيه انسجاماً وصياغة، يزري بقلائد العقيان وعقود الجمان، وتخجّل دون حسنه وبهائه سموط اللؤ لؤ والمرجان.[2]

فقد رثى الشيخ أنور شاه الكشميري الشيخ محمد قاسم النانوتوي مؤسس دار العلوم ديوبند بقوله:

قفـــا يا صاحبيّ على الدّيار
فمن دأب الشجيّ هو ازديار
وعوجا بالّرباع رباع أنس
ففي المرأى لشيء كاصطبار
وإن عادت دوارس بعد هجر
فقـــد كانت معاهـــد للمـــزار
فتلك بلادهـــا أمضيت فيـــها
ليالي من طـــوال أو قصـــار
وبتّ أســـارق المرأى وأهوى
نسيماً من شميـــم من عـــرار
أسابق ريب دهـــر ذي فـــنون
وإن ســـراه لا يـــــدريـــه دار
كأنك ما سمعـــت حديث شيخ
تلقـــاء الخيـــار عـــن الخيـــار

وبعد ذكر الديار والأرباع والبقاع والدراسة والهجر والليالي يذكر الشيخ مزايا حجة الإسلام محمد قاسم النانوتوي قائلاً:

---

[2]. البنوري: "نفحة العنبر"، ص. ١٧٦. ازهر شاه قيصر: "حيات انور"، ص.٨٥ - ٨٦

وذلك قاســم البــركات طراً

يسيــر بذكــره تالٍ وقاري

إمــام حــافظ مسنــد همــام

لســان الحق مقــدام الكبــار

طــراز للهــدي حبــل متين

دليــل حجــة عــالي المنــار

شهيــر مسنــد بــدر منيــر

كشمس فــوق رابعــة النهــار

مجدد هــذه الأعصــار حقاً

محــدثهــا وذلك فتــح بــاري

ومشكاة الهــدي هدياً وسمتاً

ومصبــاح به وارشــاد ساري

ورحلــة عصره طود عظيم

خليفــة مسلــم ثــم البخــاري

ومحي السنــة البيضــاء لمّا

تــوارت كأمثــال الــــدراري

متى ما جئــت تستقيه قطراً

تحِــد بحــراً يطمّ على البحــار

وصــوباً صيباً سيحاً فسيحاً

فراتاً محييــاً رحب المجــاري[3]

---

[3]. مجلة : "الداعي"، عدد ٨، اكتوبر – نوفمبر ٢٠٠٢، ص. ٣٤. كوندو : "الأثور" ص، ٣٨٥، الدكتور زبير فاروقي: مساهمة دار العلوم الخ. ص. ١٠٣.

تبدو هذه الأبيات حين قرأناها كأنها الماء الزلال، وتروى العاطفة والذوق الأدبي، وكأنها الشلاّل يتدفق بكل قوة وحيوية ونشاط وصفاء. ثم يقول:

مناقبة قد اشتهرت وصحّت
وأخرجها الثقات على الجهار
ومـــا أتـــاه خالقـــه مقـــاماً
وأثـــــره وليـــــّاً باختـــــيار
فمعـــروف به وسرى عصرٌ
فريد فيـــه من غيـــر المـــدار
جنيـــــد همـــة داود حـــالاً
وغوث الملتجى قطب المـــدار
إذا مـــا جـــاءه أحد مريـــداً
تهلّلَ بالغـــوادي والسّـــواري
فـــأولاه فيـــوضاً ساميـــات
وأحيـــــاه بأنهـــار غـــــزار
وأورثـــه اليقين وذوق حال
وأبقـــاه علـــى وجـــد مثـــار
طريق القـــوم قد دارت عليه
فشدّ له الرحال على المهاري
فأضحـــى كعبـــة للعاكفـــين
ومأوى الطائفـــين بلا عمـــار
فصار مدار كل الفضل حتى
دعـــاه الربّ حـــي لخير دار
أحـــبّ لقـــاءه حتـــى تلقـــى
ولبّـــاه وحـــجّ لـــلاعـــتمـــاد

فيا ترب الرضى ملتقــيا ورياً

بما نزل من الرضوان جاري

متى ما فــاح من طيب ونشر

وما تــرثى الحمائم والقماري[4]

كذلك الشيخ أنور شاه الكشميري يقوم برثاء الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي أحد كبار العلماء البارين الهنود فيقول في بداية القصيدة.

قفا يا صاحبيّ عن السفــار

بمرأى من عــرار أو بهــار

يسيــر بنشرها نفخات أنس

ورَيّاً عنــد محي من قــطار

يفيض لروحها رشحات قدس

حيــــاة للبــراري والقفــار

وقد عــادت صبَاها من رُباها

بأنفاس يطيب بها الصحاري

فيسري في قلوب الصحب وجد

بأطراف الحديث لدى اعتبار

أطيــب لنشــره نفساً ونفســاً

فأروي مــن روايات الكــبار

أتابعهم ويميلنــي دمــوعــي

حديثي من شيوخي لادكاري

أجــلهــم وأبجلهــم مقــامــاً

---

[4]. أنور شاه : "صرب الخاتم على حدوث العالم" ص. ٩. مجلة : "الداعي"، عدد٩، ١٩٩٣، ص. ٦٩

أبو مسعـــودهم جبل الوقـــار

لقد فـــرع الورى عملاً وعلماً

مكارم ساعـــدت كرم النجار[5]

ثم يقول:

إمـــام قـــدوة عـــدل أمـــينُ

ونـــور مستبـــين كالنـــــهار

فقيـــه حـــافظ علَـــم شهيـــر

كصبيح مستنـــير هـــدي سار

إليـــه المنتهـــى حفظاً وفقهاً

وأضحـــى في الرواية كالمدار

ففي التحديث رُحلـــة كل راوٍ

وفي الأخـــبارعمدة كل قاري

وغـــرّة دهـــره علمـــاً وديناً

طـــراز زمـــانه مثل النضار

وأما فضـــله ذوقـــاً وحـــالاً

فمفـــرد فيه لا أحـــد يجاري

فقيه النفـــس مجتهـــد مطاع

وكوثر علمـــه بالخير جاري

وأحـــــي سنـــة كانت أميـــتت

وإذ وضـــح النهـــار فلا تمار

وأصبح في الورى صدراً وبدراً

منيراً دارئاً حـــلك التـــواري

وأصبـــح مفرداً علمـــاً رفيـــعاً

كرفع المفـــرد المعلـــم المنار

---

[5]. أنظر شاه : "نقش دوام" ص. ٢٥٢.

وآية رحمـــة فضـــلاً وفيضـــاً

عبـــاباً مستـــطاباً للقـــواري[6]

وغـــرة دهـــره علمـــاً ودينـــاً

طـــراز زمـــانه مثل النضار

يقـــوم لشكـــره آثـــــاره فـــي

مدارس أو مساجـــد كالدراري

متى ما جاد جـــود قام شكـــراً

له العـــزمات من بـــاد وقـــار

علـــو مقامـــه قدمـــاً وسبـــقاً

فـــلا من طـــائر فيـــه مطـــار

فضيل زمـــانه ورعاً وزهـــداً

وحاتم عصـــره عنـــد امتيـــار

كأن جبـــيـــنه بـــــدر مبـــين

تهـــلّل نـــــوره عنـــد الـــزوار

وهمتـــه كصبـــح مستطيـــــر

أو الغيـــث المغيث لـــدى انتظار

لقد نفع الـــورى شرقاً وغرباً

وأشـــرق نـــوره عنـــد اعتـــكار

وزحزح عن الحريم الحق نكراً

فخصخص في البسيط على الجهار

ودار مـــع استقـــامتـــه مـــداراً

أصيـــل الأصـــل محمـــي الزمار

فـــرحمـــة ربـــه أبـــداً عليـــه

وطاب ثراه من رضـــوان باري[7]

---

[6]. يوسف البنوري: "نفحة العنبر"، ص. ١٨٤- ١٨٥.

وكذلك رثى الشيخ أنور شاه الشيخ محمود حسن الديوبندي وهو من أساتذة الأجلاء في دار العلوم بديوبند، وقد أجاد، يقول:

قفا نبك من ذكر مزار فندمــعا
مصيفاً ومشتاً ثم مرأى ومسمعا
قد احتفّه الألطاف عطفاً وعطفة
وبورك فيــه مربعــاً ثم مربعاً
وقــد كان دهــراً طــريقــتي
طريقــة غــرٍّ ثم أولــى فأوقعا
يجاوبني دار وجارٌ على البُكا
ولــم أرَ إلاّ باكــياً ثم موضــعاً
وإن كان مما ليس يشفي ويشتفي
بشيء ولكن خــلّ عينــيك تدمعا

ثم يقول:

نهضــتُ لأرثى عالماً ثم عالماً
حديثاً وفقــهاً ثم ما شئت اجمعا
وهــدياً وسمْتاً سنــة وجماعة
وخِلــقاً وخُلقاً مــا أناف وأوسعا
وعزماً وحزماً حكمــة وإصابة
وزهداً وتقوى كان أروع أورعا
مقــاماً وحــالاً نيــة واستقامة
وخيــراً وخيراً فأرثها كلها معاً
كبيراً ينادي في السمــاوات أمة

---

[7]. انور شاه كشميري: "تكملة تحية السلام" ص. ٢٠١. أزهر شاه قيصر: "حيات انور" ص. ٨٦

إمام الهـدى شيخاً أجل وأرفعا

ومولى الورى محمودهم وحميدهم

ومسندهم فيمـا روى ثم أسمعا

وبلـغ عنـه شاهـداً ثم غـالباً

أمـانة رب عنـده ثم أودعـا

ومهما تصـدى للحديث وفقهـه

أعاد رياض الدين أخصب أمرعاً

مصابيحـه مشكاة صدر وفيضه

من السنة البيضـاء حتى نضلّعا

ووافي البخـارى عنده فتح باري

وارشاد سـار كيف أصلّ فرّعا

وترجمة للوحي في الأرض أصلها

ووافي السمـاء فرعها ثم أفرعا

وأصحـابه ألف فـأزيـد منهـم

حديثاً وفقـهاً هل أردت فتسمعا

وقام إمامـاً في زمـان مخـادع

على قدم كالطـود أرسى وأوقعا

وقـام بأمـر الله في كل حـالـة

فيخشاه إن لم يخش حصناً ممنعاً

فسبحـان من أتاه علمـاً ونشـره

وأعطاه حلمـاً ما أطاب وأطوعا

نعم قد وسعت العلـم والعلم ميت

ولو كان حياً ضقت حتى تصدّعا[8]

---

[8]. انور شاه كشميري: "ضرب الخاتم في حدوث العالم"، ص. ١٥. و"فصل الخطاب" ص. ١٢٩.

ثم ان الشيخ أنور شاه يمدح شيخه الأجل محمود حسن الديوبندي إلقاء الضوء على قامته وشخصيته قائلاً :

إذا جئتــه وافيــتَــه متهــلّــلاً
كبــدر منيــرٍ من جبين وأوسعا
وغرّته سيمــا السّجود وبشــره
تباشير صبح أو كمسك تضوعا
وكان حثــا أذنــي درّاً وحكمة
فتخرّج من عينيّ دمعا مرصعاً
معــارف معروف وآداب حاتم
أذكــره حتــى يقــول فأسمعا
أزور محيــاه وأصغــى لقوله
أصادف نور أو سرور فأرجعا
فوافيــت دهراً ثم دهراً بمنيتي
وألقيــت عمراً ثم عمراً ممتعا
إلى أن قضى نحبا وأوفى ينذره
فلــم أر غير الله للمرء مفزعا
تصدى لظل العرش في عدن ربه
ومقعــد صدق قد دعاه فأسرعا
وأبقــى قلــوبا في الصدور كأنما
تضــرب حيــتان لمــاء تفجعا
أقــدر أن لو جــاءه حال صحبه
لمن عليهــم زروة ما فيــرجعا
حسينا عزيزا مرتضى ثم أحمدا

عــزيزاً حبــيباً ثم شبيره معــا

وأصغرهم أو قلت أنور ما درى

لمــا قد دهــاه حياته ما فيصنعا

وأذكــر أيام المــزار وانثــني

على غصمص في القلب حتى تصدعا

نعم كنت دهراً قد ظفرت بحاجتي

فألفــان غــرا لم أجرب فأدقعا

فمن للهدى والهدى والعلم والتقى

وما مطمع إلاّ أرى الأمر أسرعا

يضيــق نطاق في المراثي لحقها

وثم مجــال كيفما شئت فاصنعا

بكيــت إمامــاً أو وليّاً لــربــه

وإن شئــت حقاً فالفضائل أجمعا

بكتــه سمــاء ثم أرض كلاهما

وعيــن وقلب قاسيــان فأجمعا

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما

سرى علمه فوق الركاب ورفعا

وشعيــه المخلوق من كل جانب

فلم أر إلا الفضــل كان مودعا

ولم أر مثــل اليــوم كان باكــياً

وما كان دمع القوم دمعا مضيعا

ولم أدر مــاذا كان احــرام حجه

أ كان قــراناً أم أجــاز تمتــعاً

ولما حســبت العــام عند قضائه

وجــدت وكان الله قــدر مسمعا

سقـــى الله مثـــواه كرامـــة ريعه

وكان غـــداً لي شـــافعاً ومشفعاً[9]

وإذا يمعن النظر في شجون هذه القصائد وغضونها، وراعيت مغزاها من ظهورها وبطونها ما ارتبت شيئاً في آن شعر الشيخ أنور شاه الكشميري، فاق شعر كثير من نوابغ الشعراء في فصاحتها وبلاغتها، تسمو قصائدهم ببيت يتبين فذّين توأمين. وأما قصائد الشيخ أنور فنرى كل قصيدة من قصائده تسمو وتمتاز بطرف من الأشعار، وأما لطافة الخيال ودقة المأخذ، فليكن أمر وراء الفصاحة ومن توابعها، فان مدارها على نصاعة اللفظ، ومحطها أن يكون مجراها على أساليب كلماتهم وخصائص عباراتهم والقوانين المستنبطة من كلمات فصحاء القوم في النضد والنسق والسلاسة والعذوبة، بحيث لا يمّل السامع، ولا يكلّ عنها مقول القارئ، بل كثيراً من يشتاق إلى الازدياد ويبقى مشتاقاً عند النفاد، وليكن لطافة الخيال من الفصاحة بمنزلة البديع من علمي البلاغة، ليستحسن بعد تحقق أمر الفصاحة، فإذا لم يكن محطّ الشاعرية على دقة المغزى ولطافة المسك وغموض المرمى فأولى وأحرى أن لا يكون محطاً للفصاحة كيف؟ وأن البدويين كانوا أبعد الناس عن لطافة الخيال، ومع هذا كانوا أقربهم إلى الفصاحة، بل أولئك هم الفصحاء، ومن ثم كان أمر الفصاحة كالملاحة لا يوصف يسري في الكلمات، كالروح في البدن لا يتعين مرعاها

---

[9]. البنوري: "نفحة العنبر"، ص. ١٨٦ – ١٨٧. أزهر شاه قيصر: "حيات أنور" ص. ٨٨. مجلة : "الداعي" عدد ٨ ص. ٣٥. وعدد ٩ ص. ٥٠ – ٥١.

ومغزاها، ومن أجل ذلك لم يقدموا على تحديد التنافر، بل قالوا كل ما يعد الذوق الصحيح ثقيلاً متعسراً النطق على اللسان هذا.[10]

والخصيصة الأخرى التي نلاحظها في هذه القصائد هي أن الشاعر عارض بها فحول الشعراء المتقدمين وتقلد أسلوبهم في التشبيب كما أنه اهتم في بعضها برعاية المحسنات اللفظية على عادة المتأخرين، لكنه كان موفقاً في اختيار الكلمات الجزلة التي لها وقع خاص كما استخدم بعض الكلمات الغريبة، مما لا يخلو منه الشعر عامة بطبيعته الخاصة غير انه تحاشى عن الكلمات الركيكة والعبارات المنحطة عن المستوى القياسي، وأتى بالاستعارات والتشبهات البليغة ولا نجد فيها تعقيداً لفظياً أو معنوياً. ومع أن أسلوبها تقليدي عموماً لكن رصانة اللفظ وسمو معانيها وإصالتها تجعلها رائعة مستساغة.

[10]. احمد رضا بجنوري: "ملفوظات محدث كشميري" ص. ٢٤٨. انظر شاه: "لاله وغل" ص. ٥٩ – ٦٠

البـــاب الـــرابـــع

حمـــلة الشيـــخ أنـــور شـــاه ضـــد الأحمـــديـــة

الفصل الأول الأحمدية ومعتقداتها الأساسية

الفصل الثاني معارضة العلماء ضد الطائفة الجديدة

الفصل الثالث العناصر في حملة أنور شاه لمكافحة الفئة الأحمدية

الفصـــــل الأول

الأحمـــديـــة ومعتـــقـــداتـــها الأســـاسيـــــة

قد كانت جرت العادة من أول يوم، أياّ من كان له وسع أو استهال ليكبر نفسه تجاه هذا العالم، فالبعض يدّعي في أزمان أصحاب النبي، وهو ابن صياد وهو لم يبلغ حلمه فترك النبي على حاله، و البعض يدّعي تالياً فتالياً نحو مسيلمة في زمن خلافة أبي بكر الصديق حتى يتقصر اليوم إلى هذا العصر المعاصر، وقد تم ادعاء النبوة أو الرسالة في بداية القرن التاسع عشر الميلادي من قبل شخص كان ينتمي إلى بلاد الهند ونعرفه باسم "غلام أحمد القادياني" (١٨٣٩ – ١٩٠٨)[1] الذي ينتهي شعبه إلى مغول التتر، وكان سوى من أول أمره ما يدعيه ويفتريه آخراً، ولكنه تدرج وتلون في دعواه تلون الحرباء، وسلك في تمشية مرامه وتعمية كلامه طريق الزنادقة والباطنية، فادّعى أولاً: انه مجدد ومثيل المسيح، ثم انتقل إلى انه المهدي الموعود والمسيح المعهود[2]، ومن الجانب الآخر أوله: انه نبي لغوي أو ظلي أو بروزي، على معاني انه اخترعها، ثم تحول إلى انه نبي غير تشريعي ورسول كذلك، ثم إلى انه نبي تشريعي ورسول، ثم انه لم تنته أمانيه التلبيسية إلى هذا الحد حتى صار رباً والهاً، ثم أصبح أباً لله،[3] كذلك باح به في أربعينه وتحدّى بالآيات، وجعل وحيه كالقرآن، كما في "نزول المسيح"، وتيقنت أني هو الله، ولما وُلدَ له ولدٌ فقال: "كان

---

[1]. Britanica Concise: "Featuring a concise edition of Encyclopedia Britanic, Marriam-webster's collegiate Dictionary and editorially selected website.

[2]. غلام احمد: "إزالة الأوهام"، ط. مكتبة القاديان، لاهور، ص. ٥٨.

[3]. ميرزا بشير محمود: "حقيقة الوحي" ص. ١٠٨

الله نزل من السماء وادعى انه مريم وحوى طعنه وقال فيما يوحي إليه شيطانه يريدون أن يروا طمثك، وادعى انه آدم وابراهيم وموسى ونوح والى غير ذلك".[4]

وجعل يحاكي معجزات سائر الأنبياء ومعجزات خاتم الأنبياء أيضاً، فجعل مسجده "المسجد الأقصى" وجعل قريته "مكة المسيح"، وجعل "اللاهور" مدينته، وجعل لمسجده منارة سماها "منارة المسيح"، فجعل كل ما يتعلق بعيسى النبي عليه السلام على التأويل إلاّ المنارة، فإنها كانت تتهيأ ببذل المال، وقد جمعه من أتباعه. وجعل مقبرة سماها "مقبرة الجنة"، من دفن بها فهو من أهل الجنة، وسمى أزواجه "أمهات المؤمنين"، وأتباعه أمته، ومن أكبر ما ادعاه من معجزاته نكاح المسماة بـــ "محمدي بيكم" من فوق السماء، وجعله وحياً أوحى به، واستمر على هذا الوضع نحو عشرين سنة فانه أول ما شهره هو في سنة ١٨٨٨م في اشتهاره، وقد وصل وقضى نحبه في سنة ١٩٠٨م، فأصرّ عليه نحو ثلث عمره[5]، وقال فيه:

إن الله يرفع كل مانع من هذا النكاح وتدخل في نكاحه، وانه تقدير مبرم، وأوحى إليه شيطانه فيه، كما ذكر في كتابه : "أنجام أشهم".

كـــذبوا بآياتي وكانوا بهـــا يستهـــزؤن فسيكفيـــكهم الله ويردهـــا إليك أمر من لدنا إنا كنا فاعلين".[6]

---

[4]. غلام أحمد: "براهين أحمدية" جلد٥، ط. ص. ٩١.
[5]. ميرزا بشير أحمد: "كلمة الفصل" ط. قاديان، ج٤، ص. ١٣١.
[6]. يعقوب علي : "حيات احمدج٢" ص. ٨٦.

وهكذا يتلقف كلمات القرآن، ويحكيها كما هي لنفسه له، وأشاع في كتابه "إزالة الأوهام" في ذلك: "الحق من ربك فلا تكونن من الممترين"، وجعل كل ذلك وحياً سماوياً يقطع به كالقرآن. وجعل بناءه ذلك معيار صدقه وكذبه عند كافة الخليقة من المسلمين والنصارى واليهود، ودلاّه بكل مكر وحيلة، فلم يمارس الاّ الفضيحة على شأنه على رؤوس الأشهاد وعلى أعين الناس، فكان كذلك، وكان كل غرضه جمع الأموال ونيل اللذات والشهوات، وابقى داهية دهياء للإسلام والمسلمين، وكفر من لم يؤمن به كما في جريدة "الحكم" (٢٤ تشرين الأول ١٨٩٩م) وفي "حقيقة الوحي"، وفي مكتوبة المندرج في "الذكر الحكيم".[7]

وأهان عيسى بن مريم بما تنشق منه الأكباد، ولم يوجد نبي هجا نبياً، أو حطّ عليه، وقد وجد من العلماء بل من الأولياء من حطّ على مثله وكفره، ويعتل في ذلك بالزام النصارى، فقضى وطره من إبراز كفره المكنون بهذه العلة. والحال انه يجعله عندما يسترسل في قعاقعه حقاً واقعاً.[8]

واستمرّ على ديدنه ذلك إلى أن قال في آخر سنة من حياته في جريدة "البدر": "إني رسول ونبي".[9]

---

[7]. غلام احمد: "إزالة الأوهام" ص. ١٥٧. وروحاني خزائن: ص. ١٨٠. (لم اطلع على تاريخ الطباعة).

[8]. ابو الحسن علي الندوي: "Qadianism a critical study"، قد ترجم ظفر اسحاق انصاري، ط. الجمع العلمي للنشر والطباعة، لكناؤ، ١٩٨٠، ص. ١١ – ١٢ .

[9]. مجلة البدر: كانت تصدر من مكتب غلام احمد القادياني، في قاديان

وفي مكتوب له الى جريدة "أخبار عام": "إني على حكم الله نبيّ". وكذا في "حقيقة الوحي"، إلى إن قد تم القبض عليه بعد ما أرسل مكتوبه الى مدير "أخبار عام" لخمسة أيام، أخذ عزيز مقتدر، واستقر في دار البوار، وكانت منيته موتاً يعتبر به المعتبر، فقد كتب الى ذو وجاهة من "اجهرة" من مضافات لاهور عن آخر ذي وجاهة : أن القدر المحتوم رماه بمرض ايلاؤس.[10]

[10]."رسالة اخبار عام: قاديان، عدد ٨، ١٩٢٠/٩/١٦.

الفصـــــل الثـــانـــي

معـــارضـــة العلمـــاء ضد الطائفـــة الجـــديدة

ومن اللازم إلقاء الضوء على الأوضاع الاجتماعية التي تأثرت من التعليمات والدعوات جاءت بالطائفة الجديدة واجهتها الأمة الإسلامية وابتليت بها الشريعة المحمدية لا تكاد تحصى غير ان الفئة التي أثيرت في الهند في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي كانت من أبشعها صورة وأخطرها على كيان الإسلام وأنفذها في قمع شوكة الإسلام، وطمس وجهه المشرق وتشويه معالمه وتغيير ملامحه، وهي فتنة عرفت بـــ "القاديانية" بل أفضل أن نسمي "بالأحمدية"، وهي ليست كالفتن العادية بل إنها تمتاز من بينها، بكونها خروجاً على العقيدة الإسلامية وثورة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم انها فتنة تبغي القضاء على الدين باسم الدين[1].

قد ظهرت هذه الطائفة في الهند حينما كانت نار الحرب تلهب بربوعها بين الإسلام والمسيحية وبين المشرق والمغرب، وكان الصراع شديداً بين الدعاة المسلمين والداعين المسيحيين، وذلك بعدما احتل الإنكليز الهند وقامت دولة استعمارية على إنقاص الحكومة المغولية الإسلامية[2].

وأخذ المستعمرون يبذلون أقصى جهودهم لدعم كل حركة معادية للإسلام تعمل للقضاء على الدين واضعاف قوة المسلمين وابعادهم عن الدين. فانتهز غلام أحمد القادياني الفرصة للحصول على ولاء الإنكليز وأخذ يعمل كعميل للحكومة الاستعمارية[3].

---

1. Britanica Concise: "Featuring a concise edition of Encyclopedia Britanic, Marriam-webster's collegiate dictionary and editorially selected website.
2. The Encyclopedia of Religion: vol. 1, Chief editor-Mircen Eliade, Mcmilan publishing Co., New York-1987, p. 154.
3. محمد طاهر رزاق: "قادیانیت شکن"، ص. ١٨. مجلة : "محدث عصر" تصدر عن معهد الأنور، ديوبند، (بالأردية) وهي مجلة شهرية، عدد ٤، سبتمبر ٢٠٠٢، ص. ٣٩.

قام أولاً كداع إلى الإسلام، لكنه سرعان ما كشف اللثام عن وجهه، وبدأ يدّعي ادعاءات لا تتطابق مع الإسلام في شيء. فأنكر عقيدة "ختم النبوة" وادعى انه المسيح الموعود وأثبت لنفسه النبوة والوحي، وأنكر رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، وأبطل الجهاد، وامتدت الفتنة وظهرت القاديانية كحركة معادية للدين تبغي القضاء على الإسلام، والحكومة البريطانية كانت تقدم إليها كل نوع من الدعم والمساندة.[4]

واستفحل الأمر وتفاقم الشر وباضت الحركة وفرخت، ورغم كون غلام أحمد مصاباً بنوع من الجنون ورغم كل ما صدر من دعاوي وضحكة، ومبكية، متهافتة، ومتضادة وقع في شبكته كثير من الأغرار وكانت حركته تمتد إلى سائر أقطار شبه القارة الهندية. وقد شعر علماء الهند البواسل خطر هذه الفتنة العمياء فقاموا بصيانة العقيدة التي هي ركيزة أساسية لكل أمة تريد لها البقاء لا بد من الاحتفاظ بها من غوائل الدهر ومكائد الحاقدين عليها.

وكان في طليعة من قام بمقاومة "القاديانية" ودحض أباطيلها معظم علماء البارزين من جميع نواح من أهل السنة والجماعة وبخاصة علماء الجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند ومشايخها، لعبوا دوراً هاماً بالغا وعارضوا معارضة شديدة في هذا المجال واستخدموا لردّ تياراتها الجازمة المنابر والمنصّات ومجالس المباهلات الشعبية وأجهزة النشر والإعلام، فتتابعت النشرات وأقيمت المناظرات، وألقيت الخطُب في سائر أقطار "الهند" و "باكستان" و "بنغلاديش (أي شبه القارة الهندية).[5]

---

[4]. البنوري: "تفحة العنبر" ص. ١١٩. محمد الياس برني: "قادياني مذهب كا علمي محاسبه"، ص. ٣٠٩

[5]. مجلة : "الداعي" عدد خاص، ص. ٤٩. رضوان الله: "سيرت انور"، ط جامعة عليكراه الاسلامية ١٩٧٨م. ص ١٤٦

والذي قام بأكبر مساهمته في هذا المضمار هو الشيخ أنور شاه الكشميري الذي كان الى جانب تضلعه من العلوم الإسلامية وتدفقه بالمعارف المتنوعة، يضطرم غيظاً على كل ما يمسّ كرامة الشريعة الإسلامية، وكان شديد الغيرة على عقيدة ختم النبوة بصفة خاصة، فقام الشيخ أنور واستنهض الهمم وأيقظ الرقود، وأعدّ أفواجاً من أصحابه الغيوريين الفعاليين نحو الشيخ مرتضى شاندبوري، المفتي محمد شفيع العثماني، محمد أنور لائلبوري، الشيخ بدر عالم الميرتهي، الشيخ حفظ الرحمن السيوهاروي، الشيخ ثناء الله الأمرتسري وامثالهم الذين قاوموا فتنة "القاديانية" وطاردوها مطاردة مريرة في جميع أنحاء الهند، حتى أخمدوا نارها وردّوا كيد الأعداء إلى نحورهم[6].

وقد ألّف الشيخ أنور شاه كتب عديدة هامة نافعة، مع ما يعرف عنه من عدم انقطاعه للتأليف إلاّ بدافع من الضرورة من أهمها "إكفار الملحدين في تأويل شيء من ضروريات الدين"، مؤلف في ١٢٨ صفحة، ويقول الشيخ من هذا الكتاب:

> "فهذه رسالة في واقعة فتوى قصدت بها النصح والذكرى لمن كان قلب أو ألقى السمع والحكم وهو شهيد، سميتها : [اكفار الملحدين في شيء من ضروريات الدين]، أخذاً للاسم والحكم من قوله تعالى : إن الذين يلحدون في آبائنا لا يخفون علينا، أ فمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة، اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير".[7]

---

[6]. انظر شاه : "نقش دوام" ص. ١٨٤ – ١٨٥. نفحة العنبر: ص. ١٠٧

[7]. البنوري: "نفحة العنبر" ص. ١١٦

وقال في ختمها:

"فكان موضوع الرسالة ما ذكرنا، لكن في أثناء التأليف أبخر البحث عند الكلام في مسألة التأجيل إلى نقولٍ آخر، والشيء بالشيء يذكر، فانضم وإليها أطراف وذيول لعلها تفيد الطالبين، فليس من الدين أن يكفر مسلماً، ولا أن يغمض عن كافر، والناس في هذه المسألة في هذا العصر على طرفي نقيض، ولقد صدق من قال: إن الجاهل إمّا مفرط أو مفرّط. وهذا آخر الرسالة وختام المقالة، وما أريد بها إلا دعوة صالحة من طلبة العلم بحسن العاقبة وخير الخاتمة – إلى أن قال: وقد وقع الفراغ من جمع هذه الرسالة في أسابيع".[8]

كما و أن الشيخ أنور شاه ألّف كتباً نادرة على هذا الموضوع نحوها "التصريح بما تواتر في نزول المسيح" و "عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام" و "خاتم النبيين" بالفارسية.

تمتاز هذه الكتب بغزارة المادة ورصانة الأسلوب وكلها بالعربية سوى "خاتم النبيين" مرّ ذكره، فانه قد ألّفه لإنقاذ مسلمي كشمير خاصة ومسلمي الهنود عامة من شبكة القاديانيين باللغة المحلية (الفارسية).

كما وصنف الشيخ محمد شفيع، ويوسف البنوري والشيخ بدر عالم الميرتهي والشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، والشيخ محمد منظور النعماني، والشيخ

---

[8]. أنور شاه كشميري: "اكفار الملحدين في ضروريات الدين" ص. ١٧. انظر شاه: لاله وغل: ص. ٦٠ - ٦١

ثناء الله الامرتسري حتب مالته بحتي اللغتين العربيه والاردبيه، وفي تعليق الشيخ عبد الفتاح ابو غدة على "التصريح بما تواتر في نزول المسيح"، فانه بأسماء بعض الكتب التي الفت في هذا الموضوع في الهند وباكستان. وهؤلاء الكتّاب البارزون قد كتبوا كثيراً متأثراً بتعليمات الشيخ أنور شاه ومنهجه المعلوم الذي لقّن الشيخ على تلامذته وأتباعه وهم الأسماء المذكورة اعلاه.

ولعب العلماء الآخرون بهذا الصدد دوراً بارزاً بكتابتهم ومقالاتهم، مثل الشيخ أشرف علي التهانوي وكذلك الشيخ شبير أحمد العثماني لم يألا جهداً في دحض هؤلاء الأباطيل، كما والشيخ مرتضى حسن بذل مجهوداته في مقاومة تلك الفتنة الضالة، وهؤلاء كلهم من مشيخة الجامعة وعلمائها الأفذاذ.

وحينما أصدرت الحكومة الباكستانية قراراً تاريخياً حاسماً في مجلس الأمة بكون "القاديانية" مارقة عن الدين غير مسلمة بتوجيه من جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز كان في داخل باكستان، الشيخ محمد يوسف البنوري "رئيس مجلس ختم النبوة" والشيخ محمد شفيع في طليعة العلماء الذين طالبوا من الحكومة باتخاذ هذا القرار الذي لقي ترحيباً حاراً في جميع أنحاء العالم ا لإسلامي.

ومع كل ما بذل هؤلاء العلماء من الجهود الجبارة لمطاردة "القاديانية" أو "الأحمدية" لا ينبغي لنا أن تتناسى أن تلك النحلة الضالة قد وجدت باكستان أرضاً خصبة لمواصلة نشاطها كما بدأت تزحف إلى دول إفريقيا والبلاد الأخرى النائية، وهي تمارس ألواناً من النشاطات في عديد من الدول للقضاء على الإسلام، ولها وشائج وثيقة مع إسرائيل وكانت ترتيبها حكومة الاستعمار البريطاني في قبل تقسيم

الهند، وأخذت تتسلل اليوم هذه الحركة الهدامة إلى الدول الإسلامية[9]، وهذه الممارسات من الأعداء تطالب منا بأن تقوم بالجهاد المتواصل والكفاح المستميت لأجل صيانة العقيدة وإنقاذ الأمة المسلمة الهندية بل أمم شبه القارة من شبكة دقيقة النسج.[10]

---

[9]. The Encyclopedia of Religion: vol. 1, Chief editor-Mircen Eliade, Mcmilan publishing Co., New York-1987, p. 154.

[10]. مجلة: "الداعي" عدد ٨، ص. ٤٠ – ١٤.

الفصـــل الثـــالـــث

العناصر في حملة الشيخ أنور شاه لمكافحة الفئة الأحمدية

ما من قرن من القرون الجالية في الأمة الإسلامية إلاّ وقد ألمت خطوب كارثة أزعجت المسلمين كافة، وكانت المصالح الكونية والأسرار الربانية داعية لها ليميز الله الخبيث من الطيب ولنجلي على العالم سر بلاء المحسنين، فكانت تقوم لحسمها أو استيصالها عصابة الحق والهدى، لا يزعجها شيء كأنها بنيان مرصوص، وهكذا تكون الحرب سجالاً برمة، ثم يكون الغلبة الباهرة للحق، أما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، فكلما بدت فتنة عمياء في الدين قام لدمغها وقطع عروقها علماء وعرفاء وربانيون فقهاء وأمراء وحكماء، شهر سلاطين الأمة صوارمهم وسلّ أساطين الملة ألسنتهم وأقلامهم، فأوصلوها إلى منتهى نحورهم، فاعتبر بالفرق الباطلة المعادية للدين، كيف اجتاحها الله عن ظهر البسيطة؟ وكيف استأصل شأفتهم؟ أين الاسماعيلية الباطنية والقرامطة؟ أين الأخشونية والمزكية، ثم وثم إلى المهدوية، ثم البابية والبهائية وقرة العينية وغيرها. فهل يوجد هنا أيّا من باقية؟[1] كلاّ! أصبحت كلها بائدة فانية، فهذه أيام ظهرت فها أشراط الساعة، وافترق المسلمون أنفسهم فرقاً وأحزاباً واستهوتهم الأماني. وفوق ذلك الطامة الكبرى والداهية العظمى إن حرمت الأمة بالهند عن شوكة السلطنة الإسلامية وظل الحكومة الإلهية حتى أقفلت عليهم الأبواب وشدّوا بالسلال الوثيقة المحصدة ضغث على إبالة فبدت في هذه الأيام فتنة كبرى تدعى "الدبار بلاقع"، وهي الفتنة الكارثة

---

[1]. انور شاه كشميري: "عقيدة الاسلام في حياة عيسى عليه" ط. المجلس العلمي دابهيل، ١٤١٣هـ ص. ١٥.

التي تسمى بـــ "الأحمدية" أو "القاديانية" تعزى إلى زعيمها الميرزا غلام أحمد القادياني[2]، لم يغادر شيئاً من شعائر الإسلام إلاّ أزعجه و أبطله، ونحن نبدأ الذكر هنا العناصر ضد هذه الطائفة الحديثة.

فتم عليه قوله تعالى [ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء، ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله، ولوتر إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم، أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم من آياته تستكبرون]. فيقول الشيخ أنور شاه في أوائل رسالة "إكفار الملحدين". ثم جاء ملحد وحرّف تلك النصوص كما فعلته الزنادقة، وقال بأن الله سماه: "ابن مريم"، وأن المراد باليهود "علماء الإسلام" الذين لا يؤمنون بذلك الزعيم غلام أحمد القادياني، لأنهم جمدوا على الظاهرية وحرموا الروحانية، ولم يدر الملحد ان الزنادقة الذين مضوا وبادوا كانوا أبلغ منه في تلك الروحانية إن كانت تلك الزندقة روحانية، وهذا أستاذ، وأبوه الروحاني "الباب" ثم "البهاء" وقرة العين هلكوا عن قريب وادعوا ما ادعى، و اتباعهم الأشقياء أكثر من اتباعه، فأين له بهاء كالبهاء؟ وأين له ثبات في الحروب ومكافحة بالصدر لبنادق

---

[2]. انور شاه كشميري: "التصريح بما تواتر في نزول المسيح" ط. مكتبة مدينة ديوبند، ١٩٧٧، ص. ٢٤.

الرصاص وأخباره بالنجاة منها، ثم وقوع الأمر كذلك؟ وأين له منطق كمنطق قرة العين؟:[3]

وانما بضاعته تلقف كلمات من الصوفية، كالتجلي والبروز وتحريف مرادهم وسرقة القباء واتخاذه قميصاً، واتباع الفلسفة الجديدة وما فتّنته أهل اوروبا وجعله وحياً يوحي إليه شيطانه، وقد مهد له ذلك قبله أمثاله، منهم الحكيم محمد حسن الأمروهي صاحب "غاية البرهان في تأويل القرآن"، على انهم كانوا أحسن حالاً منه، فانهم لم ينبثوا، فإذا كان الأمر هكذا أكفرنا بالاجماع[4] كما يعجبنا قول المتنبي:

لقد ضلّ قوم بأصنامهم وأما بـــزق ريـــاح فـــلا

هذا ما ذكره أنور شاه الكشميري طرفاً من أحوال هذه الداهية الكبرى. وقال الشيخ في كتابه "عقيدة الإسلام": فقام ذلك الملحد، فوقع في شأن ذلك النبي الجليل بما تقشعرّ منه الجلود وتنشق الأكباد، وقد سرد بعض ما نفوه به ونطق وتمطق في عرضه عليه السلام في رسالتنا "اكفار الملحدين في شيء من ضروريا الدين"، وقد باع إيمانه بالدنيا حتى لم يوفقه الله على دعوى العيسوية لحفظ شيء من القرآن وأطفال المسلمين يحفظونه، ولم يوفق للحج وأوساط المسلمين يفوزون به، وهو لا يستحق أن يكون رجلاً شريفاً، فكيف يكون مؤمناً؟ فكيف أن يكون المهدي

---

[3]. ازهر شاه قيصر: "حيات أنور" ص. ٢٣٥

[4]. أنور شاه كشميري: "اكفار الملحدين في شيء من ضروريات الدين" ط. المجلس العلمي دابهيل، ١٤١٤هـ ص. ٣٨.
مجلة "محدث عصر" تصدر عن (مهد الأنور ديوبند) عدد ١٠، مايو ٢٠٠٤، كتبه نسيم أختر شاه قيصر، تحت عنوان "حضرت امام العصر اور تردید قادیانیت" ص ٢٧.

المسعود؟ فكيف أن يكون عيسى الموعود؟ نعم يستحق أن يكون أتان الدجال ركبها، أو كسجاح اليمامة نكحها أبو ثمامة.[5]

كانت هذه الطائفة في بدء نشأتها، ثم التهبت جرأتها إلى الأقطار والأكناف حتى بلغ السيل الزبى، وبلغ الدماء النتن، "بال حمار فاستبال احمرة". وكانت هنا دسائس أخرى تنمو بها عروق هذه الفتنة، وكان دهاء ومكراً عظيماً لهدم أساس الإسلام، وأحبولة لإزاغة غفلة المسلمين، وتدلسا واختلالاً في "الملة المحمدية". ثم بالت بينهم الثعالب، وفسى بينهم الظربان، وفافترقت أذنابه بعد موته فرقتين، واختلط الحابل بالنابل، فرقة تتمسك بأصل دعواه، ويزعمون أنه نبي، ويعلنون بنبوته على أعين الناس، ويسمون أنفسهم بـــ "الأحمدية"، وهذه الطائفة جمهور الميرزائية والقاديانية، وزعيمها: محمود ابن غلام أحمد. وفرقة يظهرون انه كان مجدداً مصلحاً ومسيحاً موعوداً، يخدعون بذلك أغراء المسلمين والأغمار الغافلين، ويتأولون في صرائح دعاوية وعباراته تلبيساً وتدليساً على المؤمنين، تدعي اليوم بـــ "اللاهورية" وزعيمها محمد علي اللاهوري، وهؤلاء كلهم أشد مكراً و أقوى كيداً لاصطياد البلة والغفلة، واعظم فتنة وأكب ضرراً على الإسلام والمسلمين، خذلهم الله وأخزاهم كلهم أجمعين على رؤوس الأشهاد وأعين الناظرين في الدنيا والدين. ثم مع هذا الافتراق انهم اتفقوا في كثير من أصول مذهبهم، ودانوا بما تفوه به اللعين المتنبي فقد أطبقوا

---

[5]. محمد الياس برني: "قادياني مذهب كا علمى محاسبه" (الأردية) ص. ٣١٥

على أن عيسى لم يخلق من غير أب، بل يوسف النجار أبوه، وإنه لم يصدر منه معجزة، وإنما صدر منه شعبدات وطلسمات، وسلموا ما تفوه غلام أحمد بشدقية في عيسى النبي، وأمه الطاهرة المطهرة البتول، واتفقوا على ان الميرزا غلام أحمد أفضل من جميع الأنبياء والرسل وان الله قد خصّه بمعجزات وبينات، لم تبلغ إليها معجزات خاتم الأنبياء محمد رسول الله لا كمّاً ولا كيفاً، وما عدا من الكفريات الصريحة والالحاد البين والزندقة الجلية يكررون في كل جعجعة لهم، حتى أصبحوا فيه أشغل من ذات النحيين.[6]

فانتهض الشيخ أنور شاه الكشميري لدمع مزخرفاتهم وصلم عروقهم، وكانت لطيفة إلهية، وأخذته الحمية الدينية، وأغرته الغيرة الإسلامية، فسرى البعض مع هذه الفئة المتطرفة دينية والثلة الطاغية في الله. وقد شاهدنا مثالاً حياً ناطقاً للحب في الله والبغض في الله، فشمر عن ساعد العمة وساق الجد لمكافحة هؤلاء المردّة، فحذر وبلغ وأرشد الأمة إلى الحق الصريح ونبأهم على ذلك كفر البواح، وصنف في هذا الباب رسائل عديدة وجيزة وبسيطة، أيقظ فيها العلماء والفضلاء عن رقدات الغفلة، وحضضهم لمقاومة هذه الفتنة بكل ما أمكن تبليغاً وتصنيفاً، وأعلن أصحابه وتلامذته بذخائر العلم للتصنيف والتأليف وإشاعة للناس، تحذيراً لهم عن مكائد هؤلاء المارقين، حتى بلغ نداءه بأرجاء الهند القصوى، ونبّه قاطنيه من ساحل البحر إلى

---

[6]. البنوري: "نفحة العنبر"، ص. ٢٠٠، انظر شاه : "نقش دوام"، ص ١٨٤.

شواهق كشمير حتى بلاد الأفغان، بل جميع ما ارتج اليوم في العالم الإسلامي من العراق، والشام، ومصر والحجاز من التشنيع على هذه الطائفة الميرزائية، كل ذلك ببركة مساعيه الجميلة التي ألزمت على إساءة الملة وهداة الأمة أن يقدروها ويمكنوها في حنايا الصدور وحبات القلوب، وهذا الذي ترى اليوم في أقطار الهند من تأسيس لجنات وانعقاد اجتماعات حافلة، وإجراء الجرائد والمجلات لحسم عروق هذه الفتنة المتأصلة، لا سيما مساعي "جميعة الأحرار" ورئيس شعبة تبليغ هذه الجمعية الشيخ عطاء الله شاه البخاري، كل ذلك من مآثره السنية الباقية على صفحات الدهر، وسنته الحسنة السائرة بين المسلمين، فأباد الله بسعيه الحثيث وجهده المثمر حصحص الحق وزال الرين وانكشف الغين وبين الصبح لذي عينين من العالم والخاصي والعامي، وأصبح كفر هؤلاء المارقين من الدين أبين من فرق الصديع، بحيث لم يبق مجال للمرتاب ولا مساغ للمتأول، إذ قد عمّ نداؤه البلاد وانتبه الرقاد، فخدم الملة، وذب عن حريم العقيدة الإسلامية، ودافع عن حوزتها، وهكذا سنة الله خلت في عباده على حمر الدهور وتعاقب الأدوار، يضرب الحق على الباطل أينما سار ودار، استولت على الديار الهندية سلطة الروافض، فقام رجل عصامي بارز وحامل الطريقة الشيخ ولي الله الدهلوي وابنه الحجة المتقن الشاه عبد العزيز.[٧]

---

[7]. مجلة "الداعي" عدد ٨، ٢٠٠٢ ص. محمد رضوان الله: "سيرت انور" ص. ٢٠٤.

ثم لما اضطرمت نيران البدع والحوادث، وهبت في اكناف الهند رياحها المنتنة أقام الله لاطفاء لهيبها وحزامها الشيخ الشاه اسماعيل الشهيد الدهلوي ثم لما هبت عواصف الالحاد وأخذت الملاحدة في الإيرادات على عقائد الملة المحمدية، ونشأ شخص من فئة الهندوسيين، التي تدعي بـــ "آرية سماج" يرمي حريم العقائد الإسلامية بباله ونصاله، أقام لكفاحه ومكامعته الشيخ مولانا محمد قاسم النانوتوي.

وهكذا لما حدثت هذه الفتنة الميرزائية القاديانية، وماجت في أرجاء الهند، بل سرى هذا الداء العقام خارج الهند قام الشيخ الشاه محمد أنور الكشميري.[٨]

لا شك انه قد شعر بعض النفوس الزكية بنشاطات هذه الطائفة إبّان حدوثها، ولكن لم يهمله الأجل لمكامعتها، ولكن حسب أنها في زقزقة ستبيد عن قريب، ما عسى أن يبلغ عض النمل، وظن بعضهم أن ترك ما لا يصلح أصلح، وأخذ بعض في مقاومتها فلم يضر مزيه، ولكن هذه السعادة الأزلية كانت مقدرة مقضية للشيخ أنورشاه الكشميري، فتفرس الشيخ أنور في بدئها بفراسته وبصيرته أن هذه الفتنة من أدهى الملمات على الدين، وأعظم المصائب، وما هي إلاّ فالية الأفاعي والعقارب، فلو بلغ السكين العظم وتفاقم الشر والفساد ولم تسد أبوابها ولم تنتهض لمقاومتها لسلّت هذه الفتنة روح الإسلام من قلوب المؤمنين، ولغادرتهم خشباً مسندة بلا إيمان، ولكان السعي عند ذلك كدابغة، وقد حلم الأديم. فهكذا أزعجت الشيخ

---

[8]. يوسف البنوري: "نفحة العنبر" ص ٢٠١ – ٢٠٣، انظر شاه كشميري "نقش دوام" ص ١٨٢. أبو الحسن علي الندوي :" "Qadyanism a critical Study (Islamic Research publications, Lucknow,) ص. ٢٥ - ٢٦

وأطارت رقاده، وأزالت راحته فقام مستنفذاً وسعه وجهده البالغ في قطع عروقها، فأخذ الأمر بقوابله بالاستعجال، وبعث أهل عصرنا على المقاومة، ونفخ فيهم روح المكافحة والنضال، وحذرهم عن مكائدها، ونبأهم على شبكاتها المنغرزة على وجه البسيطة. فهذا الذي ترى اليوم من مساعي أصحاب الجرائد الهندية واللجنات التي أسست على الدفاع عن حوزة الملة الإسلامية. وكشف عوار هذه الطائفة، وصدع مضارها الدينية والسياسية على المسلمين، كل ذلك من مآثره الجليلة. فنهضته السامية انفجرت عيونهم المنغمضة وانفتحت أبوابهم المنغلقة. فهذه مزية كبرى أكبر من سائر مزايا الشيخ أنور شاه الكشميري. وتفوق سائر مآثر السامية، فلو لم يكن للشيخ حسنة غير هذه الحسنة العظيمة لكفاه شرفا وفضلاً على انه كان رباني هذه الأمة بعهده، فهذه منقبة زهراء من بين سائر مآثره الخالدة، يبقى آثارها الجميلة في قلوب أهل الحق، وتلألأ لامعة على صفحات التاريخ الإسلامي على انقراض الدهور وانقضاء العصور. فالشيخ أنور شاه درّة يتيمة لامعة من فوائد العقد الذي انتظمت فيه أولئك الذين ذكرتهم من أفراد علماء الهند.[9]

---

[9]. أحمد رضا بجنوري: "ملفوظات محدث كشميري" ص ٢٠٤. البنوري : "نفحة العنبر" ص ٢٠٣- ٢٠٤

دعوى محكمة بهاولفور العالية في قضية تكفير المجموعة القاديانية

قبل أن نغوص في قضية تكفير هذه الطائفة، علينا أن نفهم خلفية الدعوى التي تقدمت به أسرتان منتميتان إلى باكستان في المحكمة العالية والعلياء – بهاولفور، في ثلاثينات من القرن التاسع عشر الميلادي. حيث شخصان الهي بخش وعبد الرزاق يزعمان الأقرباء فيما بينهما.

السيد الهي بخش، تزوّج ابنتها مع عبد الرزاق في صغر سنّها، في أثناء ذلك اختار عبد الرزاق القاديانية و آمن على كل من البيانات و الاستيضاحات نطق ميرزا غلام احمد القادياني، وامتثل وقبل ان ميرزا غلام أحمد أنه كما هو يدّعي، على الرغم من عبد الرزاق لا ينحرف من جميع الاعتقادات السابقة الإسلامية. فعندما بلغت الحلم غلام عائشة ابنة الهي بخش، استدعا عبد الرزاق السيد الهي بخش أن يخلّص إجراءات الزواج التي كانت تبقى من زمان. ففكّر ودبّر الهي بخش وأقربائه حول هذه القضية وإجراءات الزواج، أم عبد الرزاق باق على الإسلام بعد ما هو اختار القاديانية وأيقن على كل الدعوات والاستيضاحات جاءت من قبل ميرزا غلا أحمد القادياني وأعضاء مجلسه أو لا؟. فقام بعض علماء هذا البلد وساكنيه بعلاج هذه المسألة وظنوا أن عبد الرزاق أصبح كافراً وخرج عن الإسلام، فلا جواز فيه أن تُسلّم غلام عائشة عبد الرزاق.

فجرت بين الهي بخش وعبد الرزاق النزاعات والمتشاجرات. في غضون ذلك، السيدة غلام عائشة بنفسها رفعت الدعوى في المحكمة العالية في ١٩٢٦/٧/٢٤ م، واستدعت فسخ نكاحها مع عبد الرزاق مهما انه ارتدّ عن مذهبه الإسلام، وفَسخَ النكاحُ. وطلبت غلام عائشة الحكم في حقّها، وانه بسبب اختيار عبد الرزاق الميرزائية وارتداده عن الإسلام، لم تزل غلام عائشة مسموحاً له ولم يظل النكاح باقياً فيما بينهما (بين غلام عائشة وعبد الرزاق).

ولكن عبد الرزاق أصرّ على انه لم يتغير دينه ولم يخرج من حرم الايمان والإسلام، حتى تشاجر وأجرى المناقشة إن الأحمدية ليس ديناً آخر إلاّ هو الإسلام، ولم يرتدّ أحد لو يتبع على تعليمات ميرزا غلام أحمد القادياني.

وطال الأمر إلى المجادلة بين الفريقين أي بين اهل السنة والجماعة والطائفة القاديانية، وعلى صعيد آخر، لا يزال الأمر يجري في المحكمة العلياء، وفي ضوء هذه المجادلة تأخرت المحكمة حكمها حتى يأتي اليقين فيما بين الفريقين، وكانت الدولة والعالم ينتظران المعالجة المثبتة والنتيجة الايجابية في حقّ ايّ من الفريقين على هذه القضية.

فأقيمت المناقشة والمجادلة على هذا الموضوع، فمن قبل المدّعية السيدة غلام عائشة عيّن الناقش والمناظر الشيخ أنور شاه الكشميري والشيخ مفتي محمد شفيع والشيخ غلام محمد غوتوي والشيخ مرتضى حسن تشاندفوري، بل انهم حضروا في

المحكمة العلياء وناقش الدعوى في ضوء القرآن والسنة والإجماع أمام محاكم البارزين الرسميين. وقدّموا براهينهم واستدلالاتهم، وأثبتوا بأن الطائفة الأحمدية هي مردودة وكافرة ومتبعيها خارجين عن الإسلام، ومن جهة أخرى، ناقش من قبل الأحمدية الميرزا غلام أحمد بنفسه والشيخ جلال الدين شمس وآخرون. وراحت المناقشة من جانب المناقشين الأخيرين أساسة على الكذب والافتراء ولم تكن مناقشتهما أساسة على التعليمات المتوفرة من القرآن والسنة إلاّ العبث والتحكم.

وما برحت المناقشة برهة فسحب، بل جرت عدة سنوات، وسنحت المحكمة الفريقين حرّة كاملة أن يقدما مواقفهما بشكل كامل وصورة تامة. فمهما فرغ الفريقان من تقديم موقفهما على الدعوى المقدم في المحكمة، وغارت المحكمة وغاصت بكل فكر ونظر غامق في القضية وتحققت على كل جزء من أجزاء الاستدلالات والبراهين من كلا الجانبين، صدرت المحكمة حكماً تاريخياً، ووافقت على دعوى المدعيّة السيدة غلام عائشة على المدّعى عليه عبد الرزاق في ١٩٣٥/٢/٧م، بأن غلام عائشة قد خرجت من نكاح عبد الرزاق وقد فسخ النكاح بعد ان عُلم أنّ عبد الرزاق قد اختار القاياني__ة، وثبت ان الفرقة الأحم__دية هي كافرة وخارجة عن الإسلام[10].

[10]. مقدمه مرزائيه بهاولفور ١٩٣٥، وجرى الدعوى في المحكمة مدى تسع سنين منذ ١٩٢٦، ص. ١٣ - ١٥

والآن نحن نلقي نظراً خاطفاً على جرح بطل هذا البحث الشيخ أنور شاه الكشميري على هذه القضية حيث انه حضر بنفسه في المحكمة أمام المحاكم وناقش مناقشة هامة ذي براعة.

تصريح تعديل أنور شاه بدعم المدعية في دعوى محكمة بهاولفور ضد استدلالات الطائفة الأحمدية

لا شك ان الشيخ أنور شاه قد أحس بعض أصحاب الشعور بظهور هذه الفئة إثر بروزها، فيبدأ الشيخ تصريحاته قائلاً في هذا الدعوى مشيراً إلى حديث صحيح للامام مسلم: من علم كلمتي ولم يصدّق ما جئتُ به فهو ليس بمسلم، شرّح النبي عليه السلام ما استفسر جبريل منه عن الإيمان، والإيمان بالله والملائكة والكتب السماوية والرسل واليوم الآخر وعلى الخير والشر فهما من الله، فهؤلاء أجزاء الإيمان، وصدّق جبريل على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وما يصرح القرآن بأنه من الإيمان فهو من الإيمان ومن ينكره فهو خارج من الإسلام.

ويقول إن بناء الإسلام على خمس، والحديث متواتر، ومن ينكر تواتر الحديث يخرج من الإسلام. وما قام العلماء بتدوين أقسام التواتر بأنفسهم، بل أخذوه من القرآن والسنة وهي أصبحت اصطلاحات العلماء حتى يستخدم ميرزا غلام أحمد هذه

الأقسام في كتبه إياها. غير أن التواتر المعنوي في جزء من قدرٍ مشتركٍ، وايجابه أو ثبوته واضح، فمنكره كافر وإن كان خفياً فالإيمان المحض به لازم وضروري.

ولا يكون كافراً من لم يسلّم ان خبر الواحد حجة بل هو مبتدع، ولكن إجماع صحابة الرسول قطعي ومن ينكره يصير كافراً، والاكفار أو الإعراض عما بعد إجماعهم، فهو مبتدع أو فاسق.

وإن نقوم بالقياس على نزول المسيح عليه السلام فانه علامة القيامة ومسألة نزول المسيح ليست هي إجماعا فحسب، بل تتواتر النصوص والأحاديث عليها. يعني لو يوجد تواتراً في مسألة فاعتقدْها عقيدة إيمانية لاتجرحوا ولاتناقشوا عليها.

وكذلك تسليم الخليفة كخليفة لا يحدّد بأنه جزء من أجزاء الإيمان بل من واجباته فهي ليست بقطعية. ولكن إجماع الصحابة على أية مسألة، فمن ينكره يكون كافراً. ومسألة تعدد الخليفة والوحدة في البداية ظلت مختلف فيها. ولو يكون الإجماع على بعض مسألة أو على عملية، فان اتفق الإجماع على مسألة فحكمه يبقى ما هو حكم إجماع الصحابة.

مثل؛ الرافضون ينكرون خلافة الخلفاء الثلاثة بناء على أنهم لا يستحقون بها، فهم كافرون، إلاّ ان الصحابة لو يضع أيديهم على سوى يد أبي بكر الصديق لا يخلفون أي جزو إيماني، فحياة مسيح مسألة إجماعية فيما بين الصحابة، كما وتتواتر الأحاديث ولم ينكرها إلاّ الملحدون، ولكن رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، فاتفق

أصحاب الأخبار والتفسير بأنه قد تم رفعه جسمياً وهو حيّ، ويختلف في أنه مات قبل الرفع أم نام؟، ولكن تمت الموافقة على أن عيسى حيّ على السماء، فعندنا حياته ونزوله شيء واحد، أما محور بحثي وهو الإجماع والتواتر كما صرّح الشيخ أنور شاه الكشميري في استيضاحاته في المحكمة أمام المحاكم البارعين.

والإنكار عن ضروريات الدين يعني ترك العقيدة الأساسية كفر، والإعراض عن العمل ليس بكفر بل ذلك فسق وإثم. كذلك الشخص الذي ترك الحكم الشرعي بناء على دستور الدولة أو المملكة مع ذلك هو يقدر أن يمتثل به فالحكم يجري عليه بأنه يخرج عن الإسلام. وان ينكر العقيدة وينطق، إن هذه الشريعة غير صحيحة أو يقول إن العقيدة هي صحيحة والمسألة ثابتة ولا يستطيع العمل عليه من سوء حظه فهو داخل في الإيمان لا مفر من أن يكون عاصياً وآثماً.

فمن ذا الذي يدّعي النبوة ويدعو الناس إلى هذه الدعوة والدعاية فجزاءه القتل. وصاحب الشريعة يستضيح بعض الأشياء، طبقاً لدستور المملكة فهو شريعة وما يتلفظ من فيه فهو أيضاً شريعة، أو هو يسكت على شيء وذلك يصدر أمامه فهو شريعة بلا شك.

كان ادّعى ابن صيّاد أمام النبي عليه السلام فلم يُقتل لأنه لم يبلغ أشدّه في وقت ذاته كما صُرّح في صحيح البخاري.

ثم تمت الدعوة النبوية في زمن خلافة أبي بكر الصديق من جانب مسيلمة فحارب الصديق وحواريه وقاتلوا حتى قتلوه.

لا ينبغي لبشر أن يكلّم الله معه إلا بطريق الوحي أو من خلف الحجاب أو بعد أن يرسل إليه قاصداً ويرسل الرسالة عن طريق القاصد، فالوحي يكون قطعياً. (*ما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً ومن وراء حجاب* <القرآن>). والذي يدّعي انه يحصل الوحي بعد أن انتهت النبوة فهو كافر. أما الوحي الذي نزل على أمّ موسى ومريم (وذُكر هذا الوحي في القرآن) فيطلق عليه أن هذا الوحي هو ظني لأنهما لم تكونا رسولتان أو نبيتان، فالمراد بالوحي الوحي الظني.

وقد صرّح الشيخ أنور شاه الكشميري ان إهانة الأنبياء والسبّ له من التعريضات وكذلك اللزوم ويخرج الشخص من العقيدة الأساسية بلا جدل.

ويقول: إنني لم أجعل التعريض أساساً لارتداد ميرزا غلام أحمد القادياني من الإسلام بل الهجوء الذي استند به من كلام الله سبحانه وتعالى (اسمه أحمد) وعدّه تفسير القرآن، والهجوء الذي حقّقه وثبته من جانبه، فأنا أؤكد وأحدّد وأوثق بأنه مردود ومرتدّ من الإسلام وهذا هو الارتداد جعل سبباً لخروجه من الإسلام[11].

وللشيخ أنور شاه قصائد رائقة تتعلق بهذه الفئة الضالة ونرى أن نذكر شيئاً منها ليظهر ما في صدر الشيخ من الغضب في الله مع هذه الطائفة المردودة

---

[11]. نفس المصدر: ص. ٤٣٩ – ٤٤٥.

والاضطراب من هذه الملة، وليكون أسوة لمن بعده في نصرة الحق وارشاد الخلق.

فيقول:

بالقـــادياني ذلك الآخـــر الذي
أسى زعيـــم الكفر والالحـــاد
وأبان عن كفـــر ينوء بعصبة
ويبـــوء بالأغـــلال والأصفاد
رزء علـــى دين النبـــي يهده
آخر فهل من راشد في النادي
والله يهـــدي من يشاء لدينـــه
ولمـــن يضـــل فما له من هاد[١٢]

في هذه الأبيات قد أعرب الشيخ أنور شاه عن نافوخه بشأن الطائفة الميرزائية ويحاول الاصلاح لطالبي الحق المبين ومحبي ومصدقي ختم النبوة بأن النبي هو النبي الخاتم ولا نبي بعد، وهذه الدعوة الميرزائية باطلة من جميع نواحيه ، بل ظهر الكفر عياناً بلا غشاء بها وإن غلام أحمد هو من الضآلين وليست له هداية وتوفيقاً لأن الضآلين ليس لهم طريقاً مستقيماً.

ويقول في آخر قصيدة له في اسراء النبي:

ومن عضّ فيـــه هنات تفلســـف
على جرف هار يقارف أن يردى
كمن كان من أولاد مأجوج فادعى
نبوتـــه بالغـــي والبغي والعدوى

---

[12]. أنور شاه كشميري: "ضرب الخاتم في حدوث العالم"، ط. المجلس العلمي دابهيل ١٩٩٦، ص. ٥. أزهر شاه قيصر : "حيات أنور" ص ٨٩

ومن يتبع في الدين أهــواء نفسه

على زيغه فليعبد اللات والعزى[١٣]

وفي الأبيات التالية ينادي الشيخ أنور الأمة الاسلامية ليدافع دينهم ويحارب بهذه الطائفة.

ألا يا عبــاد الله قومــوا وقوّمــوا

خطــوباً ألمــت ما لهــن يــدان

وقــد كاد ينــقضّ الهــدى ومناره

وزحــزح خيــر ما لــذلك تدان

يسب رســولاً من أولي العزم فيكم

تكاد السماء والأرض تنفطران

وحــارب قــــوم ربّهــم ونبيّــهم

فقوّمــوا لنصر الله إذ هو دان

وقد عيل صبري في انتهاك حدوده

فهــل ثم داع أو مجيــب آذان

وإذ عزّ خطب جئت مستنصراً بكم

فهل ثم غــوث يا لقــوم يداني

لعمري لقد نبهــت من كان نائمــاً

وأسمعت من كانت لــه أذنــان

وناديت قومــاً في فريضــة ربهم

فهل من مصير لي من أهل زمان

دعوا كل أمر واستقيموا لما دهى

وقد عاد فرض القوم عند عيان[١٤]

---

[13]. محمد راشد الندوي: "المنتخب من الشعر العربي" ط. قسم اللغة العربية وآدابها، علي غراه، ١٩٩٠، ص ٢٥١

ثم هو يتوجه الى بيان مراتب الأنبياء والرسل ويتعين لهم كما هم يستحقون.

تحطّم في جمع الحـــطام ونيلها
وبسط المنى في حاصلات مجان
وكل ضيـــع أو دهـــاء فعنـــده
لنيـــل المنى بالطـــرد والدوران
ومعجـــزه منكـــوحـــة فلكيـــة
يصادفهـــا في رقيـــة الكـــروان
ومنى لـــه الشيطان فيها بموجبه
رفـــاء ووصـــلاً خطبـــة وتهان
يهـــم بأمر العيـــش لو يستطيعه
وقد حيـــل بين العيـــر والنزوان
ففضحـــه ربّ السمـــاء بحـــوله
وقـــوتـــه والله فيـــه كفـــانـــي[١٥]

ثم يتطرق الشيخ الى ذكر من ينطق كمثل هذا ويتبع هواء فما يكون مثواه:

ألا فاستقـــيموا واستهيموا لما دهى
فمـــوت عليـــه أكبـــر الحيـــوان
وعند دعـــاء الرّب قوموا وشمّروا
حنـــانا عليـــكم فيـــه أثر حـــنان

---

[14]. أنور شاه كشميري: "عقيدة الاسلام في حياة عيسى عليه السلام"، ط. مكتبة الرحيمية ديوبند ١٣٥٢هـ، ص. ٤١٢. البنوري : "نفحة العنبر" ص ٢٠٦

[15]. كوندو : "الأنور"، ص ١٩١.

وكن راجياً أن يظهر الحق وارتقب

لأولاد بغـــي في السهـــيل يمـــان

وللحـــق صـــدع الصديع وصـــولة

وحـــزب وطعـــن فوق كل بـــنان

وآخـــر دعـــوانا أن الحمـــد للـــذي

لنصـــرة دين الحـــق كان هـــداني

وصـــلّ على ختـــم النبيـــين دائمـــاً

وسلـــم مـــادام اعتلـــى القمـــران[١٦]

وكان يقول الشيخ الشاه الكشميري، لما انتشرت هذه الفتنة ولا تزال تترقى الطائفة كانت لا تأخذني في المضجع نومة كمداً واضطراباً من هذه الرزية الدهياء، فأقلقتني جداً مخافة أن يقع بها ثلمة في الدين يعتاد سدادها، وغلبني الأرق والسهاد حتى مضت على ستة شهور كاملة في هذه الحالة المقلقة، حتى ألقى الله تعالى في قلبي أستبيد شوكتها وتضعف صولتها، فشفى الله قلبي بعد هذه البرهة حتى اطمأنت نفسي وسكن جأشي ويشير الشيخ الى هذه الواقعة في بعض قصائده العربية والفارسية. ولما ألف الشيخ أنور شاه كتابه "عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام" قال : أرجو أن يشفع لي سيدنا عيسى بهذه الرسالة.[١٧]

---

[16]. مجلة "الداعي" عدد ٨، ٢٠٠٢، ص ٣١

[17]. البنوري :"نفحة العنبر" ص ٢٠٤

الخاتمـــة

بحمد الله سبحانه وتعالى وعونه خلص البحث وعُرِف من خلال الأبواب والفصول السابقة حول موضوع "مساهمة أنور شاه الكشميري في الحديث النبوي والأدب العربي". إن مساعي أساتذة الحديث في المدارس الإسلامية وذلك بفضل عناياتهم بالقرآن والاعتصام بالسنة النبوية.

إنه لا شكّ في أن المواد والموارد لهذا البحث توجد في كمية وافرة حيث تتوفر مكتبات الجامعات الأهلية والمدارس الإسلامية ولكنها باللغة الأردية. إذ نحن اخترنا العنوان، لم يتم البحث مثله حتى تاريخه. وفي هذا الصدد، سافرنا مرات عدة إلى مدرسة ديوبند وحصلنا على معلومات كافية ومشورات قيمة وآراء نافعة من الشيخ أنظر شاه الكشميري، شيخ الحديث بمدرسة دار العلوم ديوبند (وقف) ونجل الشيخ أنور شاه الكشميري، وحفيده الشيخ احمد خضر الموقر أستاذ الحديث بمدرسة ديوبند (وقف)، نحن نشكر لهما لمساعدتهما القيمة في هذا الصعيد. كما وتوفرت مكتبة مدرسة دار العلوم ديوبند الرئيسية معلومات مفيدة من الكتب الأصلية التي كتبها الشيخ أنور شاه الكشميري حول المواضيع المختصة.

دراستنا هذه في الحقيقة دراسة تحليلية مستفيضة عما قامت به كبرى المدارس الإسلامية غير الحكومية وعلماءها وخرّيجوها ومؤسسوها من خدمات جليلة وأعمال بارزة في مجال نشر علم الحديث النبوي في بلاد الهند بعد ما مضت قرون متطاولة كان فيها علم الحديث النبوي معدوماً في الهند، في هذه الظروف القاتمة ظهرت شخصية شاه ولي الله الدهلوي الذي حمل لواء السنة وثم نبغت شخصيات عديدة مرموقة في علم

الحديث وهكذا بدأت نهضة جديدة، وازدهرت علوم السنة من جديد. وبما أن مدرسة ديوبند تنتمي إلى شاه ولي الله فكراً ومنهاجاً فانتقلت روح هذه الأمانة العلمية بواسطة أحفاد الإمام العبقري إلى محمد قاسم النانوتوي وزميله الفقيه رشيد أحمد الكنكوهي والعلماء والمحدثين الآخرين ومنهم ورث علماء هذه المدرسة منهج شاه ولي الله الدهلوي ولعبوا دوراً هاماً في نشر علوم السنة والحديث النبوي.

ومن أبرز هؤلاء العلماء كان العلامة أنور شاه الكشميري الذي تولد في القرن التاسع عشر الميلادي وتثقف في ظل المحدثين الكبار، الذين قاموا بخدمة جليلة واختاروا نهجاً منطقياً سليماً، وبعد ذلك وقف حياته على حفظ الأحاديث وشرحها وتوضيحها في أسلوب سهل بسيط قلما يوجد له نظير وبناء على هذه الميزات البارزة نال العلامة شهرة واسعة في الأوساط العلمية والدينية. فله أمالي علمية على صحيح البخاري طبع بعض أجزائها باسم "فيض الباري" وله أيضاً شرح على الترمذي باسم "العرف الشذي" و"التصريح بما تواتر في نزول المسيح"، وزيادات قيمة على مصطلحات بعض العلوم. وهو أيضاً من أكبر أدباء وشعراء الهنود بالعربية في العصر الحديث، فقرض الشعر في مجالات مختلفة إلا أنه ركز أكثر عنايته على قرض القصائد في مدح النبي عليه السلام، وله أيضاً بعض القصائد والمنظومات في رثاء شيوخه وأساتذته أمثال الشيخ محمد قاسم النانوتوي والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي والشيخ محمود حسن الديوبندي وغيرهم. وعندما ظهرت الفئة القاديانية تسارع العلامة إلى الدفاع عن الدين الإسلامي فلم يأل جهداً لمكافحة الفئة الآنفة الذكر وبذل قصارى جهوده لاستئصال شأفتها.

فإن العلامة أنور شاه الكشميري يهتم خلال محاضرات الدروس بالنقاط والملاحظ أمام الحاضرين، ينبغي لنا أن نذكر بعضها التي تستولى على قلوب الطالبين روعتها:

منها: انه كان يلخص الكلام في رجال الحديث إن كان لذكرها حاجة في الباب، أو فائدة يستحسن ذكرها وكان لا يطيل الكلام في الجرح والتعديل حيث كان يقول: ولو أكثر من نقل كلامهم في الرجال، وما فيه من كثرة القيل والقال، لأنه ليس عندي كبير ميزان في الاعتدال وبعضهم يسكت عند الوفاق، ويجرح عند الخلاف. وإذا دعيت نزال. وهذا صنيع لا يشفي ولا يكفي، وإنما هو سبيل الجدال.

نعم، اعتنيت بتعيينهم، ومعرفة عينهم، فيستطيع الناظر من المراجعة والمطالعة، ويتمكن من تخمير رأيه لا بالمسارعة.

ومنها: انه كان عنى بمنشأ الخلاف بين الأمة، ولا سيما في المسائل التي تتكرر على رؤوس الأشهاد، فكان يذكر في هذا الصدد أموراً تطمئن بها القلوب.

ومنها: انه كان يعتني بنقل غرر النقول من كلام القدماء، والنقول التي تكون بعيدة عن متناول ايدي أهل العلم.

ومنها: انه كلما ذكر كتاباً أو مؤلفاً في صدد النقل، فكان يكشف عن منزلته في العلم. وخصائصه قلما يجدها الناظر في كتب الطبقات والتراجم بغاية من الانصاف. من

غير غض عن قدره، أو إطراء في شأنه، ليكون بصيرة للطلبة، ووسيلة إلى العلم الصحيح.

ومنها: أنه كان يهمه إكثار المادة في الباب، دون الإكثار في بينها وإيضاحها، كأنه يضن بعلمه المضنون. ثم إن هذا الإيجاز في اللفظ، والغزارة في المادة أصبح له دأباً في تدريسه وتأليفه، وكان كما قال على رضي الله عنه: ما رأيت بليغاً قط إلا وله في القول إيجاز، وفي المعاني إطالة.

ومنها: أنه كان لا يقتنع بذكر ما يختص بالموضوع، بل ربما كان يذكر أموراً لمناسبة دقيقة بينها وبين الموضوع، حرصاً على بيانها إفادة للطلبة.

ومنها: أنه كان ربما يذكر أشياء وينقدها نقداً علمياً، ويدل الطلبة على منهاج النقد العلمي ويضع لهم أساساً لذلك، ثم يستدرك ذلك (تنبيهاً لهم) بمزية كلام أهل العلم، والاحتياط عن الخوض في شأنهم بما تأبى جلالة قدرهم.

كما اننا قمنا بالمحاولة لالقاء الضوء على شعره في مديح النبي ورثائه شيوخه في الطريقة الصوفية. وفي هذا السياق، يذهب أنور شاه إلى تقليد شعراء الجاهلية مثل امرئ القيس وغيره، حيث يبدأ الشاعر من : كلمة قفا نبك، فحذى الشيخ حذوه في شعره قائلاً قفا....، على كل حال إنه اهتم في شاعريته اهتماماً تاماً بالأوزان والقوافي والبحور.

والقصائد جديرة بأن تعدّ من القصائد البديعة التي أنتجها أبناء الهند المسلمون في شرقها، غربها، شمالها وجنوبها أداء لضريبة الحب والوفاء، والحنان والولاء، للنبي الخاتم الذي لولاه ما استيقظت الإنسانية من غفوتها، وما وجد العالم الإيمان الذي فقده و أفلس فيه، منذ مدة طويلة، الإيمان بالله وبالبعث، والإيمان بقيمة الإنسان وكرامته، وما إلى ذلك من الأمور التي يجب الإيمان بها بالضرورة.

ومن الميزات كذلك التزامه بالواقعية والصدق في الوصف والتعبير وتجنبه عن المبالغة والإغراق والغلو، وموقفه العملي في هذا الباب يدل على أنه رفض رفضاً باتاً قول بعض البلاغيين القائلين بأن "أحسن البيت أكتبه" متأثرين بالمقاييس البلاغية اليونانية القديمة، ولذلك نجده على جانب كبير من الحيطة والحذر في الحديث عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم فانه لم يصفه جزافاً بل توقف عند المأثور منها والمقبول لدى المسلمين جميعاً. وقد دلت التجارب الإبداعية والأدبية التي مر بها الشعراء في مجال المديح النبوي، كما دلت الزلات التي تورط فيها بعضهم، أنه من أصعب المواضيع إطلاقا لما يتطلب من التأدب والتهيب من جهة والاتزان والحيطة من جهة أخرى وقلما نجد من يمشي سويا بين هذا وذاك من دون أن يتجنح ذات اليمين وذات الشمال، وقد رسمت الشريعة السمحة حدوداً واضحة المعالم للإجلال والتقدير لا ينبغي لبشر أن يتخطاها فيثبت للبشر من الصفات التي اختصت بها الذات الإلهية وتفردت بها دون الخلق أجمع، كما تجب معرفة مكانة العصمة والسمو الذي يحظى بها المصطفى صلى الله عليه وسلم، فإذا قسنا قصائد الشيخ الكشميري بهذا المقياس نجده فيها جم التحشم

والتأدب وغاية التحذر والترقب، نجد أن علمه يحرس وجدانه الواله ويتمسك بعواطفه وحنينه كي لا يجتاز الحدود المشروعة وهكذا نرى أن وازع العلم لا يغفل عن نازع الشوق قدر لحظة، وذلك يزيد من صفاءها ونقاءها ومن تأثيرها وبهاءها.

كذلك ناقشنا الموضوع مع عملاء مركز بنيودلهي للطائفة المسمّاة بالأحمدية الواقعة بجوار جامعة همدرد، إذ لدينا باباً كاملاً حول الأحمدية ومعتقداتها الأساسية، وكافح الشيخ أنور شاه الكشميري هذه الفئة ومعتقداتها، وتشمل هذه المكافحة موضوع البحث الذي ناقشناه في هذه المقالة، ومعتقدات الفرقة الأحمدية واضحة في كتبها وأحاديثها.

فيهجم العلامة أنور شاه الكشميري على هذه الطائفة الجديدة طرفاً من أحوال هذه الداهية الكبرى. ويقول في كتابه "عقيدة الإسلام": فقام ذلك الملحد، فوقع في شأن ذلك النبي الجليل بما تقشعرّ منه الجلود وتنشق الأكباد، وقد سرد بعض ما نفوه به ونطق وتمطق في عرضه عليه السلام في رسالتنا "اكفار الملحدين في شيء من ضروريا الدين"، وقد باع إيمانه بالدنيا حتى لم يوفقه الله على دعوى العيسوية لحفظ شيء من القرآن وأطفال المسلمين يحفظونه، ولم يوفق للحج وأوساط المسلمين يفوزون به، وهو لا يستحق أن يكون رجلاً شريفاً، فكيف يكون مؤمناً؟ فكيف أن يكون المهدي المسعود؟ فكيف أن يكون عيسى الموعود؟ نعم يستحق أن يكون أتان الدجال ركبها، أو كسجاح اليمامة نكحها أبو ثمامة.

والحقيقة، ان هذا البحث يدور حول مناهج دراسة الحديث واتجاهاتها في القرون قمنا بالإشارة إليها، خاصة المنهج الذي اختار الشيخ أنور شاه الكشميري، متأثراً بالأساليب وردته من شاه ولي الله الدهلوي بسلاسل العلماء والمحدثين Genealogically . ومنهج الشيخ أنور شاه وأسلوبه في دراسة الحديث الذي يمتاز له من العلماء الآخرين، هو اعتصامه بتقليد الحنفية وتثبيته. ولأن القاري يريد أن يخلص نفسه من الأساليب المتقدمة بنتيجتين لا اختلاف عليهما، وهما: أن مناهج دراسة الحديث التي اقترنت بالأساليب القديمة قد تغيرت في العصور المتأخرة. ولاسيما الاتجاهات في علم الحديث. وأن مشكلات الأساليب لا تزال كما كانت أكبر من جهود المحدثين وأضخم من الحلول التي انتهت إليها تلك الجهود.

فالهدف الرئيسي من هذه الدراسة جمع أشتات من معلومات متعلقة بالكتب المؤلفة لأعلام المحدثين ولأساتذة دراسات الحديث النبوي بالمدارس الإسلامية أو الجامعات الأخرى، وتعريف عام بهذه الكتب وبمحتوياتها.

هذه كانت بعض الصور لجهودي المتواضعة التي قمنا بها خلال إعداد هذا البحث، وبذلنا قصارى مجهوداتنا قدراً مستطاعياً أن نفي بحاجة الموضوع ولكننا نشعر إنه لم نوفق إلى الحد الذي كنا نتمناه. على كل حال ندعو الله أن تكون هذه المحاولات، ولا نعتبرها أكثر من المحاولات خيراً ونفعاً للآخرين.

المراجع والمصادر

الكتب العربية

(١) الأسعدي، عبيد الله "دار العلوم ديوبند، مدرسة فكرية توجيهية، حركة دعوية إصلاحية، مؤسسة تعلمية تربوية"، أكاديمية شيخ الهند، دار العلوم ديوبند، ٢٠٠٠م.

(٢) البرني، عبد الرحمن "علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث"، أكاديمية شيخ الهند، دار العلوم ديوبند، ١٩٩٨م.

(٣) البنوري، محمد يوسف "نفحة العنبر في هدية الشيخ أنور"، بيت الحكمت ديوبند، ١٩٩٣م.

(٤) الحسني الندوي، أبو الحسن "المسلمون في الهند"، المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ، ١٩٩٨م.

(٥) " "الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها"، المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ، ١٩٨٦م.

(٦) " "أضواء على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية"، المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ، ١٩٩٥م.

(٧) " "رجال الفكر والدعوة"، المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ، ١٩٩٣.

(٨) الحسني، عبد الحيء "نزهة الخواطر" المجلد٥ والمجلد٨، دار عرفات راي بريلي، ١٩٨٤م.

(٩) " "الهند في العهد الإسلامي"، مجمع الإمام احمد بن عرفان، دار عرفات راي بريلي، ٢٠٠١م.

(١٠) الحسني، محمد رابع "الشهيد احمد بن عرفان"، المجمع العلمي للبحث والنشر لكناؤ، ٢٠٠٢م

(١١) الدهلوي، شاه ولي الله "حجة الله البالغة" المجلدالأول، مكتبة رشيدية دلهي

(١٢) زبيد أحمد "مساهمة الهند وباكستان في الأدب العربي"، ١٩٦٨م.

(١٣) السباغي، محمد إسماعيل "حركة الانطلاق الفكري وجهود الشاه ولي الله في التجديد"، إدارة البحوث الإسلامية بنارس، ١٩٨٩م.

(١٤) شجاعت علي، عبد الحق "الدراسات العربية في الجامعات الهندية الشمالية بعد استقلال ١٩٤٧م" ، المعهد الديني دلهي، ١٩٨٩م.

(١٥) الفاروقي، زبير أحمد "مساهمة دار العلوم ديوبند في الأدب العربي"، دار الفاروقي نيودلهي، ١٩٩٠م.

(١٦) الفريوائي، عبد الرحمن "جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة"، إدارة البحوث الإسلامية، بنارس، ١٩٨٦م.

(١٧) " "جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم"، إدارة البحوث الإسلامية بنارس، ١٩٨٦م.

(١٨) الكشميري، أنور شاه "ضرب الخاتم على حدوث العالم"، المجلس العلمي، دابهيل،١٤١٢هـ.

(١٩) " "فصل الخطاب في مسئلة أم الكتاب"، المجلس العلمي، دابهيل،١٩٩٠م.

(٢٠) " "تحية الإسلام"، المجلس العلمي، دابهيل، ١٤١٣هـ.

(٢١) " "كشف الستر"، المجلس العلمي، دابهيل، ١٩٩١م.

(٢٢) " "عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام"، المجلس العلمي، دابهيل، ١٩٨٨م.

(٢٣) " "إكفار الملحدين في شيء من ضروريات الدين"، المجلس العلمي، دابهيل، ١٤١٣هـ.

(٢٤) " "مشكلات القرآن"، المجلس العلمي، دابهيل، ١٤١٢هـ.

(٢٥) " "العرف الشذي على جامع الترمذي"، مكتبة المدنية ديوبند، ١٩٩٤م.

(٢٦) " "التصريح بما تواتر في نزول المسيح"، مكتبة المدنية ديوبند، ١٩٧٧م.

(٢٧) الميرتي، بدر عالم "فيض الباري على صحيح البخاري" المجلد١،٢،٣،٤، المكتبة الأشرفية ديوبند، ٢٠٠٠م

(٢٨) الندوي، عبد الحليم "مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند"، مطبعة موري المحدودة مدراس، ١٩٨٦م.

(٢٩) الندوي، محمد راشد "منتخب من شعر العرب"، قسم اللغة العربية، جامعة عليكراه الإسلامية، ١٩٩٠م.

الكتب الإنكليزية

(1) Ahmad, Moenuddin	A History of the Frāidi Movement in Bengal, 1987.
(2) Chandra, Bipan	India's struggle for Independence, Penguin Books, New Delhi, 1988.
(3) Desai, Z. A.	Centres for Islamic Learning in India, Publications division, Ministry of Information and Broadcasting Government of India, New Delhi, 1978.
(4) Gopal, Ram	Indian Muslim, A Political History, Bombay, 1987.
(5) Metcalf, Barbara Daly	Islamic Revival in British India, Deoband 1800-1900, Princeton University Press, New York, 1982.
(6) Mircen Eliade (ed):	The Encyclopedia of Religion, Mcmilan publishing campany, New York & London. 1978.
(7) Mohammed Mujeeb	The Indian Muslim, London, 1967.
(8) Sarkar, Sumit	Modern India, (1855-1947), Mcmilan India Limited, New Delhi, 1995.
(9) Shan Mohammed	Successors of Sayyid Ahmad Khan, Idarae Adabiat, Delhi, 1981.
(10) Tarachand	Influence of Islam on Indian Culture, Allahabad, 1963.
(11) Britanica Concise:	Featuring a concise edition of Encyclopedia Britannica, Marriam Webster's collegiate dictionary and editorially selected website.

الکتب الاردیه

(۱) بجنوری، احمد رضا ''ملفوظات محدث کشمیری''، بیت الحکمت دیوبند، ۱۹۹۴ء

(۲) برنی، محمد الیاس ''قادیانی مذهب کا علمی محاسبہ''، مکتبۃ الحق، ماڈرن ڈیری جوگیشوری، ممبئی، ۲۰۰۱ء

(۳) الحسنی، ابوالحسن علی ''تاریخ دعوت وعزیمت ج۱، ۲، ۳، ۴، ۵''، مجلس تحقیقات ونشریات اسلام، لکھنؤ، ۲۰۰۲ء

(۴) '' '' ''قادیانیت، تحلیل وتجزیہ''، مجلس تحقیقات ونشریات اسلام، لکھنؤ، ۲۰۰۱ء

(۵) رزاق، محمد طاہر ''قادیانیت شکن''، مکتبہ مدنیہ سفید مسجد، دیوبند، ۱۹۹۷ء

(۶) رضوی، سید محبوب ''تاریخ دارالعلوم دیوبند''، مکتبہ دارالعلوم دیوبند، ۱۹۸۱ء

(۷) رضوان الحق ''سیرت انور''، ایجوکیشنل بکڈپو، علی گڑھ، ۱۹۸۶ء

(۸) سیالکوٹی، محمد ابراھیم ''تاریخ اھل حدیث''، جمعیت اھل حدیث، دہلی، ۱۹۹۵ء

(۹) شیخ، محمد اکرام ''آب کوثر''، ادبی دنیا، مٹیا محل، دہلی، (نیا ایڈیشن) ۱۹۹۸ء

(۱۰) '' '' ''موج کوثر''، ادبی دنیا، مٹیا محل، دہلی، (نیا ایڈیشن) ۱۹۹۸ء

(۱۱) '' '' ''رود کوثر''، کلاسیکل پرنٹرز، دہلی، ۱۹۵۷ء

(۱۲) قاسمی، حبیب الرحمان ''دارالعلوم دیوبند، ایک اجمالی تعارف''، مکتبہ دارالعلوم دیوبند، ۲۰۰۱ء

(۱۳) '' '' ''دیوبند میں درس حدیث''، مکتبہ دارالعلوم دیوبند، ۲۰۰۱ء

(۱۴) قاسمی، عطاء الرحمٰن ''الواح الصنادید ج۱، ج۲''، مولانا ابوالکلام آزاد اکیڈمی، دہلی، ۱۹۹۰ء

(۱۵) قیصر، ازھر شاہ ''حیات انور''، برقی پریس، دہلی، ۱۹۹۵ء

(۱۶) کشمیری، انظر شاہ ''نقش دوام''، بیت الحکمت دیوبند، ۱۹۹۶ء

(۱۷) '' '' ''لالہ وگل''، شاہ اکیڈمی، دیوبند، ۲۰۰۰ء

(۱۸) کوندو، عبدالرحمٰن ''الانور''، ندوۃ المصنفین، اردو بازار دہلی، ۱۹۹۱ء

(۱۹) کاندھلوی، محمد مالک مقدمہ میر زائیہ، بہاولپور ۱۹۵۳ء (روداد ۱۹۲۶-۱۹۳۵)

(۲۰) گیلانی، مناظر احسن ''سوانح قاسمی'' مکتبہ دارالعلوم دیوبند، ۱۹۹۳ء

(۲۱) مکی، مختار احمد ''تحریک آزادی اور ہندوستانی مسلمان''، قاضی پبلشرز اینڈ ڈسٹریبوٹرز، دہلی، ۲۰۰۳

(۲۲) مہدی، مظہر حسین ''علی گڑھ تحریک''، ایجوکیشنل بکڈپو، علی گڑھ، ۱۹۸۲ء

(۲۳) محمد میاں ''علماء حق اور ان کے مجاہدانہ کارنامے''، الجمعیۃ بکڈپو دہلی، ۱۹۶۶ء

(۲۴) '' '' ''علماء ہند کا شاندار ماضی''، الجمعیۃ بکڈپو دہلی، ۲۰۰۰ء

(۲۵) مرزا، غلام احمد قادیانی ''ازالۃ الاوھام''، مکتبہ القادیان، لاہور

(۲۶) '' '' ''براھین احمدیہ ج ۵''، ربوہ، لاہور

(۲۷) '' '' ''روحانی خزائن'' ربوہ، لاہور

(۲۸) مرزا، بشیر الدین ''حقیقۃ الوحی''، مکتبہ القادیان، لاہور

(۲۹) مرزا، یعقوب علی ''حیات احمد ج ۲''، مکتبہ القادیان، لاہور

(۳۰) نظامی، خلیق احمد ''سرسید اور علی گڑھ تحریک''، ایجوکیشنل بکڈپو، علی گڑھ، ۱۹۸۲ء

(۳۱) نعمانی، محمد منظور ''قادیانی کیوں مسلمان نہیں''، الفرقان بکڈپو، لکھنؤ، مارچ ۲۰۰۳ء

لمجلات الاردیه

(۱) البدر — رئیس تحریر، مرزا غلام احمد قادیانی، ۲۵۔۴۔۱۹۰۷ء

(۲) جامعہ — شاہ ولی اللہ کی قرآنی خدمات، ج۶، شمارہ۱، جون ۱۹۹۸ء

(۳) اخبار عام، شمارہ۸ — رئیس تحریر، مرزا بشیر محمود، ۱۶۔۹۔۱۹۲۰ء

(۴) الرحیم — شاہ ولی اللہ کا فلسفہ، ج۴، شمارہ۱، جون ۱۹۶۶ء

(۵) محدث عصر، شمارہ۵۔۸، — رئیس تحریر، سید احمد خضر شاہ، دسمبر ۲۰۰۲ء۔ مارچ ۲۰۰۳ء

(۶) محدث عصر، شمارہ۵۔۶ — " " " دسمبر ۲۰۰۴ء۔ جنوری ۲۰۰۵ء

(۷) محدث عصر، شمارہ۷ — " " " فروری ۲۰۰۵ء

(۸) المعارف — شاہ ولی اللہ کی خدمت حدیث، ج۳۵، شمارہ۵، مئی ۱۹۴۴ء

(۹) الولی — شاہ ولی اللہ کے معاشی افکار، ستمبر ۱۹۹۸ء

المجلات العربية

(١) البعث الإسلامي: عدد ١٨، ربيع الثاني ١٣٩٦هـ، ندوة العلماء لكناؤ، مقال للشيخ معراج الحق حول أوضاع المسلمين في الهند، رئيس التحرير، سعيد الأعظمي.

(٢) ثقافة الهند: المجلد ٥٢ العدد١، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية ٢٠٠١م، مقال لعبد الماجد القاضي تحت عنوان: "وقفة مع الشيخ العلامة أنور شاه الكشميري ومدائحه النبوية باللغة العربية"، رئيس التحرير د/زبير أحمد الفاروقي.

(٣) الداعي: العدد الخاص رقم ١، ٢، ٣، ٤، آذار – نيسان ١٩٨٠م، صادرة عن دار العلوم ديوبند، رئيس التحرير، بدر الحسن القاسمي.

(٤) الداعي : عدد ٥، أغسطس ٢٠٠٠م دار العلوم ديوبند، مقال للشيخ أصغر حسين ديوبندي، رئيس التحرير، نور عالم خليل الأميني.

(٥) الداعي : عدد ٢، أيار ٢٠٠١م، رئيس التحرير، نور عالم خليل الأميني.

(٦) الداعي : عدد ٥، تموز – آب، ٢٠٠١م، مقال للأستاذ ياسين مظهر صديقي حول الشاه ولي الله، رئيس التحرير، نور عالم خليل الأميني.

(٧) الداعي : عدد ٦، آب – أيلول ٢٠٠١م، رئيس التحرير، نور عالم خليل الأميني.

(٨) الداعي : عدد ٨، تشرين الأول وتشرين الثاني ٢٠٠٢م، مقال للسيد صدر الحسن الندوي حول الشيخ أنور شاه الكشميري، رئيس التحرير، نور عالم خليل الأميني.

Contribution of Anwar Shah Kashmiri In Hadith and Arabic Literature

(Musahamatu Anwar Shah Al- Kashmiri fi al- Hadith wa al- Adab al- Arabi)

Thesis submitted to the Jawaharlal Nehru University
For the Award of the degree of
Doctor of Philosophy

By

Mohammad Ajmal

Under the Supervision of

Supervisor
Prof. M. A. Islahi

Co-Supervisor
Dr. Z. B. Azmi

Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University
New Delhi

2005